

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة

التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية

في القرن الأخير

١٣٢٠ هـ - ١٤٢٠ هـ

عرض ونقد

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالب
خالد بن محمد بن صالح البديوي
الرقم الجامعي: ٤٢٢٠٢٠٥٠٧

إشراف الدكتور
خالد بن عبد الله القاسم

الجزء الثاني

١٤٢٤ هـ - ١٤٢٥ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة

التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية

في القرن الأخير

١٣٢٠هـ - ١٤٢٠هـ

عرض ونقد

بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالب

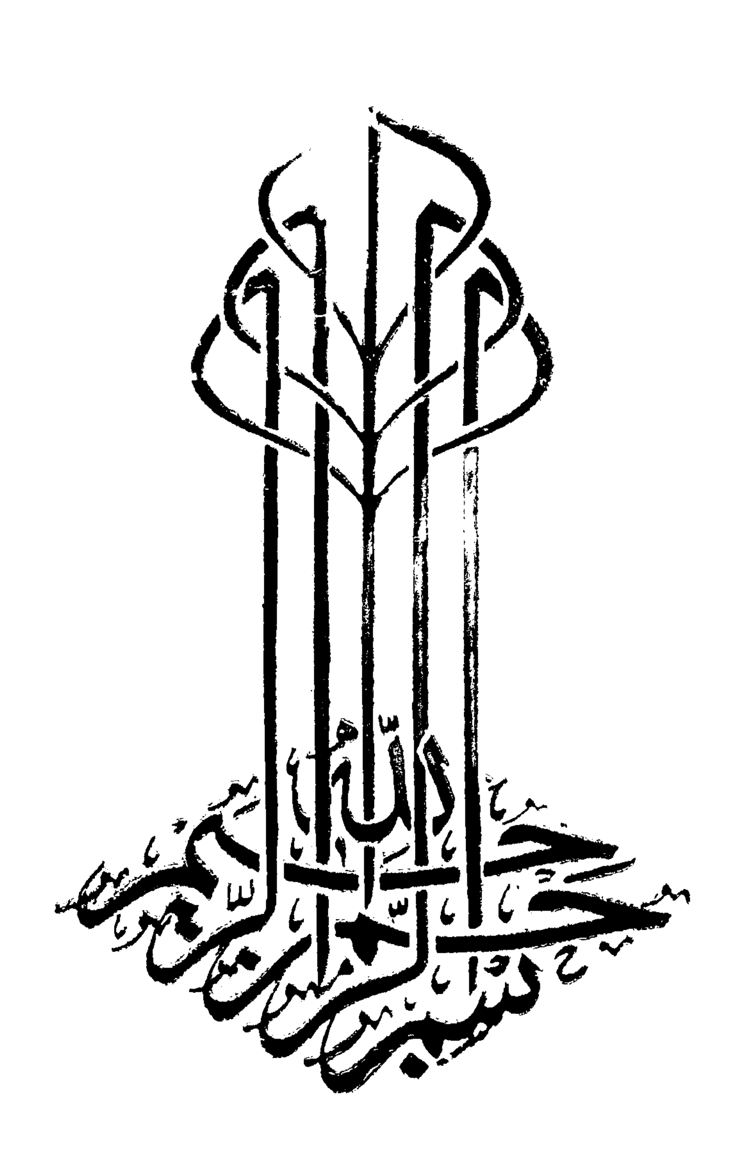
خالد بن محمد بن صالح البديوي

الرقم الجامعي: ٤٢٢٠٢٠٥٠٧

إشراف الدكتور

خالد بن عبدالله القاسم

١٤٢٤هـ-١٤٢٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني:

التحولات العقدية المحمودة داخل المذهب الإمامي

في هذا الباب سيأتي الحديث عن بعض الشخصيات المعاصرة التي كان لها تحولات محمودة داخل المذهب، بمعنى أنهم قاموا بمراجعات أوصلتهم إلى التخلي عن بعض الانحرافات والأخطاء الأساسية، وإن كانوا لم يتركوا صلب المذهب وهو القول بالنص على الأئمة والعصمة، وهو ما يجعل تحولهم داخلي وليس إلى خارج المذهب.

وقبل الشروع في عرض هذا النوع من التحولات المحمودة، ينبغي على القارىء الكريم أن يستحضر ما يلي:

١. أن الحديث عن الأفراد يختلف عن الحديث عن الفرقة، لأن الفرقة قد تتبنى قولاً لا يقول به بعضها، كما أن الأفراد يقاسون بما جمعوا من الحسنات والسيئات، ولهذا يختلف الحكم على المبتدع المجاهد، عن المبتدع الذي لا هم له إلا نشر الغلو ومحاربة السنة.

كما ينبغي أن يعلم أن الرجل قد يكون"إمامياً" ولا يكون "خرافياً"، أو قد يكون إمامياً ولا يكون ممن يتبنى الشركيات في الربوبية والألوهية"، بل قد يكون إمامياً يحارب أقوالا شركية غالية، وهذا بطبيعة الحال لا يعني براءة كل من في المذهب من هذه الشركيات والخرافات، بل قد تكون هي السمة العامة في زمن ما أو مكان ما، وقد يكون غير ذلك.

٢. أن الموقف والحكم الشرعي ينبغي أن يختلف بين إمامي يحارب الغلو والخرافة، وبين إمامي يدعو إلى الخرافة والغلو، بحيث لا يُعطى الاثنان حكماً وموقفاً واحداً.

وكشاهد على أهمية هذه النقطة، أذكر هنا هذا الموقف وهو أنني راسلت أحد أهل السنة المهتمين بالرد على الشيعة الإمامية لأسأله عن أحد الشخصيات التي سيرد ذكرها في هذا الباب، وهو آية الله محمد الخالصي، فأجابني بإجابة جاء فيها: "من يعتقد بالإمامة –مثله –فهو من الغلاة أيضا في منطق السنة". وللتعليق على هذا الموقف ينبغي أن يقال بأن الغلو عند محققي أهل السنة درجات، بحيث لا يقارن الذي يقول بأن الأئمة يتصرفون بالكون مع من يقول بأن الأئمة منصوص عليهم

وهم معصومون من الخطأ فقط، وسيأتي في الباب الأخير دقة كثير من علمـاء أهـل السنة في تصنيف المخالفات.

إن بعض أهل السنة يتعاملون بنظرية "الأبيض والأسـود" مـع المـوافقين لهـم والمخالفين، وهذا خطأ شرعاً وعقلاً، لأن الله تعالى أمر بالعدل مع النـاس، والـنبي صلى الله عليه وآله وسلم أرشد إلى إعطاء كل ذي حق حقه.

٣. أن من سيأتي ذكرهم من أصحاب التحولات الداخليـة ينبغـي أن يُعـرف أن عليهم ملاحظات مهمة **أبرزها قولهم بالنص على الأئمة وعصمتهم**، وهـي في ميـزان أهل السنة من الأقوال المُحدثة التي لا دليل عليها، وقد انبنى على هـذا القـول مواقـف متطرفة تجاه الصحابة الكرام، كما أنه فتح الباب للتصديق ببدع أخرى باسـم العـصمة وعلو المنزلة للأئمة رحمهم الله، وقد سبق في الأبواب السابقة عرض كثير من الردود على القول بالإمامة فلا حاجة إلى التكرار، **وعلى القاريء الكريم أن يعلم بأنني لـن أذكـر هذه الملاحظة في الفصول القادمة، اكتفاء بهذا التنبيه والردود السابقة.**

٤. لا بد أن يلاحظ أن هؤلاء الأشخاص لم يجعلوا القول بالإمامة محلاً للبراءة مـن المخالف، بمعنى أنهم لم يعطوا الإمامة تلك المترلة التي يسلكها الغلاة.

وقد يقول قائل: وما الفرق؟

والإجابة على هذا أن محققي أهل السنة يفرقون بين من أحدث قولا وأخـذ يـوالي عليه ويعادي وبين من أحدث قولاً و لم يجعله محلا للبراءة من مخالفه، بمعنى أن من أحـدث في الدين وأراد أن يفارق جماعة لا يقارن بمن أحدث و لم يجعله محلاً للمفارقة.

ولهذا كان الاختلاف المذموم هو الافتـراق الـذي يرافقـه وصـف ((وكـانوا شيعا))[الأنعام ١٥٩] أي متحزبين يبرأ بعضهم من بعض ، يقول الـشاطبي رحمـه الله تعالى: ((صاروا شيعاً)) أي جماعات بعضهم قد فارق البعض، ليسوا علـى تـألّف ولا تعاضد ولا تناصر، بل على الضد من ذلك، فإن الإسلام واحد، وأمره واحد، فاقتـضى أن يكون حكمه على الائتلاف التام لا على الاختلاف.

وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعرة بالعـداوة والبغـضاء، ولـذلك قـال ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) **فبيّن أنّ التّأليف إنما يحصل عند الائتلاف على**

التّعلق بمعنى واحد، وإما إذا تعلق كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى، فـــلا بـــد من التفرق، وهو معنى قوله تعالى: ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا الـــسبل فتفرق بكم عن سبيله))[الأنعام ١٥٣](١).

---

(١) الاعتصام ٢/٧٠١

الفصل الأول:

آية الله العظمى

محمد الخالصي

المبحث الأول: ترجمته

اسمه ونسبه:

هو محمد بن محمد مهدي بن حسين بن عبد العزيز الخالصي الكاظمي الأسدي، وينتهي نسبه إلى حبيب بن مظاهر الأسدي –وهو أحد الذين قتلوا مع الحسين في كربلاء–(١).

ولادته ونشأته:

وُلِد محمد الخالصي رحمه الله في حدود عام ١٨٨٨م(٢) في مدينة الكاظمية.

ونشأ في بيتٍ اشتهر بالعلم، فوالده آية الله العظمى محمد مهدي الخالصي كان قائدا علمياً وجهادياً(٣) ، بدأ بطلب العلم في فترة مبكرة فأنهى دراساته العلمية والفلسفية في مدّة قصيرة على يد علماء زمانه.

أبرز شيوخه :

أبرز من تعلم على أيديهم:

١. والده محمد مهدي الخالصي.

٢. الميرزا محمد تقي الشيرازي

---

(١) انظر مقدمة المترجم في كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٣، الأعلام للزركلي ٧/٨٦.

(٢) خلافا لما قال الزركلي في الأعلام ص٨٦ أنه ولد عام١٨٩٠م، انظر ترجمة ابنه هادي الخالصي في مقدمة علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٣، وترجمة ابنه محمد مهدي الخالصي في مقدمة كتاب الاسلام سبيل السعادة والسلام ٣.

(٣) كان آية الله العظمى محمد مهدي الخالصي من أكبر القيادات التي ساهمت في قيادة حركة الجهاد عام ١٩١٤هـ كما قاد ثورة عام ١٩٢٠هـ ضد الانجليز. انظر عراق بلا قيادة ٢٠-٣١

وقد تحدث الخالصي عن دور هذين العالمين في حياته قائلاً: "عرفني أبي الإسلام في كتاب الله والسنة الصحيحة من طريق آل البيت عليهم السلام، ولم أجد الإسلام مجموعاً عند غيره إلا في رجل واحد وهو: (محمد تقي الشيرازي) وقد درست عليه شيئاً قليلاً، ولم يكن لهما ثالث فيما علمت والله أعلم" (١).

أبرز صفاته:

شجاعته:

تمتع محمد الخالصي بشجاعة عالية جداً تجلت في إقدامه وبكل شجاعة على مواجهة الانحراف الطاغي على الساحة الشيعية من ناحية، ومواجهة الانحراف الطاغي على الساحة الإسلامية عموماً.

أما الانحراف الأول فيتمثل في كثير من صور الابتداع والانحراف والخرافة والتخلف التي يروج لها الغلاة، وبدعم وتأييد من الغرب.

وأما الانحراف الثاني فيتمثل في الأفكار الضالة الحديثة التي بدأت تغزو العالم الإسلامي كالشيوعية الإلحادية والفكر الغربي وغيرها من الأفكار التي جرى خلفها كثير من المسلمين آنذاك.

وقد واجه الخالصي كلا الانحرافين بشجاعة جعلته يدفع ثمن ذلك بالنفي تارة وبتشويه سمعته من خلال فتاوى التضليل التي كثرت في حقه آنذاك،كما سيتضح لاحقاً.

كما تتجلى شجاعة الخالصي في خطابه الذي وجهه إلى رئيس وزراء إيران (أحمد قوام السلطنة) حين خاطبه بقوله: "أخاطبك بهذه الكلمات لا لأنك تملك نفعاً يرجى أو ضراً يخشى، فما أعجزك عن الأمرين، بل لأنك أقرب إلي مكاناً من كل مسلم يحمل مثل هذه الصفة، وأقصد بخطابي هذا عظة أمثالك من رؤساء المسلمين كل على حسب إمارته ونزعته، وعلو نفسه.."(٢).

---

(١) رسالة المجاهد الأكبر الإمام محمد الخالصي٨٢

(٢) رسالة المجاهد الاكبر الإمام محمد الخالصي ٨٠.

وقال أيضا: "أتسبق يا رئيس وزراء إيران إلى إفهام البشر هذا الخطر(١) ودعوتهم إلى النجاة؟ فتكون لك القدح المعلى وتفوز بمرضاة الله، ولكن هيهات!! وأنى لك بذلك، وقد ذكرت أنك لا تملك ضرا ولا نفعا، وأنك عجزت عن إطلاق سراحي وكنت تريد ذلك، كما حبستني وأنت لا تريد ذلك، وأمرت بأداء عُشر ما يلزمني من وسائل المعيشة وأنا في حبسك فلم يدفع لي، ووافق قلمك على منعي عن الصلاة في المسجد وإلقاء دروس القرآن ولم يوافق عليه قلبك(٢)، فثبت بذلك أنك تفعل ما لا تشاء وما لا تريد، ومن كانت هذه قدرته، كيف يستطيع الوصول إلى هذا الأمر الخطير "..[ثم ذكّر الخالصيُ رئيسَ الوزراء بجزمه الذي عهد عنه قبل أن يسجن(يعني الرئيس) مدّة عشرين سنة وكيف أنه خرج بعد ذلك ضعيفا، فقال]: "والبقاء في الحبس أفضل من هذه الرياسة المغلوبة، أفيرجى مع هذا أن تقوم بدعوى إصلاحية عامة"(٣).

كما تتجلى شجاعة الخالصي في فتواه التي أصدرها وهو في مدينة (تويسر كان) للعمال الذين كانوا يعملون لصالح الإنجليز في شق طريق لمرور قواتهم الغازية -إبان الحرب العالمية الثانية- حيث ذهب الخالصي إلى العمال الذين كانوا يعملون وبيّن لهم أن عملهم حرام، فامتنع العمال عن العمل، فقام الضابط الإنجليزي (الكولونيل وِبْ) بطلب اتخاذ إجراء تجاه الخالصي، فكانت النتيجة هي نفيه إلى مدينة (كاشان)(٤).

---

(١) يعني الخالصي ما تحدث عنه قبل ذلك في رسالته وهو خطر بعد المسلمين والعالم عن الإسلام، والذي جر عليهم الحروب العالمية التي أبادت الناس، وأكلت الأخضر واليابس. المرجع السابق ١٢٣.

(٢) عندما منع الخالصي من إقامة الصلاة وإلقاء الدروس أرسل لرئيس الوزراء برقية قال فيها: "حتى يزيد [يعني بن معاوية] لم يمنع من إقامة من صلاة الجمعة ودروس القرآن، شرطتكم تمنع ذلك". انظر الوثيقة رقم ٢٣ في المرجع السابق ٥٨-٥٩.

(٣) هذا الخطاب أرسله الخالصي إلى رئيس الوزراء في محرم ١٣٦٢هـ باللغة العربية مبينا أنه لم يفعل ذلك فخرا بالعروبة التي يعتبرها الخالصي عصبية ذميمة ، ولكن فخرا بلغة القرآن الذي يعتبره الخالصي المخلص الوحيد للبشر من الشقاء. انظر المرجع السابق ١٢٤-١٢٥.

(٤) المرجع السابق٩.

صبره وجلده

يتحلى الخالصي إلى جانب شجاعته بصبر يتضح من خلال إصراره على ما عزم عليه من الدعوة الى ما يعتقد أنه التشيع الخالص، مع مقاساته في طريق الدعوة إلى ذلك أنواعاً مؤلمة من البوائق والبلاءات . وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

ابتلاؤه.

واجه الخالصي أنواعاً من الابتلاءات في حياته، من أبرزها:

١. **وصفه بأنواع التهم.**

لقد عاش الخالصي في فترة زمنية عصيبة ومنطقة جغرافية معقدة، لذا كانت شخصية الخالصي وأفكاره غير مرضية لشرائح متعددة، بعضها دينية وأخرى غير دينية.

ولهذا السبب نجد التناقض في التهم الموجهة إليه بقصد إسقاطه، فطائفة كانت تتهمه بأنه لا ديني ومتعاون مع البلاشفة، وأخرى تتهمه بأنه متفق مع الانجليز- مع أن سجل الخالصي طافح بمعاداقم-، كما اقمته طائفة أخرى من المعممين بالعمالة لأمريكا بسبب علاقته بحكومة عبد السلام عارف، وطائفة من الشيوعيين الإلحاديين يصفونه بأنه رجعي متخلف ويدعو للأوهام والخرافات-ويقصدون الدين-(١).

كما لفق للخالصي قمة أخرى خطيرة ألا هي قتل مفوض أمريكا في طهران، في حادثة اغتيال دبرها عملاء البهلوي من أجل فرض الأحكام العسكرية والتضييق على الدعوة الإسلامية(٢).

٢. **النفي المتكرر.**

بسبب تمسك الخالصي بآرائه وتوجهه السياسي ؛ فقد عوقب من قبل النظام البهلوي بالنفي المتكرر في إيران، ففي سنة ١٣٤٠ هـ/١٩٢٢م تم نفيه إلى إيران بسبب رفضه التوقيع على تعهد للانجليز والملك فيصل بعدم التدخل في السياسة .

---

(١) المرجع السابق٢٣. العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية ٤٢. عراق بلا قيادة ٣٤.

(٢) رسالة المجاهد الاكبر ١٠٣-١٠٤.

ثم في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م حتى ١٣٤٤م نفي من طهران إلى (خراسان) ومنها نفي إلى (خوف) والتي حبس فيها لاتهامه بقتل المفوض الأمريكي.

ثم في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م سمح له بالرجوع إلى طهران.

ثم في سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م (تقريبا) حبس في طهران ٣شهور، ثم أخذ إلى سجن قصر (قاجار)، ثم نفي بعد ذلك إلى "تويسر كان" سنة ، ثم إلى "نهاوند" سنتين.

وبعد ذلك سمح له بالعودة للكاظمية ولم يمكث إلا يوم وليلة ثم قبض عليه وأعيد إلى إيران وحبس في قصر شيرين ٢٠ يوما، ثم إلى (كرمانشاه) ومنها إلى (نهاوند) حيث بقي فيهما مدّة سنة كاملة، ثم أطلق ونفي إلى (تويسر كان) وبقي فيها تحت مراقبة الشرطة حتى سنة١٣٦١هـ/١٩٤٢ حيث نفي بعدها إلى كاشان وبقي تحت رقابة الشرطة الشديدة إلى سنة ١٩٤٧ م حيث نفي إلى مدينة (يزد) وبقي فيها إلى سنة ١٩٤٧حيث سمح له بالعودة إلى العراق(١).

ويكون الخالصي بهذا قد قضى ما يقارب من سبعة وعشرين سنة من حياته، وهي أكثر من ثلث عمره البالغ٧٥ سنة(وما يقارب من نصف عمره الانتاجي) في النفي المتكرر، وهو مؤلم بذاته فكيف إذا صاحبه البوائق التالية:

٣. ضيق المعيشة.

عانى الخالصي من ضيق المعيشة مدّة طويلة جراء تعرضه للنفي المستمر، لا سيما بعد أن طُرد والده من العراق وما تزامن معه من انقطاع ما كان يأتيه من المال من الكاظمية، وقد اضطر الخالصي إلى احتراف الزراعة في هذه الفترة ليكفي نفسه وذريته التي قاست معه ضيق المنفى، لكنه كما يقول في خطابه إلى (أحمد قوام السلطنة): "حتى أنني كلما هيأت شيئا من لوازم العيش في بلد نفيت إلى بلد آخر، فتركت ما هيأت في البلد الأول قهرا وجيء بي إلى البلد الثاني، وأنا لا أعرف فيه أحدا، ولا أملك من وسائل المعيشة شيئا".

يُذكر أن أشد ما لقيه الخالصي هو ما حصل له في منفاه قبل الأخير (كاشان) حينما نفي إليها مع أبنائه في وقت شديد البرودة، فذهب إليها فإذا أهلها فقراء يتضورون

---

(١) انظر رسالة المجاهد الأكبر ٩٩-١١٠

جوعا وعراء، وزاد فاقته منعه من الخروج للتكسب والتدريس وطباعة كتبه ورسائله[1].

هذه بعض الشدائد التي واجهها الخالصي حينما كان في إيران، والتي كانت نتيجة طبيعية لتوجهاته الإصلاحية والسياسية المخالفة لسياسة البهلوي العلمانية التغريبية، والتي لم تجد أمامه عقبة في المراجع الرسميين كمرجعية البروجردي[2] -المرجع الأعلى في أول عهد الشاه- الذي كان يقبّل يده البهلوي، أو مرجعية محسن الحكيم[3] -المرجع الأعلى بعد البروجردي- الذي كان على صلة متينة بالطاغية البهلوي، كما سيأتي.

---

(١) رسالة المجاهد الأكبر ١٠٠ و١٠٩-١١٠.

(٢) انظر ترجمته ص ٧٩

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٥

المبحث الثاني:
مراحل حياته الإصلاحية

من أجل الاطلاع على مشروع الخالصي الإصلاحي بشكل أدق، يجب علينا أن نقف مع مراحل حياته الأربعة، والتي تميزت كل مرحلة منها بسماتها الخاصة.

المرحلة الأولى: الجهاد المسلح في العراق ١٣٠٦هـ حتى١٣٤٠هـ/١٨٨٨م حتى١٩٢٢م.

هذه الفترة هي المرحلة الأولى التي نشأ فيها الخالصي في كنف والده في الكاظمية متعلماً، إلى أن صار معلماً لبعض العلوم في المدرسة الخالصية ، ومّدة هذه الفترة يقارب ٣٤ سنة.

وللوقوف بشكل أدق على طبيعة هذه المرحلة، نذكر بعض سمات هذه المرحلة العامة، ثم أبرز السمات المتعلقة بالخالصي.

أبرز السمات العامة:

١ . ضعف الدولة العثمانية.

وصلت الدولة العثمانية في هذه المرحلة إلى أشد حالات ضعفها العام، وإن كانت شهدت في بداية هذه المرحلة محاولات إصلاح جادة من قبل السلطان عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٧٦م حتى ١٩٠٩م ولكنها محاولات متأخرة، ويلتف حولها كثير من الغادرين بالدولة، كالاتحاديين الذين كانت على أيديهم نهاية الخلافة[١].

٢. نشاط الدعوة إلى القوميات.

٣. دخول الشيعة في القتال ضد الإنجليز.

---

(١) انظر الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث/ د اسماعيل ياغي ١٨٣-٢١٤.التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر٨/٢١٢.

في هذه الفترة دخل الشيعة في حركة المقاومة العراقية ضد الإنجليز.فقد شارك بعض العشائر الشيعية مع بعض المنتسبين للعلم من الشيعة في مقاومة الإنجليز عام١٣٣٢هـ ، كما كان لهم مشاركة فعالة بعد ذلك في ثورة العشرين التي انتهت بالقضاء على الاحتلال الإنجليزي المباشر(١).

٤. احتلال الإنجليز للعراق.

بدأت الحملة الإنجليزية على العراق أيام الحرب العالمية الأولى، بالحملة البحرية التي أرسلت عام ١٣٣٢هـ فنزلت جنوب العراق ، لتواجه مقاومة عنيفة عرقلت احتلالهم لمدّة ثلاث سنوات، وهو ما جعل الإنجليز يستعينون بالهاشميين الذين هيئوا لهم فكرة الانفصال عن تركيا، وهو ما سهل لهم دخول بغداد في جمادى الأولى عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م(٢).

٥. بداية العهد الملكي.

لما شعر الإنجليز بتنامي الثورة ضدهم، وصعوبة استمرار الاحتلال المباشر، قاموا بتنصيب الملك فيصل ملكا على العراق - بعد أن كان في سوريا- ليقوم بالدور الاقتصادي و التقافي الذي تريد إنجلترا تنفيذه في العراق(٣).

---

(١) تاريخ العالم الاسلامي المعاصر والحديث لمحمود شاكر و اسماعيل ياغي(الجزء الاول)١٨٧، وانظر دور الشيعة في تاريخ العراق الحديث للنفيسي ص ٨٠-١١٠

(٢) المرجع السابق ١٨٣-١٨٦.

(٣) المرجع السابق ١٨٦-١٨٧.

أبرز سمات الخالصي الخاصة.

١. مشاركة الخالصي في الإصلاح السياسي العثماني.

في الوقت الذي كان الابتعاد عن المشاركة السياسة هو السمة العامة للمراجع الشيعية-إلا ما ندر- نجد الخالصي يشارك في الجهود المبذولة من قبل السلطان عبد الحميد ، حيث ساهم في مشروع إصدار الدستور الذي أراد السلطان إجراء تعديلات عليه(١).

٢. الدخول في العمل الجهادي المسلح.

دخل الخالصي في العمل الجهادي المسلح في مرتين : الأولى عندما ذهب إلى طرابلس الغرب(ليبيا) ليلبي نداء المجاهدين الليبيين (السنّة) (٢)في صدّ الغزو الإيطالي على ليبيا الذي بدأ في عام ١٣٢٩هـ/((٣))١٩١١.

كما شارك-وبشكل بارز- في صد هجوم الإنجليز على العراق إبان غزوهم على العراق سنة١٣٣٢هـ/١٩١٤م في الجبهة الجنوبية، وكان موقعه في جبهة الحويزة. ثم بعد سقوط بغداد بيد الإنجليز عام١٣٣٥/١٩١٧ اضطر الخالصي مع المقاومين للانسحاب إلى الموصل، حيث بقي فيها معهم عامين، حتى حدثت ثورة العشرين(٤).

والخلاصة: هي أن هذه المرحلة شهدت ضعفا عاما في الدولة العثمانية، ومحاولات جادة لإصلاحها شارك الخالصي في بعضها.

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٤-٢٥.

(٢) رسالة المجاهد الأكبر ١٤. وانظر تدافع كثير من المتطوعين من العالم الاسلامي لتلبية نداءات المجاهدين في ليبيا في كتاب الثمار الزكية للحركة السنوسية١/٣٣٥-٣٣٨، ومقال: صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الاسلامي/مجلة الشهيد- العدد الخامس ١٩٨٤هـ ص١٠٣

(٣) التاريخ الاسلامي ١٤/١٧

(٤) المرجع السابق ١٤.

كما شهدت هذه المرحلة غزواً غربياً لبعض البلدان الإسلامية، مما دفع الخالصي للمشاركة في جبهتين منها أحدها: في بلد سني لا يوجد فيه شيعة وهو ليبيا، والآخر هو بلده العراق، الذي دهمه الإنجليز.

المرحلة الثانية: النفي إلى طهران ١٣٤٠هـ حتى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٢محتى١٩٢٦م.

أبرز السمات العامة:

١. سقوط الدولة القاجارية.

في هذه الفترة سقطت الدولة القاجارية، والتي بدأت على يد "آغا محمد قاجار" سنة١٢٠٩هـــ، وانتهت في عهد أحمد شاه سنة عام ١٣٤٤هـــ/١٩٢٥م على يد رئيس الوزراء-آنذاك- رضا خان(البهلوي)، وبهذا تكون المدّة التي بقيت فيها إيران في حكم القاجاريين هي ١٣٥ سنة ، تولى خلالها سبعة حكام(١).

٢. بداية الدولة البهلوبة الاستبدادية.

بعد إقصاء أحمد شاه القاجاري -الذي يصفه الخالصي بالضعف- على يد الجيش وتولية رضا خان الذي تلقب بـــ"بهلوي"(٢)، بدأت إيران مرحلة شهدت كثيرا من الاستبداد والظلم، فقد استبد البهلوي بالحكم واحتفظ بالمجلس النيابي كواجهة فقط بينما يملك هو وحده تسيير البلاد والتصرف في الأموال ومقدرات البلاد مما جعله يصبح من أثرياء العالم.

كما شهدت هذه المرحلة حقبة جديدة من الحرب على الدين والهوية الإسلامية من قبل البهلوي-كما مرّ معنا سابقا-.

---

(١) التاريخ الاسلامي ج ١٨/ص١٧و٤٠.

(٢) بهلوي: يعني بالفارسي صاحب الجلالة(المرجع السابق ١٨/٤٨)

٣ . غلبة الخوف على العلماء.

٤ . استبداد بعض المراجع الدينية الشيعية(١).

٥ . نفي أبرز مراجع الشيعة من العراق.

في عام ١٩٢٣م اتخذت حكومة الملك فيصل الهاشمي قراراً بإبعاد العلماء الذين وقفوا أمام سياسة الحكومة الرامية إلى ترسيم بقاء الانجليز، وقد كان من أبرز المراجع الذين أبعدوا : آية الله محمد مهدي الخالصي، وآية الله أبي الحسن الأصفهاني، وآية الله حسين النائيني، وجواد الجواهري، وعلي الشهرستاني وآخرين .

وقد كان أشد هؤلاء المراجع محمد مهدي الخالصي الذي أفتى بسقوط بيعة الملك فيصل، وحرمة المشاركة في الانتخابات، مما دفع كثيراً من الفقهاء الشيعة إلى إصدار الفتاوى أيضاً، وهو ما دفع وزير الداخلية إلى اتخاذ قرار الإبعاد لتسعة من المجتهدين الشيعة، ومعهم خمسة وعشرين من المقربين منهم.

وقد كان لقرار الأبعاد أثر كبير على نفوس هؤلاء، مما جعلهم يقبلون بقرار العودة المشروطة بعدم التدخل في السياسة، غير أن الخالصي(الأب) هو الوحيد الذي أبى العودة إلى العراق بهذا الشرط فبقي في خراسان حتى قتل مسموماً، وهذا يعطينا تصوراً عن طبيعة مرجعية والد محمد الخالصي الصلبة، إذ لم يؤثر عليه إبعاده عن زعامة الكاظمية، ولا فقده لكثير من الامتيازات المالية وغيرها، بخلاف المراجع الآخرين الذين طردوا معه لكنهم سرعان ما رضوا بالعودة المشروطة لأسباب تعود إلى فقدهم الامتيازات وحنقهم من انفراد محمد الفيروزآبادي بالرئاسة في النجف، كما ساعد على ذلك الضجر الذي لم يستطع أن يخفيه عبد الكريم الحائري اليزدي-كبير مجتهدي قم- من بقائهم ، خوفاً من مزاحمتهم له الرئاسة -وإن كان مضطراً للترحيب بهم-(٢).

---

(١) سبق توضيح هذه النقاط في فصل ٧٧-٨٠

(٢) انظر عراق بلا قيادة ٤٠-٤١، نقلا عن كتاب (محمد الخالصي بطل الاسلام)ص٢٤٦-٢٤٧، ودائرة الوثائق العامة في لندن(رسالة السر برسي لورين) وثيقة رقم إف، أو/٣٧١ - ٩٠٤٨.

أبرز السمات الخاصة بالخالصي:

١. التخلي عن العمل الجهادي المسلح:

مر معنا في ذكر المرحلة الاولى من حياة الخالصي تجربته في ميدان العمل الجهادي المسلح في ليبيا والعراق، وقد ذكرنا أن الموصل كانت آخر محطة مارس فيها هذا الدور، وقد تحدث الخالصي بنفسه عن الخواطر التي بدأت تدور في نفسه تجاه تجربته الجهادية التي رأى أنها وصلت إلى طريق مسدود بسبب اصطدامها بخيانات بعض العرب والمسلمين قبل اصطدامها بالإنجليز، مما جعل هذه الخواطر تتحول إلى عملية نقدٍ شجاعة جعلته يعزم على البحث عن طريق آخر يوصل به رسالته بعيداً عن أي اصطدام خاسر مع أي فرد أو دولة .

وقد أكّد الخالصي بأنه لم يتخل عن طريق الجهاد المسلح لأنه سأم الحرب ولا لأن شدّة البلاء والجهد أقعداه عنه، بل كما يقول "لأني علمت أن الإسلام -وهو صلاح البشر في هذا العصر- يستحيل أن يعمّ العالم عن طريق الحرب، وأن البلاد كلها محكومة للشرك والتثليث والإلحاد، فبمن تحارب ومن تحارب؟ والناس كلهم سواء.[ثم يقول بعد ذلك:] أخذنا وسائل الدعوة الودية السلمية الإصلاحية حرصاً على منفعة البشر"(١).

ولكن الخالصي وإن كان قد تخلى عن خوض السياسة عن طريق العمل الجهادي المسلح، إلا أنه لم يتخل عن خوضها سلميا وبقوة كما سيتضح في الفقرة التالية.

٢. العمل السياسي السلمي

قرر محمد الخالصي في هذه الفترة الدخول في العمل السياسي بدافع ديني إصلاحي واضح، فكانت له مشاركات فعالة منذ وصوله إلى طهران، ومن أبرز مشاركاته:

أ- تأسيس جمعية للدفاع عن الدعوة الإسلامية.

وهذه الجمعية أسسها الخالصي بعد قدومه إلى طهران مباشرة، وهدفها كما يقول الخالصي "دفع من يعارض بث الدعوة الإسلامية سواء كانت المعارضة بباعث استعماري أو غيره"(٢).

وقد استطاعت الجمعية أن تؤثر على كثير من الإيرانيين في ذلك الحين(٣).

---

(١) رسالة المجاهد الاكبر٨٦-٨٧.

(٢) رسالة المجاهد الأكبر٩٦.

(٣) المرجع السابق٩٧.

ب- تأسيس جمعية الدفاع عن بلاد ما بين النهرين.

وهي جمعية مارست دورا منظما لكسب تأييد الشعب الإيراني حيال احتلال الإنجليز للعراق، وقد كان الدور الذي تقوم به هذه الجمعية واضحاً في الخطب التي يقوم بها الخالصي[١] والمسيرات الاحتجاجية، واللقاءات مع السفارات المعارضة للإنجليز مثل تركيا وألمانيا وروسيا.

كما حرص الخالصي على استغلال المحافل الدولية لتأييد استقلال العراق، ومن ذلك أنه أوصل رسالة إلى المجتمعين في مؤتمر (لوزان) عام: ١٩٤٩م بواسطة وزير خارجية روسيا البلشفية-آنذاك-[٢].

وقد نجح الخالصي إلى حد كبير في هذا المجال حتى عدّه الإنجليز المحرض الأول ضدّهم في طهران، كما في برقية سفير بريطانيا في طهران(السير برسي لورين) إلى وزارة الخاجية، التي جاء فيها: "يعد الشيخ محمد الخالصي المحرض الرئيسي ضد الإنكليز في طهران"[٣].

٣. كما ساهم الخالصي مع أبرز الرموز السياسية- وعلى رأسهم مصدق والكاشاني- من أجل توعية الناس ودعوتهم للمشاركة السياسية الفاعلة من أجل ترشيح النواب المنتمين للتيار الإسلامي [٤].

---

(١) ذكر نور الدين كيانوري-سكرتير حزب تودة في إيران- في مذكراته قائلاً: "إن الذكريات الأولى لوعيي السياسي بدأت وأنا صغير تحت منبر عالم دين اسمه الخالصي(الابن)، كان الانجليز قد نفوه من العراق ، فكان يتكلم بلغة فارسية متلكئة(غير متقنة) ويهاجم الانكليز بكل قوة، و لم يكن هنالك صوت آخر سوى صوت الشيخ الذي تمكن من استقطاب الجماهير إليه، وكان أخي الكبير وكانت أختي تأخذني لحضور محاضراته في الجامع الكبير في سوق طهران، حيث كانت أختي وزميلاتها يكتبن محاضرات الشيخ ويستنسخنها لتوزع بين أكبر عدد من الناس، وفي أحدى المرات خرجت مع أخي الكبير في مظاهرة صاخبة قادها الخالصي باتجاه السفارة البريطانية ضد التدخل البريطاني في العراق". انظر: العمل الاسلامي في العراق ٣٩٩ (نقلاً عن مذكرات السيد نور الدين كيانوري ص١٧) .

(٢) عراق بلا قيادة ١٤٩.

(٣) انظر الوثيقة رقم ١ في رسالة المجاهد الأكبر ص٢٣.

(٤) العمل الاسلامي في العراق ٣٩٩. وعراق بلا قيادة ١٤٥. وراجع دور مصدق والكاشاني في ص (البرقعي).

٤. كما ساهم الخالصي بمحاولات جادة لإصلاح الولاة وتقديم النصح لهم ، ففي عهد القاجاري تردد على أحمد شاه لمناصحته من أجل بذل جهود جادة في إصلاح البلاد، كما نصحه بعدم تولية رضا خان منصب رئاسة الوزراء- لما كان يرى من عدائه للدين وشدّة حبه للرياسة- ولكن القاجاري قلده ذلك المنصب خوفا منه، فانتهى الأمر بخلع القاجاري(١).

كما أن الخالصي حاول أن يغير من أفكار الشاه رضا بهلوي الرامية إلى مسخ الهوية الدينية وعزْل إيران عن البلدان الإسلامية، كما هو بين في قول الخالصي: "كلمته-أي رضا خان- مراراً في الكف عن معارضة المسلمين فلم أر فيه من الاختيار ما يستطيع به أن يعمل أي عمل بدون استشارة، وجرت في إيران أمور على يده بأمر مشاوريه فمنعته عنها، ثم عارضته فيها لأن تلك الأمور لا تتفق مع أصول الإسلام وإصلاحاته المقصودة، وأردت التفاهم مع باقي البلاد الإسلامية فامتنع وتصدى لتهييج الرأي العام ضد ما طلبته فلم ينجح تماماً، وأخيراً اضطررته إلى التفاهم ودعوة بعض ملوك المسلمين إلى إيران، وعزمت على دعوة ممثلين من جميع البلاد الإسلامية إلى (طهران) لوضع أساس للإصلاح البشري العام على ما ضمنته التعاليم الإسلامية، فاضطرب أشد الاضطراب وأخذ منهاج الدعوة، وبعد يومين من عرض المنهاج على أوليائه رأيت منه حالة أشبه بالجنون لمعارضة هذه الفكرة، حتى أنه اشترى الدار التي كنت أعددتها لهذا الجمع فجعلها محلاً لوزارة المعارف كي لا أجد مكاناً مناسباً لهذا الاجتماع"(٢).

٥. الإصلاحي الديني.

بدأ الخالصي في هذه المرحلة بخطوة جريئة تمثلت في نقد بعض مظاهر الغلو والخرافات التي يُروج لها من على المنابر وفي الرثاء الحسيني على يد من يعتبرهم الخالصي لا يعرفون من الإسلام إلا أحاديث الغلاة، ولا يعرفون من القرآن إلا آيات حملوها على أهوائهم وأخرجوها عن مدلولها اتباعاً لأولئك الغلاة، حتى غدوا كما

---

(١) رسالة المجاهد الأكبر ٩٧.

(٢) المرجع السابق ٩٨.

يصرح الخالصي "أضر على الدين من جيش يزيد بن معاوية على الحسين كما قال الصادق عليه السلام"(١).

ولقد كانت جهود الخالصي في نقد بعض الاتجاهات الشيعية الغالية والخرافية واضحة إلى درجة جعلتها معلماً من معالم أفكاره التي يتحدث بها حتى عن المؤرخين من غير المسلمين.

تقول الكاتبة الروسية(دروشنكو) في كتابها (دور علماء الشيعة في إيران المعاصرة): "لقد انتقد الخالصي علانية وخلال بياناته الآراء القديمة لبعض رجال الدين، وكان يدعو إلى إعادة بناء الإسلام والرقي الثقافي والمعنوي للمسلمين ووجوب السعي للرفاه الاقتصادي والتقدم العسكري والتحرر من الارتباط بالأجانب وضرورة الاهتمام بالعناية الوطنية"(٢).

والخلاصة: هي أن الفترة الثانية من حياة الخالصي شهدت نقلة في حياة الخالصي، من حيث المكان الجديد إيران- وبالتحديد طهران- وأيضا من حيث أسلوب العمل الذي تبناه الخالصي، وهو أسلوب لا يقل جرأة عن الأسلوب الأول لاسيما إذا عرفنا الظروف السيئة التي كانت في إيران، وتعدد التيارات التي أعلن مقاومتها والتي تتمثل في الجهة الاستعمارية والحكومة الاستبدادية والاتجاهات الفكرية الواردة كالشيوعية والتيارات الدينية المنحرفة.

---

(١) المرجع السابق ٩٤.

(٢) انظر(دور علماء الشيعة في إيران المعاصرة) الصادر عن أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٨٥م ص٨٢. (نقلاً عن العمل الاسلامي في العراق ٣٩٨).

المرحلة الثالثة:
النفي والسجن المتكرر داخل إيران
١٣٤٤هـ حتى ١٣٦٩هـ/ ١٩٢٦م حتى ١٩٤٩م

وهذه المرحلة هي المرحلة الأقسى في حياة الخالصي رحمه الله حيث واجه فيها أنواعا من البوائق. كما سيتضح من خلال إلقاء الضوء على طبيعة هذه المرحلة.

أبرز السمات العامة:

وقد سبق أن ذكرنا سمات هذه المرحلة في أول مراحل حياة البرقعي والتي أبرزها:

١. تولي محمد بن رضا بهلوي وزيادة التسلط والاستبداد.

٢. قيام الحرب العالمية الثانية(١).

أبرز السمات الخاصة بالخالصي:

١. السجن والنفي المتكرر داخل إيران. -وقد سبق الحديث عنه-(٢).

٢. التركيز على مقاومة الانحراف الديني.

في هذه الفترة ازداد نشاط الخالصي أمام ما تبين له من الانحراف الديني المنتشر في إيران بالذات وغيرها عموما، على يد الغلاة والخرافيين.

وقد ذكر الخالصي أن هذه الفئة التي يحاربها هي من أشد الفئات التي تصرف الناس عن الدين الصحيح بسبب آرائها التي تخالف العقل فضلا عن القرآن الذي يصرح بما يناقضها(٣).

وفي هذه المرحلة ألّف الخالصي وكتب المقالات في بيان انحراف بعض الغلاة كالشيخية، ومن يروج للغلو والخرافة من جهال المعممين وأصحاب المنابر، وعلى سبيل المثال فإن أبرز كتابين هاجم فيهما الغلو وغيره من مظاهر الانحراف وهما كتاب(علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين) ورسالته لرئيس الوزراء هما مما كتب في هذه الفترة.

---

(١) انظر ص ٧٧

(٢) انظر ص ٣٧٥

(٣) انظر رسالة المجاهد الأكبر ٩٤

الفترة الرابعة: العودة إلى العراق
١٣٦٩هـ حتى١٣٨٣ هـ/ ١٩٤٩م حتى ١٩٦٣م.

بعد أن قضى الخالصي فترة تقارب سبعاً وعشرين سنة في منفاه "إيران"، سمح له بالعودة إلى العراق في عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م. وللوقوف على معالم هذه المرحلة نقف مع أبرز سماتها.

أبرز السمات العامة.

١. نشاط الحركة القومية في البلاد العربية وخاصة العراق.

في هذه الفترة عاشت المنطقة العربية ثورة الدعوة للقومية العربية، التي ساعد على نموها ضعف الدين، وإسقاط الحكم التركي الذي ظهر ضعفه العسكري والحضاري أمام حضارة الغرب الغازية، كما أن تسلط المحتل الكافر على الناس جعلهم يبحثون عن هوية يقاومون بها المحتل، فلم تكن هي الهوية الدينية لشدّة بعد الناس عن الإسلام ولغلبة الافتتان بالمادة.

وقد كان العراق يعج بالزعماء القوميين السوريين والفلسطينيين والمصريين الهاربين من اضطهاد الانكليز والفرنسيين، وهو ما أوجد شعوراً عاماً في البلاد العراقية بالوطنية العربية، لاسيما في ظل تنامي الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين(١).

٢. نشاط الأحزاب العراقية.

بعد تنامي الحركات المعارضة للحكومة الموالية للإنجليز في العراق وما نتج عنها من انقلابات وثورات وطنية -وأبرزها ثورة الكيلاني التي تصالحت مع ألمانيا- رأى الإنجليز ومعهم "وصي الملك فيصل الثاني"(٢) أن يمنح العراقيين

---

(١) تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ١٩٦.

(٢) نودي بالملك فيصل الثاني ابن الملك غازي ملكا على البلاد عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، بعد مقتل والده في

بعض الحرية، ففتح الباب لتكوين أحزاب رسمية، كان أهمها: حزب الاستقلال، وحزب الأحرار (وهما ضد الشيوعية)، وحزب التحرير الوطني (وهو حزب شيوعي)، و الحزب الوطني الديمقراطي، وغيرها.

ولكن هذه الأحزاب ذابت جميعا أمام طريقة الحكم العراقي الذي يسيطر عليه الوصي (عبد الإله) مع حكومة نوري السعيد بطريقة تميزت بالبطش والقمع لكل مخالف(١).

٣. الثورات الشعبية.

مع ما تعرض له الشعب العراقي في تلك الفترة من القمع على يد الإنجليز أولا ثم على يد عملائهم بعد ذلك، إلا أن نفوس العراقيين كانت مليئة بالحس الثوري، الذي يذكيه ممارسات عملاء الإنجليز القمعية، كما يذكيه الأحداث الدولية لاسيما أحداث فلسطين.

وأبرز هذه الثورات التي قامت في هذه الفترة (المرحلة الرابعة من حياة الخالصي) انتفاضة عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م، والتي طالب فيها الشعب بتعديل قانون الانتخاب، وإصلاح الأحوال، وقد انتهت الانتفاضة بقضاء الجيش عليها.

ثم بعد ذلك حدثت ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨م) الموافقة لـ٢٧/١٢/١٣٧٧هـ والتي انتهت بالقضاء على الحكم الملكي وقتل الملك والوصي السابق ونوري السعيد، والإعلان عن قيام النظام الجمهوري، وأصبح عبد الكريم قاسم رئيساً للحكومة، وعين عبد السلام عارف وزيراً للداخلية.

ثم حدث انقلاب آخر في ١٤/٩/١٣٨٣هـ /١٩٦٣م أطاح بعبد الكريم قاسم وتسلم الحكم بعده عبد السلام عارف(١).

حادث سيارة غامض، ثم توج الملك فيصل الثاني ملكا عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م. المرجع السابق ١٩٥، ٢٠٠.

(١) تاريخ العالم الاسلامي ١٩٩.

٤. وضع المرجعية الشيعية العليا في العراق.

عاشت المرجعية العليا–المتمثلة في آية الله العظمى محسن الحكيم– في هذه الفترة في وضع يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

الإيمان بمبدأ أن الواجب على الشيعة هو نشر التدين وليس إقامة الدولة(٢).

- العمل الثقافي الفكري المتمثل في زيادة عدد المبلغين (دعاة المذهب) بعد إعدادهم، و تأسيس جماعة علماء بغداد والكاظمية، وتأسيس مكتبات ثقافية شيعية في أنحاء العراق ونحوها(٣).
- الإيمان بعدم مشروعية إقامة صلاة الجمعة قبل ظهور المهدي(٤).
- العلاقة الحميمة بين شاه إيران والحكيم(٥).
- معارضة المراجع المستقلين الذين يدعون إلى التجديد أو الدخول في السياسة وأبرزهم: محمد الخالصي،و عبد الكريم الجزائري، وإن كانت درجة المعارضة لكل واحد بحسب قربه وولائه للمرجع الأعلى.

أبرز السمات الخاصة:

١. الوقوف أمام الشيوعية.

كان للخالصي دور بارز في العراق في مقاومة الفكر الشيوعي الذي بدأ يتغلل في صفوف العراقيين، إذ لم يكتف الخالصي بإطلاق حكم الكفر على الشيوعية، بل ساهم ببيان أوجه الخلل في الفكر الشيوعي وهو ما يتطلب الاطلاع

---

(١) المرجع السابق ٢٠١.

(٢) يقول محسن الحكيم:" إن تكليفنا هو أن ننشر التدين وننشر الإسلام فقط، وننتظر ظهور الحجة(عجل الله فرجه) وليس تكليفنا أن نقيم دولة" العمل الاسلامي في العراق ١١٠ نقلا عن صفحات من حياة الداعية المؤسس الاستاذ الحاج محمد صالح الاديب ص٥٦.

(٣) المرجع السابق ١١٠.

(٤) المرجع السابق ٣٣.

(٥) المرجع السابق ١٠٥.

والوعي الفكري القادر على توصيف الخلل والعلاج الإسلامي المقنع ،وهو ما كان ينقص أكثر المراجع بسبب تمسكهم بالمنهج المعرفي التقليدي[١].

٣. محاربة بعض مظاهر الغلو والابتداع.

واصل الخالصي في العراق جهوده في نقد مظاهر الغلو والابتداع التي تفشت بين أبناء الطائفة بقصد تنقية التشيع مما لحقه من الانحراف الذي يعده الخالصي من أكبر أسباب تخلف المسلمين، وانصرافهم إلى الأفكار الإلحادية والعلمانية المنابذة للدين، وهذا ما جعل كثيرا من المراجع يقفون من الخالصي موقفاً عدائياً.

٤. إقامة صلاة الجمعة.

ما إن وصل الخالصي إلى الكاظمية حتى بدأ بإقامة صلاة الجمعة التي كانت معطلة بين الشيعة في العراق، فبدأ بإقامتها في الكاظمية ببغداد، ثم في جامع براثا، ثم في منطقة المدائن، ثم ذهب إلى كربلاء وأقام الجمعة في جامع الكوفة الكبير لأول مرّة، وكان يردد في خطبه هذه شعار العودة إلى الإسلام الصحيح ورفض الاستعمار.

وقد لقي الخالصي معارضة شديدة من المراجع الشيعة جراء إحيائه لهذه الشعيرة المعطلة، وعلى رأسهم المرجع الأعلى محسن الحكيم الذي لا يرى إقامة الجمعة إلا بوجود إمام المعصوم أو من يوكله الإمام.

ه. السعي عملياً إلى الوحدة بين الشيعة وأهل السنة .

كثيرون هم أولئك الذين يرددون شعار الوحدة بين أهل السنة والشيعة، ولكن القليل هم الذين يسعون إلى ذلك عملياً.

---

(١) كما أن محمد حسين كاشف الغطاء -وهو من أقران الخالصي-من رموز الشيعة الذين كانت له مساهمات واضحة في مقاومة الشيوعية فكريا وبيان الخلل الذي فيها، ثم إنه جاء بعدهم محمد باقر الصدر فكان له دور بارز في توعية أبناء الطائفة بفساد الفكر الشيوعي وتوصيف الفكر الاسلامي -كما يعتقده-بكتبه الفكرية(فلسفتنا) و (اقتصادنا) وغيرها. انظر كتاب: العمل الاسلامي في العراق لعادل رؤوف٢٦-٣١.

وقد كان الخالصي من القلة الذين سعوا في العراق إلى وحدة بين المسلمين من خلال برنامج واضح يقوم على أسس فكرية وعملية كان أبرزها:

أ- تبني شعار تنقية الإسلام من البدع والانحرافات والخرافات التي لحقت به، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة الصحيحة ، وهو ما تبناه الخالصي عمليا في بعض الجوانب المتعلقة بالتوحيد كما سيتبين لاحقا بإذن الله(١).

ب- فتح باب الحوار بينه وبين علماء السنة، فقد قام بمراسلات مع علامة الشام محمد بهجت البيطار والشيخ محمود الملاح.

ت- تنسيق العمل والمواقف السياسية مع قيادات أهل السنة في العراق، وعلى رأسهم أحمد الزهاوي-مفتي العراق- ونجم الدين الواعظ، وفؤاد الآلوسي، وعبد العزيز البدري الذي كانت تربطه به علاقة قوية جداً، كما أن بينهما تنسيق جيد في المواقف السياسية.

ث- إقامة صلاة الجمعة الموحدة بين أهل السنة والشيعة.

وقد اعترف بعض الناقدين الشيعة بانفراد الخطوات الخالصية في صفوف الشيعة في تبني حوار جاد نحو وحدة جادة، إلا أنها بقيت محاولة جوبهت بالحرب من قبل الكثيرين، وصلت إلى حدّ وُصف معها الخالصي بالتسنن من قبل بعض الشيعة(٢).

وقد شكك بعض من أهل السنة في نوايا أَصحاب أي خطوة من هذا القبيل، [يحذف] والمفترض أن نعلم أننا غير مسؤولين عن النوايا، كما أننا يجب أن نكون جادين ومنصفين في تقييم أي خطوة من هذا القبيل.

وبوضع هذه الخطوات الخالصية في الميزان نجد أنها تميزت بما يلي:

- تبني نقد التراث المذهبي.

---

(١) المرجع السابق (رسالة)٨٤-٨٦.

(٢) عراق بلا قيادة ١٥٧، ٣٧٣.

- محاربة بعض الاعتقادات المنتشرة بين الشيعة بجهود بعض مراجع الخرافة. إلى درجة جعلت بعض الشيعة يتهمه بالتخلي عن بعض الضروريات.
- فتح باب الحوار مع بعض علماء أهل السنة ، في مراسلات اتسمت بالصراحة. والبعد عن التقية، من أجل الوصول إلى الوحدة التي يتبناها.

ففي مراسلات الخالصي مع البيطار، نجده يقر بموقفه الواضح حيال بعض المسائل الأساسية كموقفه من الصحابة مثلا، مما يدلل على جديته في طلب الوصول إلى موقف موحد، خلافا لكثير من الذين يتبنون موقفا يقوم على التقية وإخفاء الحقائق، ومع ذلك يدّعون أنهم يريدون الحوار وينشدون الوحدة الإسلامية.

- كما أن قبول الخالصي بنتائج مواقفه النقدية للمذهب، المتمثلة بحرب الاتهامات والتضليل، والافتراءات الرامية إلى إسقاطه، كل هذا يدل على قدر من الجدّية والمصداقية فيما يدعوا له.

وأخيراً فإنني لم أرد بما ذكرت عن الخالصي أن أبين بأنه يمثل النموذج الكامل في الدعوة إلى الوحدة، ولكنني أردت أن نكون أكثر إنصافا،وأن يتضح أن الخالصي -بدلالات ما ذكرت- كان أكثر جدية من غيره في هذا الجانب، وهو ما يجب أن يُعترف به للخالصي، مع أهمية التنبه إلى الثغرات الواضحة والملاحظات العلميةالتي ستأتي إن شاء الله.

وبالعموم فإن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لاشك بأنها مطلب رباني دل عليه قوله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا))، وأن الداعي إليها والمطالب بها محمود، ولكن لا بد من أمرين مهمين:

الأول: أن تكون الدعوة صادقة وجادة، وهو ما نجده بدرجة كبيرة عند الخالصي.

الثاني: أن تكون الوحدة مبنية على الاعتصام بحبل الله، وهو كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "حبل الله القرآن"(١) وعلى هذا دل حديث زيد بن أرقم رضي الله

---

(١)الطبري٣/٣٧٩ رقم٧٥٦٧.قال حكمت بشير: رجاله ثقات وإسناده صحيح(التفسير الصحيح١/٤٤٤).

عنه وفيه" كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض.."[1]. وفسر أبو العالية حبل الله بأنه "الاخلاص لله وحده"[2]. **وجماع ذلك الاعتصام بالقرآن وما قرّره من إخلاص العبادة لله وحده، لأن الاختلاف إنما ينشأ عن مخالفة الدين الصحيح**[3].

فكل من كان في دعوته إلى الوحدة أقرب للتمسك بالقرآن وإخلاص العبادة لله بنبذ الشرك والغلو"قولا وعملا" فإنه أقرب للإصابة وأحسن في السداد.

والخالصي بلا شك- وإن كان عنده خلل في أبواب كما سيأتي- إلا أنه رفع لواء محاربة الغلو وبعض مظاهر الشرك،فهو أسدّ وأصوب ممن يتغنى بالوحدة وهو لا يزال يدعوا للغلو والخرافة وتصرف الأئمة بالكون، والذي يظهر والله أعلم أن الخالصي كان جادًا في طلب الوحدة بين السنة والشيعة، ولكن يبقى السؤال المهم: كيف تعامل أهل السنة مع دعوة الخالصي؟، وهو ما سيأتي نقاشه في الباب الأخير بإذن الله تعالى.

---

(١)الترمذي٥/٦٦٣ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠).

(٢) ابن أبي حاتم(٣/٧٢٤ رقم ٣٩١٩،قال حكمت بشير: سنده جيد(التفسير الصحيح١/٤٤٤).

(٣)انظر فتح القدير١/٤٦٤.

المبحث الثالث:
أسباب تحولاته المحمودة

لعل من أهم أسباب تبني الخالصي لتوجهاته المحمودة في تنقية المذهب؛ ما يلي:

السبب الأول: أثر والده.

لقد كان المرجع محمد مهدي على نمط خاص في أفكاره، فهو مع الميرزا الشيرازي من أبرز المؤسسين -في الجانب الشيعي- لثورة العشرين على الإنجليز، كما أنه لم يقبل عرض الانجليز عندما قامت الثورة وأرسلوا له سكرتير المندوب السامي "محمد حسين الكابولي" لما جاء إليه فعرض عليه استعداد الدولة الإنكليزية أن تعطي الشيعة حقهم كي ينتقموا من أهل السنة الذين ظلموهم في العهد العثماني وغيره -لأنه يعلم أن قصد الانجليز خلخلة الصف العراقي الثائر عليهم وهو ما لا يعتبره الخالصي هدفاً له-، وفي المقابل أرسل السكرتير إلى الشيخ يوسف السويدي والشيخ أحمد داود والشيخ إبراهيم الراوي يحذرهم من عاقبة الثورة، وأنها ستنتهي بتسلط الشيعة على أهل السنة، مما حدا بالخالصي(الأب) إلى أن يصدر بياناً جاء فيه: (إن الانكليز بصدد تفريق الكلمة، وأنهم يطمعوننا بتعيين ملك من الشيعة ليفرقوا بذلك بيننا وبين أهل السنة، فلذلك نعلن على الملأ، أننا لا نطلب ملكاً، وإنما نريد إجلاء الانكليز وحكومة مسلمة، ونستقبل الملك المسلم السني"(١).

كما أن الخالصي (الأب) قد واجه حملة شديدة عندما أبدى مخالفته لما يحدث في مواكب العزاء الحسينية في عاشوراء(٢).

---

(١) مجلة رسالة الاسلام -جمادى الأول١٣٧٣هـ/١٩٥٤م (مقال الطوائف الاسلامية في العراق) لمحمد الخالصي ص ٥٨.

(٢) يقول فؤاد ابراهيم: "كتب ضد الشيخ الخالصي نحو خمسة عشر كتابا، لأنه أبدى ملاحظات على الطقوس الشيعية، من بينها: المجالس الحسينية، ومواكب العزاء، فانفجرت العامة في وجه الخالصي، وأصدر بعض العلماء الشيعة فتاوى بتكفيره، وتعرض لحملة تعبوية ضارية..". انظر مجلة

والذي يهمنا هنا أن يتضح أن محمد مهدي(الأب) كان مرجعاً لم يخرج عن كونه شيعياً إمامياً، ولكنه تميز بسمات خاصة تختلف كثيراً عن أغلب علماء الشيعة في زمنه، اتضحت في موقفه العملي تجاه الوحدة في مواجهة الإنجليز، وقد كان لمثل هذه المرجعية الشيعية أبلغ الأثر في دفع محمد الخالصي(الابن) إلى تبني أفكاره الإصلاحية(١).

السبب الثاني: تبنيه للدعوة العالمية.

تبنى الخالصي الدعوة العالمية بعيدا عن الأطر الضيقة، وهذا واضح في أفكار الخالصي التي تمثلت في ممارسته الدعوة مع طبقات و أجناس متعددة، شملت العامة، ورجال السياسة المسلمين، وغير المسلمين، وعرض مشروعه الدعوي السلمي على عدّة دول- عن طريق سفرائها في طهران-، وهو ما يتجلى في تصريحه-الذي سبق- بأنه بعد تخليه عن طريق المقاومة السلمية أصبح يفكر بالدرجة الأولى في دعوة البشر دعوة عامة إلى التفكر فيما يصلحهم وينفي الفساد عنهم، وإلى تدبر آيات القرآن ونصوص السنة الصحيحة(٢)، وأنه من أجل الوصول إلى هذه النتيجة يجب أن ينظر إلى جميع البشر نظرة العطف والحنان. وإلى جميع بلاد الدنيا بنظرة الوطن الواحد بعيداً عن كل حدود دولية أو لون بشري أو جنس أو عرق(٣).

وقد قاد هذا التفكير محمدَ الخالصي إلى البعد عن النظرة المحدودة في إطار الطائفة، بل جعله يتبنى جميع المكاسب "الإسلامية" عالميا،كما أن هذا الهدف الكبير جعله وبلا ريب يتبنى "تشيعاً"بعيداً عن الغلو والخرافة الظاهرة، حتى يقدم مذهباً مقنعاً للبشرية التي دخلت في مرحلة جديدة تتسم بالتقدم الذي لا يقبل التخلف والخرافة والغلو.

ولعل هذا الهدف العالمي الكبير هو ما جعل الخالصي لا يبالي بالخسارة التي أدرك حتماً أنها ستلحقه داخل صفوف الطائفة الأمامية - وأقصد الخسارةَ المتمثلة في حرمانه

الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام.www.alwaha.com/issuel/is٠١sb١٣.htm

(١) يحاول بعض خصوم الخالصي الفصل بين محمد الأبن ووالده، من خلال اختلاق مواقف مكذوبه، وتحليلات لا يقبلها العقل ولا التاريخ، انظر ص ٤٢٥-٤٢٨

(٢) رسالة المجاهد الأكبر٨٥.

(٣) رسالة المجاهد الأكبر٨٦.

من الوصول لكثير من امتيازات المراجع العليا الرياسة والمالية وغيرها-، والتي تصاغرت في تفكيره في ظل هدفه العالمي حتى أنه لم يعبأ بها في جميع قراراته ومواقفه ، التي بدأت بنقد شجاع للأفكار الغالية وانتهت في آخر مواقفه التي افتأت بها على مراجع الشيعة في العراق حينما تحالف مع الرئيس عبد السلام عارف(١).

هذا ما ظهر لي في أهم الأسباب التي دفعت الخالصي إلى فكرة الإصلاح ومحاربة الغلو داخل المذهب الإمامي الاثني عشري، والله أعلم.

---

(١) انظر لاحقاً ص ٤٢٥-٤٢٨

المبحث الرابع: آراء الخالصي

المطلب الأول:
مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يؤكد الخالصي على أن أهم قضية ركز عليها القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة الأطهار هي التوحيد، حيث "لم يُؤكد على قضية في الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة مثلما أكد على موضوع التوحيد ونفي الشرك بأي اسم أو شكل"(١).

كما يرى الخالصي أن "الإسلام دعا إلى التوحيد الخالص المتره و المبرأ من أي شكل من أشكال الشرك والغلو"(٢).

ولهذا وقف محمد الخالصي موقفاً واضحاً حيال بعض المسائل العقدية التي رأى أنها تخالف التوحيد الخالص الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم والأئمة رضوان لله عليهم أجمعين.

١. نسبة علم الغيب للأئمة.

يرى الخالصي بأن الله وحده هو المستأثر بعلم الغيب، وأنه جل وعلا لم يعط هذا العلم لأحد سواه(٣).

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤١٥.

(٢) المرجع السابق ٤١٥.

(٣) المرجع السابق ٣٨٨ و٤١٨.

ويذكر رحمه الله "أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفي عنه علم الغيب"(١)، كما يستدل الخالصي بقوله تعالى : ((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ))[النمل٦٥] على "أن علم الغيب مختص بالله تعالى وليس من أحد في السماوات والأرض عنده هذا"(٢).

وعندما عدد هادي بن محمد الخالصي البدع والخرافات التي حاربها والده جعل أولها "نسبة علم الغيب لغير الله تعالى وأن (محمداً صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي(عليه السلام) يعلمان الغيب"(٣).

ويرى الخالصي أن هذا القول إنما نشأ على يد بعض الغلاة الذين لعنهم الأئمة بسبب كذبهم عليهم ونسبتهم إلى الأئمة شيئاً من قبيل العلم بالغيب ونحوه، من أمثال أبي الخطاب(٤) والمغيرة بن سعيد(٥) والمفضل بن عمر النخعي(٦).

وهنا نجد أن الخالصي رحمه الله قد وقف موقفاً صحيحاً تجاه هذه المسألة التي أخطأ فيها كثير من علماء الإمامية حين نسبوا علم الغيب للأئمة رحمهم الله.

---

(١) المرجع السابق ٣٨٨

(٢) المرجع السابق ٤٢٤.

(٣) المرجع السابق٣١.

(٤) أبو الخطاب: هو محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع الأسدي الكوفي أو محمد بن أبي ثور، يكنى بأبي الخطاب- وهو أشهر ألقابه- وبأبي الظبيان وبأبي إسماعيل، أظهر التشيع وعاصر الباقر والصادق وكان يتردد عليهما، جاهر بمعتقدات الغلاة مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه ويطرده من مجلسه، وقد صلبه والي الكوفة عيسى بن موسى سنة ١٣٨هـ.انظر فرق الشيعة للنوبختي ٥٧، الملل والنحل للشهرستاني ١٧٩/١،الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١٨٧/٤، معرفة رجال الكشي١٨٧-١٨٩.

(٥) هو المغيرة بن سعيد البجلي يكنى بأبي عبد الله، من الغلاة الكذابين الذين يدسون الأحاديث في كتب أصحاب الباقر رحمه الله، قال فيه جعفر الصادق رحمه الله: "برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان فإنهما كانا يكذبان علينا أهل البيت"، قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١٢٠ه،.انظر ميزان الاعتدال للذهبي٤/١٦٠-١٦٢،جامع الرواة للأردبيلي٢/٢٥٥-دار الأضواء لبنان-، معجم رجال الحديث للخوئي١٨/٢٧٥-٢٧٦.

(٦) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٣٤.

ردّه على دليل المخالفين:

ويقف الخالصي على دليل المخالفين في هذه المسألة -ممن يثبت العلم بالغيب للأئمة-، وهو قوله تعالى: ((عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ))الآية[الجن٢٦-٢٧] فيوضح رحمه الله أن الآية تدل على أن المذكورين في الآية بقوله(من رسول) قد"أطلعهم على مقدار من الغيب" ثم يستطرد الخالصي ليوضح أمثلة لذلك فيذكر قوله تعالى: ((تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ))[هود٤٩].

ثم يذكر قول يوسف عليه السلام: ((قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ))[يوسف٣٧].

ثم يستدل الخالصي بقول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ((وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))(١) [يوسف ٨٦].

كما يشير الخالصي إلى قول نوح عليه السلام عليه السلام ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))[الأعراف ٦٢](٢).

---

(١) هذا الاستدلال لا يصلح إلا إذا فسرنا الآية بما روي عن ابن عباس من أن المشار إليه في قوله(وأعلم من الله ملا تعلمون)أي علمه بصدق رؤيا يوسف، أو على من تفسر ذلك بعلم يعقوب بعدم موت يوسف فقد رووا أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف ؟ قال :لا.

ولعل الأقرب-والله أعلم- أن هذه الآية لا تصلح دليلا في مثل هذا الموضع لأن سياق الآية يدل على أن يعقوب يقصد علمه بسعة رحمة الله وفرجه ، ولهذا ذكر عليه السلام أولا شدّة بثّه- الذي هو غمه-وحزنه ، ثم أخبر عن إيمانه بحسن ظنه بالله بقوله(وأعلم من الله مالاتعلمون) قال قتادة: إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب حسن ظني به، وقد اختار هذا ابن كثير والقاسمي والشوكاني. راجع: (تفسيرالطبري ٢٨١/٧رقم ١٩٧٢١)و(تفسير ابن ابي حاتم٢١٨٩/٧رقم١١٩٠٨) (القرطبي ١٦٥/٩) (تفسير ابن كثير ٤٤/٤)،(تفسير القاسمي٢١١/٦)، (تفيسر الشوكاني٦١/٣).

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٩.

فالخالصي -من خلال ما سبق- يريد أن يبين أمرين:

الأول: أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، وأنه لا يقال بأن أحدا يعلم الغيب غير الله.

الثاني: أن الله تعالى قد أطلع بعض عباده على بعض الغيب، ومن ذلك:

أ- إعلامهم ببعض أخبار الأمم السابقة-التي يجهلها قومهم- وهو المشار إليه في الآية الأولى ((تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا))، وكما قال جمع من أهل العلم فإن الله أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بما كان غائبا عنه وعن قومه ومنها خبر نوح وقصة الطوفان(١).

ب- إخبارهم ببعض الموجودات الغائبة عن بعض الناس، وهو ما يسمى بالغيب النسبي، كما في قول يوسف عليه السلام((لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا)) حيث تدل الآية-على أحد القولين المشهورين فيها(٢)- على أن يوسف عليه السلام أخبرهما بأنه يستطيع أن

---

(١) انظر تفسير الطبري ٥٦/٧، وتفسيرابن كثير٤٤٩/٢، وبمثلهم قال المجلسي في البحار١٠٤/٩و١٨٨/١٧.

(٢)ورد في تفسير الآيةقولان مشهوران:

الأول:(لا يأتيكما طعام ترزقانه) يعني في المنام (إلا نبأتكما بتأويله) يعني في اليقظة، وهذا مروي عن السدي وابن اسحاق واختاره ابن جرير ،وابن عطية ورجحه ابن تيمية(الطبري٢١٥/٧)(المحرر الوجيز٣٠٠/٩-٣٠١)(مجموع الفتاوى٣٦٥/١٧-٣٦٦).

والثاني: هو أنه لا يأتيكما طعام في اليقظة إلا أخبرتكما عنه-نوعه ولونه ونحوه- قبل أن يأتيكما، وهذا مروي عن ابن عباس -في أثر قال عنه ابن كثير غريب- وروي عن الحسن واختاره الشوكاني والقاسمي (زاد المسير١٧٢/٤) (تفسير ابن كثير٤٧٨/٢) (نفسير البغوي٢٤٢/٤)(تفسير القرطبي١٢٥/٩)(تفيسر ابن جزي٤١٦/١) (فتح القدير٣٣/٣) (محاسن التأويل١٧٥/٦).

واختار السعدي قولا آخر هو أنه سيخبرهما بتعبير رؤياهما قبل وصول إي طعام إليهما.(تفسير

يخبرهما بما سيأتيهما من الأكل -سواء من بيوتهم أو غيرها- وأن هذا من الغيب النسبي الذي يعلمه يوسف بالوحي وليس بعلم ذاتي يجعله قادراً على الإخبار بكل مغيب، ومن جنسه قول المسيح عليه السلام ((وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ))[آل عمران٤٩]. والذي يجعل هذا الغيب من الغيب النسبي هو أنه مما يعلمه غير يوسف عليه السلام كأهلهم أو من سيأتيهم بالطعام. وهذا من الفوارق المهمة بين علم الله تعالى التام الذي يشمل "الغيب المطلق" الذي لا يعلمه أحد سواه-كوقت الساعة مثلا، وبين "مطلق الغيب" -كمكان الضالة ونوع الأكل المدخر مثلا- وهذا مما يطلع الله من يشاء من عباده على بعضه لحكمة ربانية. فسبحان العليم الخبير.

ضابط مهم

ومما ينبغي أن يقرر هاهنا كضابط من ضوابط المنهج الإسلامي في التعامل مع عموم المعجزات النبوية وكرامات الأولياء ومنها ما يتعلق من إطلاع الله بعضهم على بعض الغيب سواء بالوحي أو غيره-هو **أن إثباتها لا ينبغي أن يكون سبيلا للغلو في ذلك الصالح بل ينبغي أن يكون سببا لتعظيم الرب المؤيد لهذا العبد، وقائدا لتصديق ذلك الصالح في دعوته لما اقترن بها مما لا يقدر عليه ببشريته الناقصة.**

وعلى سبيل المثال: لما تعاهد عمير بن وهب مع صفوان بن أمية على أن يقتل الأولُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم-وكان حديثهما حول الكعبة- ذهب عمير إلى المدينة متظاهرا بأنه جاء ليفتدي ابنه المأسور في أعقاب غزوة بدر، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دار بينه وبين صفوان في مكة، فما كان من صفوان إلا أن أسلم، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يفقهوه في دينه(١)، ومن هذه القصة وأمثالها مما هو معروف في السيرة نعرف أن إطلاع الله بعض عباده على

السعدي٣٩٨).

(١)سيرة ابن هشام٣/٦٤، دلائل النبوة٣/١٤٧-١٤٩.

الغيب ثابت، كما نأخذ منها أن ذلك كان سببا لإسلام بعض الكفار، وهو ما يعني كون ذلك الإخبار كان مؤيداً لهم في نشر الدين، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره كان يصرّح بأنه لم يكن يعلم الغيب، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير، ولما ذهب إلى مواقع تدمى فيها جبهته الشريفة وتكسر فيها رباعيتيه، ونحوها مما يفيدنا أموراً هي:

الأمر الأول: أنه لا يعلم كثيرا من الغيب، الذي يخصّه، وإلا لما وقع له كثير من الأذى الذي كان يسعه التخلص منه، كما قال تعالى: ((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ))[الأعراف ١٨٨]، ومثله في هذا كثير من أولياء الله كعلي رضوان الله عليه، الذي لحقه كثير من الأذى والهزائم، والخيانات من أقوام وثق بهم ثم تبين له خيانتهم، وكالصادق الذي وثق بأبي الخطاب وقربه منه ثم تبين له غلوه فكتب إلى الأقطار في لعنه والبراءة منه.

الأمر الثاني: أن الغيب الذي يعلمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و غيره، كان من جنس المعجزات المؤيدة للدعوة، سواء للكفار لكي يسلموا أو للمؤمنين ليزدادوا إيمانا.

الأمر الثالث: أن الخوارق والمعجزات، لم تكن هي الأصل في طبيعة الرسالات السماوية، بحيث يظهر التي على خلاف قول الرسل ((إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ))[الكهف: ١١٠]، وهو ما يعني كونهم لا يملكون شيئا من الآيات إلا أن يشاء الله، وهو ما ذكره الله عن كثير منهم، في قولهم ((قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ))[الأنعام١٠٩] وقد فسّر ابن كثير هذه الآية بقوله: "إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم"(١).وقال الشوكاني: "ليس عندي من ذلك شيء ، فهو سبحانه إن أراد إنزالها انزلها، وإن أراد أن لا ينزلها لم ينزلها"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير٢/١٦٤.

(٢) فتح القدير٢/١٩٠

فانحصر الاشكال الذي قد يقع في أمور:

الإشكال الأول: أن نثبت قدراً من العلم بالغيب لم يثبت علمهم به أصلاً، كقول الكليني في أحد أبوابه: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء[1].

الإشكال الثاني: أن تُجعل هذه الأخبار سبيلاً إلى إثبات أن ذلك العبد يعلم كل الغيب، وإنما هي تدل على علم بجزء بسيط منه، كأن يقال بأن عيسى عليه السلام يعلم الغيب كله، بدلالة قوله تعالى((وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ))[آل عمران٤٩]، وهذا تحميل للدليل بما لا يحتمل.

الإشكال الثالث: أن يجعل ذلك سبباً للغلو في ذلك العبد، مع أن الصحيح أن يجعل ذلك سبباً لتعظيم الله، والإيمان بالرسالة التي جاء بها، مع محبته لما يُرى من تأييد الله تعالى له.

٣. نسبة التصرف في الكون للأئمة (الولاية التكوينية)

أنكر الخالصي على من نسب لأحد من الرسل أو الأئمة رحمهم الله التصرف في الكون بالتدبير أو الخلق أو الرزق[2]، وعدّ هذا القول من الغلو الذي نهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل والأئمة كذلك[3].

---

(١) الكافي١/٢٦٠

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣١،

(٣) المرجع السابق ٣٨٨ و٤١٦-٤١٧

وقد بيّن الخالصي أن هذا القول روّج له الغلاة الذين ورد عن الباقر والصادق عليهم السلام لعنهم بسبب إسنادهم للأئمة الرزق ونحوه من الأمور المختصة بالله. واختلاقهم الأحاديث المكذوبة لتأييد هذا الغلو.

كما رد الخالصي على بعض غلاة الطائفة الإمامية في هذه المسألة وهم فرقة الشيخية الذين يقررون بأن الله تعالى لا يخلق و لا يرزق بنفسه بل إن ذلك موكول إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الأئمة بحجة تتريه الله عن الحركة، واعتبر الخالصي أن قولهم هذا أشد انحرافاً من انحراف المشركين الذين أخبر الله عنهم في آيات كثيرة أنهم إذا سئلوا: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ))[الزخرف:٩] بينما يدعي الشيخية أن الله تعالى لا يقدر على أن يخلق بنفسه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً(١).

ويوضح الخالصي أنه قد ورد بكثرة إسناد الله بعض الأعمال لبعض المخلوقات، كقبض الأرواح الموكل لملك الموت ونحوه من الأعمال، غير أن الخالصي يوضح أن هذا لا يصلح أن يكون دليلا للقول بأن أحداً غير الله يتصرف بالكون، لأن الأعمال التي ثبت إسنادها من الله لبعض خلقه "تشبه تماما نسبة بعض الأفعال إلينا، أي كما أن الله أعطانا قدرة كي نتحرك ونمشي وننجز بعض الأعمال كذلك أعطى الملائكة والنبي والأئمة(٢) قدرة للقيام بأفعال أكثر وفوق ما اعتاد البشر، ومتى أراد أن يسلب منهم هذه القدرة فإنه ليس باستطاعتهم القيام بأي عمل.."(٣).

---

(١) انظر علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٢٦٩-٢٧١.

(٢) مما ينبغي أن يقال: أن إثبات أن الله أعطى أحداً من خلقه شيئا من القدرة الزائدة على غيره لا يثبت إلا بدليل، فإثبات ذلك للملائكة والنبيين جاء في آيات وأحاديث صحيحة ولكن لم يثبت أن الله أعطى أحد الأئمة الاثني عشر قدرة خاصة. والله أعلم.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٩.

والخلاصة هي أن الخالصي ينكر أن يوصف أحدٌ غير الله بالتصرف بالكون أو الخلق أو الرزق، كما يرى بأن ما ثبت من تصرف بعض الخلق في بعض الأشياء فهو مقيد بقيود:

الأول: أن الله هو الذي أسند له هذا العمل المحدود.

الثاني: أن الله هو المعين للعبد في القيام بذلك العمل، وأنه سبحانه يسلب منه قدرته عليه متى شاء، فالعبد لا يستقل به لا ابتداء ولا انتهاء.

الثالث: أن إسناد الله لبعض خلقه أو أمرهم بالقيام ببعض الأعمال هو مماثل للأعمال التي يقوم بها غيرهم من البشر، كتحريك الحجر، وقلع الشجر الذي هو مرده إلى التصرف ببعض الخلق.

وعلى سبيل المثال :قيام ملك الموت بنزع الأرواح أو تسيير ملك السحاب للسحاب إنما قاما بعد أمر الله لهما بذلك، والملك لا يستقل بذلك، بل يفعل ما يشاء الله في كل وقت وأي تصرف، ثم هو يتصرف بالقدرة التي أعانه الله بها على القيام بذلك الفعل، والتي يسلبها الله منه متى شاء، فعاد تصرفه فيها-كما يقول الخالصي- إلى مماثلة تصرف أي مخلوق آخر كرفع الرجل للحجر أو قلعه للشجر الذي لا يستطيع أن يقوم به إلا بقدر الله ومشيئته السابقة، ثم بإعانة الله له وقت الفعل، لكن الفرق بين فعل العبد والملك هو مستوى القدرة على الفعل المعين،وهذه من القدرات التي يوزعها الله على عباده سبحانه.

وأما تفاوت القدرة بين العباد وبين الأنبياء في بعض الخوارق التي قامت على أيديهم فإن ذلك يختلف عن الفرق بين العبد والملك لأن الرسول بشر وهو في الخارق الذي قام على يده لم يخرج عن كونه بشر، ولكن الله يقيم على يديه المعجزات التي قد يبهر بها هو أيضا كما بهر موسى لما رأى عصاه انقلبت إلى ثعبان مبين، وهذا ما يدل على أن قيام الخارق على يد النبي لا يكون بقدرته أبداً، خلافاً للملائكة أو حتى الجن الذين أعطاهم الله قدرات لم يعطها البشر فهي مثل العقل الذي أعطاه الله البشر و لم يعطه الحيوان. والله أعلم.

المطلب الثاني:
مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

انتقد الخالصي في كتبه وخطبه كثيرا مما يقع على يد من يعتبرهم من (الغلاة) كترويجهم لصرف بعض العبادات لغير الله تعالى، ومن ذلك:-

أولا: الدعاء والالتجاء إلى غير الله تعالى:

لقد وفق الله الخالصي لبيان أن التوحيد الذي جاء به الإسلام ينهى عن التوجه لغير الله تعالى بالدعاء كائناً من كان(1)، وأن ما يقع فيه بعض الجهلة على سبيل المثال من قولهم فيما يسمونه دعاء الفرج : (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد اكفياني فإنكما كافياي)(2) يخالف التوحيد الخالص الذي كان عليه الأئمة رضوان الله عليهم، ويعد الخالصي كل هذا من الغلو وليس من التشيع الصحيح(3).

وقد ذكر رحمه الله وغفر له أنّ "ظاهر مثل هذه الكلمات كفر ومناف لنصوص القرآن، كقوله في سورة الجن: ((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا))[الجن18] وكقوله في سورة الإسراء: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

---

(1) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين32.

(2) هذا الدعاء رواه فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير في كتاب كنوز النجاح ونقله عنه ميرزا حسين النوري في كتاب جنة في ذكر من فاز بلقاء الحجة أو معجزته في الغيبة الكبرى ص275(الحكاية الأربعون)، والكتاب على الموقع التالي:
http://www.ejlasmahdi.com/html/arabic/library_a/jannat٠٥.htm

(3) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين409



أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا))[الإسراء ٥٦-٥٧] أو كقوله تعالى في سورة سبأ: ((قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ))[سبأ٢٢-٢٣] وكقوله تعالى في سورة الزمر: ((أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ **عبده**)) [الزمر:٣٦]، وهكذا آيات كثيرة من القرآن مما تأمر بالتوحيد الخالص وتنهى عن دعاء غير الله .. "(١).

ويرى الخالصي أنّ قوله تعالى: ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا))[الإسراء ٥٧] يدل بوضوح على أن الملائكة والنبيين -[فضلاً عن غيرهم]- ليس لهم القدرة أن يصيبوا أحداً بضر أو يحولوا الضرر عنه، وأن هؤلاء الصالحين الذين لجأ لهم بعض المخطئين "هم يطلبون الوسيلة إلى الله ليتقربوا إليه بالقربة والطاعة، وأنهم يأملون رحمة الله، ويخافون عذابه، لأن عذاب الله شديد وهو حقيق بأن يحذر".

كما يرى الخالصي أن الآيات تدل بوضوح على أن من الخطأ أن يتوجه العبد إلى شخص هو في الحقيقة يتقرب إلى الله بالعمل الصالح خوفاً منه ورهبة.

وهنا يقول الخالصي :"إنه أمر خارج عن العقل والمنطق أن تطلب منه[أي العبد الصالح] الحوائج، وأن ما يطابق العقل والمنطق هو أن تطلب الحوائج ممن يطلب هو الحاجة منه، وإذا كان هؤلاء أتباعا للأنبياء والأئمة فإنهم يجب أن ينظروا من هو الذي يطلب الأنبياء والأئمة الحاجات منه، ومن هو الذي يخافونه ومن ثم يدعونه في طلب

---

(١) إحياء الشريعة للخالصي١/٤٠٨.

الحاجات وأن يخافوا منه، وإذا طلب هؤلاء الناس حاجاتهم من الأنبياء والأئمة وخافوا منهم فإن ذلك مخالفة لهم لأنهم هم لم يطلبوا الحاجات من أنفسهم و لم يخافوا منها"(١).

وقد ذكر الخالصي شدّة عَجَبه من توغل العقائد الفاسدة التي رآها في إيران وعدّ منها "طلب الحوائج من الأحجار، والعيون والأنهار، والقبور البالية والأشجار.. والالتجاء إلى الجمادات حتى المدافع القديمة في الحوائج"(٢).

وأخبر رحمه الله أنه لما كلم بعض العلماء في ذلك وبين لهم "أن هذه نزعة مجوسية يمقتها الإسلام الذي جاء بالتوحيد الخالص، والدعوة إلى أسمى الأخلاق، وأعلى نظم الاجتماع، لم يجرؤ [يعني العلماء الذين كلمهم]على مخالفتها بل يؤولونها تأويلا بعيدا، ويصرفونها إلى مصرف إسلامي بزعمهم شأن الوثنيين إذ قالوا: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ))[الزمر٣] متناسين قوله تعالى: ((أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ))[الزمر٣٦-٣٨].

حتى أن أهل النسك والصلاح منهم يبتهلون إلى الله في أهم حوائجهم بدعاء زعم صاحب كتاب (البلد الأمين) أن رجلاً رآه في المنام فكفي حاجته وفي ذلك الدعاء هذه العبارة: (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، اكفياني فإنكما كافياي، وانصراني فإنكما

(١) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة" ٤٢٢.

(٢) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة" ٩٠

ناصراي)[1]. وفوق ذلك أنهم يلجئون في الحوائج إلى العباس بن علي[2] عليه السلام وأمه (أم البنين)[3]وإلى ابن إمام مجهول أقيم له قبر في (شميران)[4] أو (طهران) أو أحد الصحاري، ورؤس الجبال، أو بعض المدن، ولا تخلو مدينة أو جبل أو قرية في إيران من قبر أو شجرة أو عين ماء أو صخرة أو مغارة يقدسونها ويلجئون إليها في الحوائج، كل ذلك كان على عهد المجوس بشهادة التاريخ وهي باقية إلى الآن و لم يبدل الإسلام منها إلا الاسم"[5].

كما أخبر عن مشاهد أخرى من الالتجاء إلى غير الله تعالى رآها في غير إيران فقال: "تذكرني هذه العقائد بما شاهدته في طرابلس عند احتلال الطليان لها، فإن السنوسيين[6]

---

[1] سئل المرجع المعاصر جواد التبريزي عن هذا الدعاء (دعاء الفرج) فقال :بسمه تعالى؛ لا بأس بذلك لأنّه من باب التوسل بأهل البيت (عليهم السلام) وهم الوسيلة إلى اللّه تعالى، واللّه العالم.
انظر: كتابه "الأنوار الإلهية في المسائل العقدية"-دعاء رجب
http://www.tabrizi.org/html/bo/anwar/٦.htm

(٢) هو العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يكنى أبا الفضل، أكبر أولاد أم البنين، وقد كان وسيما جميلا حتى قيل له: قمر بني هاشم، وقد حمل لواء الحسين يوم كربلاء. انظر: مقاتل الطالبيين٨٩-٩٠.

(٣) هي أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيل-ومن بني عامربن صعصعة-، تزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضوان الله عليها، فولدت له أربعة هم العباس وجعفر وعبد الله وعثمان.(تاريخ الطبري٣/٩٤٠) (مقاتل الطالبيين٨٧).

(٤) منطقة شمال طهران

(٥) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩٠-٩١.

(٦) السنوسية: أتباع محمد بن علي السنوسي المتوفى سنة(١٢٦٧هـ) وهو صاحب دعوة إصلاحية صوفية تصدت للإحتلال الإيطالي في ليبيا وهو الموطن الأصلي للدعوة السنوسية، وقد تبنى السنوسي نبذ الخرافات والبدع والتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجا سلوكيا صوفيا أقرب إلى الكتاب والسنة، إلا أن رفع السنوسي لواء الجهاد ضد الطليان جعل كثيراً من المسلمين

كانوا يزعمون أن مصرف الكون (أحمد البدوي) وأن روحانية السنوسي ستقهر قوّة الطليان، حتى شاهدوا تلك الأرواح المزعومة تلتهمها أفواه مدافع الطليان، وعلى هذا جاء البرزنجيون(١) والقادريون(٢) في الحرب العالمية الأولى إذ كنا على مقربة من البصرة، وكانوا يحملون الدفوف والطبول والبوقات زاعمين أن مرشديهم بروحانية البرزنج والشيخ عبد القادر سيلتهمون بأفواههم جميع ما يصوب عليهم من نيران مدافع الإنجليز وسائر معداتهم،ويجعلونهم برداً وسلاماً بدليل أنهم يلقون جمرات النار في أفواههم فتخمد لشعبذة شائعة بينهم، فلما صوبت مدافع الانجليز نيرانها في (الشعيبه)حول البصرة لم يثبت أولئك المرشدون أمام أزيز الرصاص فضلا عن دوي القنابل، إذ أن الشعبذة لا تقف أمام الواقع، وكان أول من فر عند إطلاق أول قنبلة إنجليزية هم أولئك المرشدون يتبعهم مردتهم(٣)، حتى خلا الجناح الأيمن العثماني حيث إنهم كانوا يشغلونه، وطوق الجيش، وانخر لذلك قائد الجيش العام الأحمق (سليمان العسكري)وسلم العراق وما فيه للإنجليز بمعجزة المراشدة ومردتهم من القادريين الذين لم تقف خيولهم المنهزمة من البصرة إلا في بيوتهم حول السليمانية وأربيل"(٤).

ينضوون تحت لوائه، وبطبيعة الحال فإن كثيراً منهم ممن لم يسلك في برنامجه السلوكي ولا تلقو عنه أفكاره التصحيحية، وهو ما يفسر ظهور بعض الانحرافات، مثل غلو بعضهم في السنوسي وادعاء أنه المهدي، واستغاثة بعضهم بالبدوي، ونحوها من الأعمال. أنظر: الثمار الزكية للحركة السنوسية للدكتور علي الصلابي ٤٢٣، والموسوعة الميسرة ٢٨٧/١-٢٩٠.

(١) البرزنجيون: طائفة من الصوفية ترفع مقام"الكاكا أحمد" وأباه محمود البرزنجي، وهو من السادة العلويين نسباً، كانت طريقته تنتشر في جنوب العراق. انظر مقال د.عزيز الحاج "عراق التعايش" : http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=٣١١٠، و http://www.iraqgate.net/tribe/N-albarzanchi.htm

(٢)القادرية: هم المنتسبون للشيخ عبد القادر بن عبد الله الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة(هـ٥٦١)، وهو أحد العلماء الصالحين الذين غلا فيه الناس بعد وفاته، ولهم انتشار في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي .سير أعلام النبلاء٤٣٩/٢٠. الموسوعة الميسرة٢٦٥/١.

(٣) هكذا في الأصل المترجم ولعلها:ومريديهم.والله أعلم.

(٤) "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩١-٩٢.

وقد بين الخالصي رحمه الله تعالى أن هذا المنهج في انتظار النصر عن طريق الالتجاء إلى غير الله تعالى مع عدم اتخاذ الأسباب يخالف نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بث دعوته بالسعي والعمل والمحراب والمنبر، ورد مهاجميه بالسيف والسنان. ولو كان الأمر كما يظن من يعتمد على روحانيات الصالحين لكانت روحانية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحق بدفع المشركين، و لم تُدم جبهته الشريفة وتكسر رباعيته، ويقتل عمه وأصحابه في أحد وغيرها من الغزوات والسرايا.

كما تعجب الخالصي ممن يلجؤون إلى العباس بن علي ويطلبون منه المدد، وقضاء حوائجهم، معتبرا أن مثل هذه العقائد تورث القعود والاتكال، في حين أن العباس إنما قتل في سبيل دفاعه عن الحق، مع أمه وإخوته وأصحابه و أهل بيته الذين أسر كثير منهم، "ولو كان النجاح بغير العمل لكان العباس وسيده الحسين (عليه السلام) أولى بهذا النصر ولما استشهدوا جميعاً"(١).

وهذا كله مما يجلي لنا تبني الخالصي لمنهج توحيدي بعيداً عن كثير من ألوان الغلو في باب العبادة، والمهم أنه يدعو إلى ذلك ويقرره بشكل واضح، كما أن الملاحظة التي يجب أن لا تغيب عن ذهن الناقد المنصف؛ أنه يتحدث باسم التشيع، وينكر باسم مذهب الإمامية، وليس بأي اسم آخر، وهذا مما يبين نوع التشيع الذي يتبناه الخالصي.

ولعل القاريء الكريم يرى بوضوح مكانة القرآن لدى الخالصي بحيث جعله الأصل في كثير من كلامه وتصحيحاته السابقة، وهذا ما يعطينا إشارة لمنزلة القرآن في نفس الخالصي وشدّة اعتماده عليه في كثير من آرائه.

---

(١) انظر: "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩٢

ثانياً: الشفاعة والأئمة

يرى الخالصي أن الشفاعة من الأمور الثابتة شرعاً في نصوص كثيرة، وأن إنكارها كلياً مخالفة للقرآن والأحاديث المستفيضة.

كما يرى بأنه قد ثبت أن الشفاعة ستكون على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والملائكة ، وكذلك المؤمنين(١).

ولكن الخالصي يقرر أن القرآن دل على أن الشفاعة لا تكون إلا بأمر الله تعالى وإذنه سبحانه وتعالى كما في قوله: ((مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ))[البقرة٥٥٢]، مما يعني-في نظر الخالصي- أنها ملك لله لا يستقل بها أحد من الشفعاء(٢).

كما يرى بأنه وإن كان بعيداً عن الله تعالى أن يرد عباده المؤمنين لسعة رحمته إلا أن ذلك ليس أمرا إلزامياً أو حتماً على الله تعالى، مما يوجب على المؤمن أن يكون دائما بين الخوف والرجاء(٣).

وقد بقي على الخالصي رحمه الله أن يبين أن الشفاعة لن تكون إلا لمن يأذن الله له، كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)مما يوجب على المؤمن ان يتجنب ما يسخط الله تعالى قولاً أو عملاً أو اعتقاداً، حتى يشفّع الله تعالى أوليائه فيه.

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٧.

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٠٩،٤٢٧

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٧٩.

المطلب الثالث:

الغلو في الصالحين

ومن الأمور التي وجه لها الخالصي جانباً كبيراً من النقد ما يقع فيه بعض المسلمين عموماً من الغلو في الأنبياء أو الأئمة أو غيرهم من الصالحين.

فقد بيّن أن الغلو من الظواهر التي كانت منتشرة قبل الإسلام، كما وقع لعباد الأصنام الذين وضعوا الأصنام واسطة بين البشر وبين الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ))[الزمر ٣](١).

وكذلك النصارى الذين خالفوا أمر المسيح لهم حين أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن الغلو كما في قوله تعالى: ((مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ))[المائدة١١٧](٢).

ويرى الخالصي أن الإسلام حينما جاء حارب الغلو الذي كان راسخاً في الأديان الأرضية والسماوية المحرفة. فقد"أكد القرآن على التوحيد ونفى الغلو أكثر من أي شيء آخر، وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلن إلى أمته وأن يقول: ((إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ))[الكهف١١٠]، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينفي عنه علمه بالغيب، والقدرة، والرازقية، وأمره الله مرارا أن يقول: (لا تتخذوا قبري مسجدا)(٣)

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣٨٧.

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٣) الحديث الذي يشير إليه الخالصي روى أبو يعلى عن عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم مقابر، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم)(في المسند رقم ٤٦٩)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤/٣٥٤، الضياء في المختارة رقم ٤٢٨ وقد حسنه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٤١٤.

كما رواه الشيعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه، منها لفظ (لا تتخذوا قبري مسجداً)

وأن يعلن -قَسَماً بالله- أنه لم يهلك من هلك من الأمم السابقة إلا لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(١).

أسباب انتشار الغلو:

ويرى الخالصي أن من أسباب انتشار الغلو:

١. دخول بعض من ألفت قلوبهم الغلو في الإسلام، من نصارى أو مجوس وغيرهم، حيث يرى الخالصي أن أمثال هؤلاء لما رأوا المعجزات والكرامات والأعمال الخارقة للعادة على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة رضوان الله عليهم؛ أورثهم ذلك الغلو نتيجة لتذوقهم للعقائد التي كانوا يعتقدون بها قبل الإسلام، وأمثال هؤلاء هم الذين حرّقهم علي رضي الله عنه وأرضاه، ولعنهم الأئمة الأطهار وتبرؤوا منهم(٢).

٢. الوعّاظ الجهّلة.

تحدث الخالصي رحمه الله عن فئة كان لها دور في الترويج لألوان الغلو والخرافات؛ وهم من نعتهم الخالصي بـــ"المعممين الجهّال" الذين اتخذوا المنبر وسيلة للارتزاق ، حيث يرددون الأحاديث الضعيفة التي تدعو للغلو، ويشيعون العقائد الضالة كعقائد الشيخية وغيرهم(٣).

وبعد تعداده لبعض مظاهر التعلق بغير الله يقول: "ورأيت دعاة يدعون إلى هذه الأهواء والمفاسد ويرقون المنابر باسم الوعظ والرثاء للحسين بن علي (عليهما

(انظر:كنز الفوائد للكراجكي٢٦٥).

ولفظ: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا قبوركم مساجد ولا بيوتكم قبوراً) انظر: مسند الشيعة للنراقي٣/٢٨٣ وبحار الأنوار٧٣/٣٥٩، ومستدرك الوسائل للنوري ٣/٣٤٤ و ١٠/١٨٨).

وبلفظ: (لا تتخذوا قبري مسجداً كما اتخذت بنوا اسرائيل قبور أنبيائهم مساجد) (انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي١/٢٥٧).

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٢) انظر علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٣) انظر علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٠٧.

السلام)، وهذه الطائفة لو صلحت لكان لها الأثر العظيم في الدعوة إلى الإسلام ولكن أكثر أفرادها لا يعرف من الإسلام إلا أحاديث غلاة الخطابية(١) والكرامية(٢) والمغيرية(٣)، ومن القرآن إلا آيات حملوها على أهوائهم وفسروها بآرائهم وأخرجوها عن مدلولها اتّباعا لأولئك الغلاة، فهم اليوم أضر على الدين من جيش يزيد بن معاوية على الحسين كما قال الصادق عليه السلام"(٤).

٣. نشاط الفرق الغالية.

ففي الوقت الذي كثر جهل الناس بدينهم-في تلك الفترة- نجد الخالصي يتحدث عن سعة نشاط الفرق الغالية كالشيخية والبهائية ونحوهم، فيقول:"في زماننا المعاصر وجهت أكبر ضربة للمسلمين في إيران بواسطة إخفاء حقائق الدين

---

(١) الخطابية: أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي، صحب الصادق رحمه الله ثم تبرأ منه الصادق لما ظهر من غلوه،وقد كان من المؤسسين لفرقة الاسماعيلية.ومن أقواله:أن الإله ظهر في صورة الأنبياء ثم في صورة الأئمة، وأن الكون لن يخلو من هؤلاء الأئمةومن ثم فهم آلهة في الحقيقة. وقد افترق اصحابه من بعده إلى فرق.انظرالملل والنحل١/٢١٠-٢١١.الفرق بين الفرق٢٤٧.مقالات الاسلاميين١/٧٥.

(٢) الكرامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، يثبتون الصفات، إلا انه ينتهي إلا إلى التشبيه، كما يقول بحلول الحوادث في ذات الرب، كما وفق المعتزلة في القول بالتحسين والتقبيح العقليين، والإيمان عنده الاقرار باللسان فقط. الملل والنحل ١/١٢٤.الفرق بين الفرق٢١٥.

(٣) المغيرية:أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، من الغلاةجمع بين تأليه علي رضي الله عنه والأئمة والتنجيم والتشبيه-فقال بتشبه أعضاء الله بالحروف-تعالى الله عن ذلك،كما قال بكفر الصحابة إلا من ثبت مع علي، وأن الأئمة يعلمون الغيب، وادعى أن الإمامة بعد الباقر لمحمد ابن عبد الله(النفس الزكية)، وأنه لم يمت وسوف يبعث، كما زعم أنه-يعني المغيرة- المهدي المنتظر، وقد قتله خالد القسري سنة١٢٠هـ.(الملل والنحل١/٢٠٧-٢٠٩.الفرق بين الفرق٢٣٨.ميزان الاعتدال٤/١٦٠-١٦٢.الكامل في التاريخ٤/٢٣٠-٢٣١(ط:دار الكتاب العربي-بيروت).

(٤) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩٤.

واستبدال الخرافات بهما، وذلك في الحملة التي تولاها السيد كاظم الرشتي(١) تلميذ الشيخ أحمد الأحسائي"(٢).

ومن صور الغلو التي أنكرها الخالصي:

١. القول بأنه لا فرق بين الله وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة إلا أنهم عباده، كما هو وارد في أدعية شهر رجب ضمن كتاب الأذواد(٣).
٢. القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة هم وجه الله تعالى(٤).
٣. القول بأن الكون لم يخلق لولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي رضي الله عنه، أو القول بأنهم علة الخلق(٥).
٤. القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة إذا شاؤوا أن يموتوا ماتوا(٦).
٥. القول بأن الأئمة كلّيون وأنهم يملؤون العالم بوجودهم-كما تزعم الشيخية-(١).

---

(١) هو :كاظم بن قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الرشتي، ولد سنة ١٢٠٥هـ، ويقال بأنه نزح من المدينة المنورة إلى مدينة رشت في إيران، وقال الخالصي بأنه الرشتي أصله قسيس روسي، أوفده الروس لإيقاع الفتن في الدولة العثمانية، وإبعاد الناس عن دينهم، وقد كشف ذلك السوفييت في تقرير نشر بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وقد ترجم الخالصي هذا التقرير إلى الفارسية وعلق عليه باسم أسرار ظهور الشيخية والبابية والبهائية .توفي الرشتي سنة ١٢٥٩هـ في كربلاء. انظر ترجمته بتوسع في كتاب الشيخية للطالقاني ١١٧-١٦٣، و كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع (مع تعليق أبنه هادي الخالصي) ص١٧٩

(٢) وهما مؤسسا الشيخية وتلاميذهم أسسوا البهائية والبابية .علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ١٧٧.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٠٧-٤٠٨.

(٤) المرجع السابق ٣٢، ٢٧٦.

(٥) المرجع السابق ٣٢.

(٦) المرجع السابق٣٣،٣٢.

٦. القول بأن علم الأئمة ذاتي، أو أنه يشمل كل العلوم ، أو أنه وراثي غير مكتسب(٢).

وغيرها من الصور التي هي من ألوان الغلو الذي روج له الرواة الغلاة وأتباعهم الذين هم في نظر الخالصي بعيدون كل البعد عن توحيد الأئمة الذي نزل به القرآن الكريم وقرره محمد صلى الله عليه وآله وسلم(٣).

المطلب الرابع:

رأيه في القرآن

اهتم الخالصي ببيان مكانة القرآن الكريم ومترلته، ودوره في بناء الأمة، فقد كرر كثيرا –في كتبه ورسائله- أن"القرآن هو حافظ التوحيد ومزيل الشرك"(٤)، وأن الصلاح لعامة البشر ودفع الفساد لا يوجد إلا في القرآن والسنة الصحيحة(٥)، كما أكّد على أن القرآن هو الذي أخرج الناس من الظلمات والخرافات التي كانت تملأ الأرض إلى النور، وهو الذي قلب عصور الجاهلية إلى عصر علم زاهر، وهو الذي أوجد بين رعاة الإبل الحيارى الأميين أكبر نظام عرفه العالم، وأن القرآن هو الذي وضع أساس حضارة ومدنية ومجتمع لم يعهد قبله، بل يرى الخالصي أن نور الإسلام قد بلغ أثره إلى الأديان الأخرى، فالنصارى بعد الإسلام ونزول القرآن منددا بخرافاتهم ليست هي بعده، إذ خرج فيها من يؤول خرافاتهم تدريجيا وتعالت فيها أصوات المصححين كـ(لوثر) الذي اضطره القرآن والإسلام إلى الإصلاح، بل إن الخالصي يرى بأن القرآن كما

---

(١) المرجع السابق٣٥.

(٢) المرجع السابق ٤١٨.

(٣) المرجع السابق ٤٠٩.

(٤) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٥

(٥) رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة٨٥-٨٦.

أوجد إصلاحا في النصرانية؛ أوجد في جميع الأديان القديمة كثيراً من الإصلاحات، ويقول: "فكل صلاح تراه في دين أو نظام فإنما مستمد من القرآن"(١).

كما يرى الخالصي أن الرواة الغلاة -الذين كان لهم دور في التأسيس لكثير من الأقوال الضالة- كانوا "يعرفون بأن القـــــرآن هو حافظ التوحيد ومزيل الشرك"(٢)، ولهذا لجؤوا إلى أمرين لإبطال أثر القرآن، وهما:

١. القول بأن القرآن محرّف.
٢. القول بأن القرآن لا يفهم.

وقد تصدى الخالصي لهذين القولين الضالين بالرد،كما سيأتي:

أولا:رأيه في القول بتحريف القرآن

يعد الخالصي القول بتحريف القرآن من الأقوال الضالة التي أنشأها الرواة الغلاة كرجب البرسي والمغيرة بن سعيد ونحوهما(٣)، ويرى أن الغلاة الذين "يعرفون بأن القرآن هو حافظ التوحيد ومزيل الشرك" هم الذين روجوا لمثل هذه المقالة(٤).

وقد استنكر الخالصي قول أبي القاسم إبراهيمي- وهو من زعماء الشيخية-عن الصحابة: (وأنهم أزالوا قسما كبيرا من القرآن الذي كان بينهم لأنهم عدّوه خلاف صالحهم، وحرّفوه، وما بقي منه لا يتعدى العموميات)، حيث اعتبر الخالصي هذا القول من "**الجرأة على الله والكفر إلى أقصى درجاتها**"(٥).

---

(١) المرجع السابق ١٢٠.
(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٥
(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣٣، ٤٢٤.
(٤) المرجع السابق ٤٢٥-٤٢٦.
(٥) المرجع السابق ٤٢٦.

ثانيا:نقده للقول بأن القرآن لا يفهم.

يصف الخالصي هذا القول بأنه "لا قيمة له" لأن الله تعالى وصف كتابه بأوصاف تبطل هذه الدعوى، ومن هذه الأوصاف:

١. أن القرآن بيان لكافة الناس، كما قال تعالى: (هذا بيان للناس) [آل عمران١٣٨].

٢. وأن فهمه ميسر للجميع، كما قال تعالى: ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)) [القمر١٧]، وقوله: ((كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)) [فصلت٣].

٣. وأنه تبيان لكل شيء، كما في قوله تعالى: ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)) [النحل٨٩]، وقوله: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) [الأنعام ٣٨].

٤. وأنه هدى وموعظة، كما في قوله: ((هذا بيان للناس وهدى وموعظة))[آل عمران ١٣٨].

٥. أن جميع الناس مأمورون أن يتفكروا فيه ويتدبروه، وأن المتهاون في ذلك غير معذور، كما في قوله تعالى: ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))[محمد٢٤].

كما يرى الخالصي أن جميع الأحاديث التي يستدل بها القائلون بصعوبة فهم القرآن؛ هي أحاديث ضعيفة أولاً، ثم لو كانت صحيحة فهي ساقطة لأنها مخالفة للأصل الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة رضوان الله عليهم أن نضرب كل حديث يخالف القرآن بعرض الحائط(١).

والخلاصة :

١. أن الخالصي ينكر أن يكون القرآن محرفا.

٢. يقر الخالصي بأن ثمة فئة تقول بتحريف القرآن، وهم الغلاة في نظره.

٣. يقرر الخالصي أن القرآن ميسر للفهم والتدبر، خلافا لقول الغلاة الذين يستدلون لقولهم بأحاديث ضعيفة سنداً، وتخالف آيات القرآن متناً.

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٥.

المطلب الخامس:
موقفه من الخرافات

يرى الخالصي أن الإسلام جاء ليحارب الخرافات التي تأصلت في الأديان التي حرّفها أهلها كاليهودية والنصرانية وغيرها.

ونظرا لتفشي الخرافة في صفوف الأمة الإسلامية على يد الخرافيين من غلاة الشيعة والصوفية وغيرهم -كما رآه الخالصي في بنفسه في حياته- فقد نبه على أهمية محاربة هذه الظاهرة، التي يرى الخالصي أن المروّج لها صنفان، هما:

١. الجهّال الذين يتكلمون باسم الدين، وينشرون البدع والخرافات من على المنابر وفي مجالس العزاء.

٢. المغرضون الذين يريدون تشويه الإسلام، من أرباب الطوائف الضالة كالشيخية والبهائية

ويرى الخالصي أن إصلاح حال الأمة لا يتحقق إلا بأمور من أهمها إزالة الخرافة التي سيطرت على عقول كثير من الناس(١).

كما نبه الخالصي لبعض الخرافات التي يرددها الخرافيون من فوق المنابر: مثل حديث خاله كلثوم، حسين كرد، وحديث عوج بن عنق(٢)، وزيد بن قعنب الذي يقول إن علياً (عليه السلام) قرأ القرآن قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاثة عشر

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع ١٦٧.

(٢) وهو رجل وردت فيه أحاديث إسرائيلية طويلة جاء فيها أن موسى لما اختار النّقباء وسار ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحا، بعث هؤلاء النقباء يأتونه له الأخبار، فلقيهم رجلٌ يُقال له عوج بن عنق-وهو ممن أدرك طوفان نوح-، وكان طوله ٣٣٣٠ ذراعاً وثلث ذراع، ورووا أيضا أن عوجا كان يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه، ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس. ومن خرافات الإسرائليات أيضا أنه اقتلع الصخرة من الجبل على قدر عسكر موسى، وكانت فرسخاً في فرسخ، وحملها على رأسه ليطبقها عليهم، فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقوّرها بمنقاره، فوقعت في عنق عوج فصرعته. انظر تفسير البغوي (٣/٢٩)، الدر المنثور (٣/٤٨-٤٩)وبحار الأنوار

عيباً (عليه السلام) قرأ القرآن قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاثة عشر عاما، وهذه أحاديث يصنفها الخالصي كلها بأنه أحاديث مكذوبة(١).

المطلب السادس: موقفه من عيد النيروز

من الأعياد التي يحتفل بها قسم كبير من الشيعة هو يوم النيروز، وهنا ينبه الخالصي إلى أن مثل هذا الاحتفال إنما هو من بقايا المجوسية التي كانت موجودة قبل الإسلام، ويذكر أن الذي روج لمثل هذه المظاهر بعض الرواة الغلاة كالمعلّى بن خُنَيس الذي روى عن الصادق أنه قال: "إذا كان يوم النيروز فاغتسل والبس أنظف ثيابك وتطيب بأطيب طيبك وتكون ذلك اليوم صائما فإذا صليت النوافل والظهر والعصر فصل بعد ذلك أربع ركعات [ثم ذكر ما يقرأ فيها وما يعمل فيها ثم قال] يغفر لك ذنوب خمسين

١٣/١٧٠، ١٧٨. وروضة الواعظين(لمحمد بن الحسن الفتال-دار الرضى-قم)ص٤٧-٤٨.

ومما لا شك فيه أن هذه الأخبار مكذوبة لمخالفتها المنقول والمعقول، فهي تخالف ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من أن آدم عليه السلام كان طوله ستين ذراعا (البخاري ٣٣٦١، ومسلم٧٣٢٨و٧٣٢٩) . ولم يكن خبر عوج منتشر بين الشيعة فقط بل بين السنة بجهود الخرافيين، لذا قال **الالوسي رحمه الله : قد شاع أمر عوج عند العامة، ونقلوا فيه حكايات شنيعة**... إهـ.وكما ذكر ابن كثير رحمه الله أن قصة عوج وجميع ما يحكون عنه، هذيان لا أصل له، وهو أنها من مختلقات أهل الكتاب التي تخالف قول الله (وجعنا ذريته هم الباقين)، لأنه في الاسرائيليات ممن نجى من الطوفان، والآية تدل على أنه لم ينجُ أحد غير من في السفينة. البداية والنهاية ٢/٣٩ (الفكر١٤٠٠)الفتاوى الحديثية ١٨٨لابن حجر الهيتمي .تفسير الالوسي٦/٨٦-٨٦ .

المنار المنيف لابن القيم ص٧٦.

(١) انظر:علماء الشيعة ١٧٠.

سنة".[1]، وليس للمعلى بن خنيس وأمثاله-في نظر الخالصي-إلا هدف واحد من مثل هذا الحديث وهو"إشاعة المجوسية وتعظيم عيد النوروز[2] الذي هو العيد الديني للمجوس"[3].

وقد صدق الخالصي في اتهامه في مسألة النيروز لمعلى بالذات ، لأن المتأمل لما حشده هذا الراوي من الفضائل المكذوبة ليوم النيروز يؤكد صدق ما قاله الخالصي، ففي رواياته أن من فضائل يوم النيروز: أنه اليوم الذي أخذ الله فيه العهد والميثاق على بني آدم[4]، وأنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي[5]، وأنه اليوم الذي كسر إبراهيم عليه السلام فيه الأصنام[6]، كما أنه اليوم الذي أحيا الله فيه ((الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت))[7]، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّه فيه علياً عليه رضوان الله إلى الجن فأخذ عليهم العهد[8]،وأن جبريل هبط على الرسول صلى الله عليه وسلم فيه[9]، وأن عليا رضي الله عنه أخذ البيعة الثانية لنفسه في يوم النيروز[10]، وأن

---

(١) بحار الأنوار –باب عمل يوم النيروز وما يتعلق بذلك (٩٨/٤١٩) ، وانظر:باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: (وسائل الشيعة ٧/٣٤٦).

وفي كتاب تحرير الوسيلة روح الله الخميني: « ومنها – أي أيام الصيام المندوب – يوم الغدير وهو الثامن عشر من ذي الحجة ومنها يوم النيروز » ، كما ذكر أن من الأغسال المندوبة غسل يوم النيروز .تحرير الوسيلة (ج ١/٩٨، ٣٥٢)

(٢)هكذا في الاصل.

(٣)علماء الشيعة والصراع مع البدع ٣٨٩، وانظر خطبته في نفس الكتاب (وثيقة ٥٢)ص١٤٧.

(٤) بحار الأنوار ٥/٢٣٧

(٥) بحار الانوار ١١/٣٤٢.

(٦) بحار الانوار١٢/٤٣.

(٧) بحار الانوار١٣/٣٨٦.

(٨) بحار الانوار١٨/٩١.

(٩) بحار الانوار ١٨/٢١٤.

(١٠) بحار الانوار٣٢/٣٥.

عليا رضي الله عنه انتصر على الخوارج يوم النهراوان يوم النيروز(١)، وأنه اليوم الذي يخرج فيه القائم (المهدي)(٢). إلى غيرها من الفضائل التي جمعها معنّى المعالي في رواياته.

وما ذهب إليه الخالصي من إنكار الاحتفال بيوم النيروز هو الموافق لمنهج الأئمة القائم على الكتاب والسنة، وهو الوارد عن موسى الكاظم رضي الله عنه، فقد حكى صاحب (المناقب) أن المنصور لما تقدم إلى موسى بن جعفر الملقب بالكاظم بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه فقال: إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد لهذا العيد خبرا وأنه سنة الفرس ومحاها الإسلام ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام فقال المنصور إنما نفعل هذا سياسة للجند ..(٣)إلى أخر الخبر الذي أورده كذلك المجلسي ولكنه لم يجد له مخرجا إلا القول عن هذه الرواية **بأن رواية معلى أقوى سندا،وأن ما جاء عن الكاظم رواية ضعيفة و محمولة على التقية** (٤)، ولا أعلم أي داع يدعو إلى التقية في مثل موقف الكاظم وهو يدعوه الخليفة للجلوس في عيد النيروز فيأبى إلا أن يخالف المنصور المشهور ببطشه ويبين له الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما تقوية المجلسي لرواية معلى بن خنيس فغريب جدا لأنه ضعيف عند أغلب علماء الرجال الشيعة المتقدمين(٥).

---

(١) بحار الانوار٣٢/٤٠٤.

(٢) بحار الانوار٥٢/٢٧٦.

(٣) المناقب للمازندراني ٤/٣١٩

(٤) بحار الانوار ٥٦/١٠١ .

(٥) قال النجاشي عنه: ضعيف جداً. (رجال النجاشي ص ٤١٧)وقال الغضائري:كان أول أمره مغيرياً(من الغلاة).. والغلاة يضيفون إليه كثيراً. وقال:لا أرى الاعتماد على شيء من حديثه،انتهى. وقد تبنى بعض الشيعة توثيق معلى، بل أخذ بعضهم يثبت بأنه من أجلاء الشيعة كالمازندراني في (منتهى المقال ص ٢٩٢). وأكثر من تطرف في توثيقه الطاووسي حيث قال: الذي يظهر لي أنه من أهل الجنة(التحرير للطاووسي ٥٧١)، وانظر الوسيط ٢٤٩.

المبحث الخامس:
موقف الإمامية منه

بسبب ما جمعته شخصية الخالصي من نضال سياسي في مرحلة مبكرة في التاريخ الحديث للشيعة، مع ما رافق ذلك من خطوات جادة نحو إصلاح بعض الخلل الموجود في المذهب -ولا أقول كل الخلل- فقد اختلفت مواقف المنتسبين للطائفة الإمامية من محمد الخالصي وهم في موقفهم لا يخرجون عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المعارضون للخالصي.

وهؤلاء الذين وقفوا موقف المعارض لشخصية الخالصي في الجملة، ومن ثم سعوا جاهدين في إسقاط الثقة عنه علمياً وسياسياً، بل وصل بهم الأمر إلى الطعن في نية الخالصي كما سيأتي.

ويمثل هذه الطائفة: كبير مراجع الشيعة في العراق في زمنه آية الله محسن الحكيم، ومعه أغلب المنتسبين للتيار التقليدي والتشيع المنـــزوي عن السياسة-آنذاك-.

كما انضم إلى هذه الطائفة المعارضة للخالصي بعض رموز التيار التحديثي(١) كمحمد الحسين آل كاشف الغطاء وأمثاله ممن يتبنى أسلوباً آخر لا يختلف فيه مع التيار التقليدي في المضمون وإنما يختلف في اسلوب تقديم المذهب بأسلوب جديد من حيث الاهتمام بالسياسة والنواحي الاجتماعية مع نقد لبعض الطقوس التي تخالف الحضارة وتفريغ أحداث مقتل الحسين من مضمونها الثوري السياسي إلى الاستغراق في الأحزان،ونحوها مما ينادي به هذا التيار التجديدي.

---

(١) المقصود بالتحديث في هذا التيار، هو تحديث الخطاب الشيعي، والدعوة إلى ذات التشيع التقليدي ولكن بأسلوب حضاري جديد يهتم بالسياسة والنواحي الاجتماعيةفقط، دون التعرض لنقد المذهب في أصوله أو أفكاره إلا في نطاق ضيق-عند بعضهم- لايتعدى نقد بعض الطقوس العبادية.

وتحت هؤلاء جميعا كثير من طلابهم ومقلديهم، الذين كانوا محط الفتنة التي يثيرها مراجعهم حول الخالصي.

وقد واجه هؤلاء معضلة كبيرة؛ ألا وهي قرب محمد الخالصي من والده (محمد مهدي) وهو مرجع كبير يفخر به الشيعة، ولا يستطيعون الطعن فيه، ولهذا لجأ هذا الفريق إلى الكذب والمغالطات التي تفيد بأن الخالصي (الابن) رافق والده في رحلته إلى إيران"ليكون عليه عيناً "-أي جاسوساً على والده-"،وأنه كان "نصلاً يمزق الحشاشة الطاهرة"، وأن محمد(الابن) كوّن بعد موت صاحبه-أي أباه-شبكة جاسوسية تخدم مصالح الاستعمار في إيران وأن البهلوي هو الذي استطاع أن يحطّم مقاصده(١). وهذه مغالطات واضحة جداً لا حاجة إلى ردّها(٢).

كما حاول بعضهم أن يبين أن الخالصي إنما حارب الشيخية لأنه كان يريد مزاحمة رئيس الطائفة الشيخية في كرمان وهو أبو القاسم زين العابدين بن كريم خان الكرماني(٣)، كما أن بعض خصومه وصل في طعنه إلى ادعاء أن بعض الأطباء الإيرانيين الذين باشروا الخالصي بفحوص دقيقة يصفونه بالإصابة بأحد أنواع الجنون.

وأشد تهمة من هذا الفريق هي اتهام بعضهم للخالصي بمخالفة ضروريات الدين، وهي تعني بما تعارف عليه المسلمون الخروج من الدين (٤).

ويرجع هذا الموقف العنيف إلى أن تمسك الخالصي بشعار الوحدة كان على حساب بعض ما يعتبره خصومه من (الثوابت) الشيعية التي لم يقترب منها إلا النادر من علماء الشيعة عبر العصور(٥).

---

(١) الشهادة الثالثةفي الأذان والاقامة لجاسم آل كلكاوي ص٦.

(٢) فعلى سبيل المثال: قولهم بأنه رافقه ليكون عيناً عليه غير صحيح لأن الخالصي كان قد نفي إلى إيران قبل أبيه بنحو عام، ووالده هو الذي ورد عليه بعد أن طُرد فذهب إلى الحجاز ثم إلى إيران.

(٣) المرجع السابق ٦-٧.

(٤) المرجع السابق١١-١٢.

(٥) عراق بلا قيادة ٤٠٣.

كما أن خصوم الخالصي ينتقدون موقفه من حكومة عبد السلام عارف،ويمكن تلخيص وجه طعنهم بما يلي:

أن عبد السلام عارف كان متعصباً و"طائفياً"ضد الشيعة والأكراد، وقد روّج كثير من خصومه بعض الشائعات ليؤكدوا "طائفية" عارف، كقولهم: بأنه قال لأهل البصرة في أحد خطبه: أنتم رجال ولستم أشباه رجال-تعريضاً لهم بما روي عن أمير المؤمنين من أنه قال لأهل الكوفة يا أشباه الرجال(١)، أو كقولهم: إن عبدالسلام كانت له رغبه في البناء على قبر معاوية.

وباختصار فإن خصوم الخالصي أرادوا أن يتهمونه بالارتماء في أحضان هذه الحكومة التي يصفونها بالطائفية والمعاداة للشيعة، لتكون النتيجة هي سوء توجهات الخالصي المذهبية والسياسية.

والحقيقة هي أن هذا كله من الشائعات التي لا تستند إلى دليل، فقد سأل مهدي بن محمد الخالصي عبد السلام نفسه عن ما نقل عنه في قبر معاوية فأجاب بأنه لا يعرف أين قبر معاوية حتى يفكر في بنائه(٢).

كما أن الكاتب عادل رؤوف سأل أحد الذين حضروا خطبة عبد السلام في البصرة وهو (عز الدين سليم)، فذكر بأنه لم يكن في الخطبة شيء من هذا، سوى أنها تضمنت الدعوة لوحدة الشعب العراقي(٣).

---

(١)الإشارة إلى قول علي أمير المؤمنين لأهل الكوفة انظر: المهذب للقاضي البرجي ٣٢١/١

(٢) العمل الاسلامي في العراق ٤٩.

(٣) العمل الاسلامي في العراق٤٩. ذكر عادل رؤوف أنه بعد أن أصدر كتابه السابق أنه واجه عشرات المعترضين على نفيه لـــ"طائفية عارف البديهية"، وأنه قد طلب منهم دليلاً علمياً يثبت ذلك لكي يتراجع ويثبت ذلك في إصداراته، فوعده البعض ولكنه لم يستلم أي شيء، بل ذكر أن الوثائق البريطانية التي نقلها البياتي في كتابه"شيعة العراق" تثبت أن هذه الإشاعات كانت تحاك في السفارتين البريطانية والإيرانية، وأن أموال كانت ترسل من إيران وأحد دول الخليج لبعض رجال الحوزة من أجل إفساد جهود "عارف"ومؤيديه في توحيد صفوف العراقيين لأنه غير مرغوب

أما عن الخالصي وتياره المؤيد لخطواته في التحالف مع "عارف"فإنهم لا ينكرون العلاقة الجيدة التي كانت بين عارف ومحمد الخالصي ، ولكنهم يبررون ذلك بأن عبد السلام عارف كان قائداً وطنياً له ميول دينية واضحة، وأن توليه يشكّل فرصة لابد من استغلالها عبر الدخول معه في حلف من أجل تحقيق أكبر مكاسب، فقد حرر عبد السلام عارف ثروة العراق النفطية من الغرب، وهو من أهم إنجازاته التي دفعت الغرب للتخلص منه عبر حادثة اغتيال غامضة،كما أنه فتح الباب لعلماء السنة بل وحتى الشيعة للعمل الإسلامي بشكل لم يكن موجوداً قبل ذلك(١).

وعلى كل حال فأظن القارئ المنصف سيتفق معي بأن موقف الخالصي المتمثل في التعاون مع الحاكم المسلم الذي يحب الإسلام ولو بشكل فطري ومبسط، ويمتلك الشجاعة الكافية للدفاع عن بلاده هو الأصح شرعاً، وهو الأشرف في منطق كل عُرْفٍ من المواقف السلبية التي اتخذها خصوم الخالصي والتي بدأت تحالفاتها مع الأنظمة الغربية- التي لا تقارن بعبد السلام عارف في السوء- تظهر للعيان بعد ذلك.

القسم الثاني: المؤيدون لجهوده السياسية فقط.

ثمة طائفة من الشيعة الذين يعترفون بمكانة آية الله محمد الخالصي، ولكنهم لا يتجاوزون الاعتراف له بأنه يمثل رمزاً من رموز الكفاح السياسي، وعلما من أعلام المناضلين من أجل استقلال المسلمين في إيران والعراق، وأنه من أوائل الذين سعوا في دفع عامة الشيعة إلى ترك الانزواء السياسي، فمنطلق تأييد الخالصي أو اعتبار مكانته عند هذا الفريق ليست في آرائه ونقده لبعض المسائل في المذهب، ولكن لمواقفه السياسية فقط.

فيه عند الغربيين. انظر عراق بلا قيادة ٢٠٠-٢٠١.و العمل الاسلامي في العراق٥١-٥٢نقلا عن شيعة العراق لحامد البياتي ص١٧٥.

(١) انظر العمل الاسلامي في العراق٤٩-٥١.

ومن هذه الطائفة محمد رضا شمس الذي حيث صرّح بأن الخالصي مع كونه دائرة معارف ورجل فذ ومصلح جليل إلا أنه لا يدعو لتقليده(١)، ومثله مهدي بازركان- أول رئيس وزراء- بعد الثورة(٢).

القسم الثالث: المؤيدون للخالصي فكريا(التيار الخالصي)

وهؤلاء هم الذين يصح عليهم إطلاق "التيار الخالصي"، وهم طائفة لم تخرج عن كونها شيعة إمامية كما هو حال الخالصي، ولكنهم على منوال الخالصي في نبذ كثير من ألوان الغلو والطقوس المبتدعة، كما أنهم يتمسكون بمبادئ الخالصي في الوحدة الإسلامية كمبدأ أساسي.

ويدخل في هذا الفريق كثير من المصلحين الشيعة من أمثاله في إيران، مثل آية الله حسن مدرس الذي نُسب إليه ذم طريقة الخالصي في صحيفة "حياة إيران"(٣) فرّد على ذلك في صحيفة "قانون" مكذّباً ما نُسب إليه، ثم دعا الله للخالصي بأن"يديمه لخدمة العلم الإسلامي.."(٤).

وكذلك الفاضل حيدر علي قلمداران(٥) الذي أعلن وبشكل واضح عن تأييده لأفكار الخالصي، بل يصح أن يقال بأنه أكمل خطوات الخالصي الاصلاحية(١).

---

(١) انظر عراق بلا قيادة ٤٣ نقلا عن(الشيعة والخالصي١٦-١٧).

(٢) انظر رسالة المجاهد الاكبر ص ٢٥-وثيقة(٣) -.

(٣) صحيفة حياة ايران- العدد١٢٠.

(٤) صحيفة قانون- السنة الثالثة١٣٤٢هـ/١٩٢٤م-العدد٢٥. نقلا عن: وثيقة رقم(٥) في كتاب رسالة المجاهد الاكبر ص ٢٧.

(٥) هو حيدر علي بن اسماعيل قلمداران ولد سنة ١٣٣٣هـ في قرية ديزيجان-قريباً من قم، كان باحثاً بارعاً يتميز بالتجرد، وقد انتهى به الإمر إلى مناقشة النص والإمامة فخرج بإنكار وجود النص على ذلك كما يظهر في كتابه(طريق الاتحاد الواسع دراسة نصوص الإمامة)، كما وصل إلى نتيجة مفادها أن التوجه إلى الأموات بالدعاء وطلب الحاجات من الأمور التي أبطلها الإسلام كما يظهر في كتابه (الزيارات وكُتب الزيارات)، شارك في الكتابة في عدّة جرائد يومية ومجلات متنوعة، وله عدّة مؤلفات، من أبرزها ترجمة المعارف المحمدي للخالصي، وترجمة إحياء الشريعة

كما أن في صفوف المثقفين الشيعة أيام وجود الخالصي في إيران كثيرٌ من المؤيدين له ممن كانوا يسجلون تأييدهم له في انتشال الناس من الأوهام والخرافات في الصحف والمجلات(٢).

ويعدّ الكاتب المتميز عادل رؤوف ممن أولى الخالصي اهتماماً ملحوظا في كُتبه، خلافاً لمن أرّخ للتجربة الشيعية المعاصرة وطمس اسم الخالصي، وقد سجّل عادل رؤوف رأيه في لخالصي حين قال: "إنه من سوء حظ العراق [أن] لم يكن الخالصي (الابن) مرجعا أعلى" يعني للشيعة(٣).

ولعل أبرز المؤيدين للخالصي هم أبناؤه الذين يدعون إلى نفس أفكار والدهم، وهم محمد محمد مهدي، وجواد، وهادي، وهم يشكلون تياراً موجوداً في الكاظمية ببغداد، وإن كان هذا التيار محدوداً، ويُواجه بالحرب والإقصاء من قبل الاتجاهات التقليدية الأخرى التي تشكل الثقل الأكبر في شيعة العراق.

وقد ذكر لي الشخ توفيق البدري بأنه لما كان في إيران سنة١٩٨٣هـ قرأ بعض الكتابات التي تقول: "تسقط أسرة الخالصي الوهابية"، يقول البدري: فرأيت مهدي بن محمد الخالصي فأخبرته، ونصحه بأن يأخذ حذره لأن انتشار هذه الفكرة عنهم كفيلة بتعرضه للخطر، يقول: ولم تمض مدّة يسيرة إلا وتعرض مهدي للاغتيال، حيث ضرب برصاص في أسفل رأسه، وبعد العلاج بقي فيه نوع إعاقة في يده وطريقة كلامه، وقد خرج بعدها من إيران"(٤).

للخالصي، وترجمة (كتاب الإسلام سبيل السعادة والسلام للخالصي) و (كتاب ارمغان آسمان=بشرى الإله)-وهو ترجمة كتاب الجمعة للخالصي، وكتاب نهضة الحسين المقدس، وله كتاب (الحكومة في الاسلام)، ورغم أنه أصيب بجلطتين إلا أنه سجن عام ١٤٠٢هـ بتهمة مخالفة الثورة الإسلامية، وقد توفي في ٢٩رمضان سنة ١٤٠٩هـ ودفن في قم.

(١) انظر وثيقة رقم(١٢) في رسالة المجاهد الاكبر ص ٣٥.

(٢) انظر المرجع السابق ص٣٦-٣٧.

(٣) عراق بلا قيادة١٦٠

(٤) المرجع: لقاء خاص.

والحامل للواء مدرسة الخالصي اليوم هو جواد الخالصي، وهو بشهادة مجموعة ممن لقيتهم من أهل السنة[1] على نفس أفكار أبيه؛ ونسأل الله أن يوفقه لخطوات مباركة في سبيل توحيد صف الأمة على النهج السديد، وأن يثبتنا جميعا على الصراط المستقيم.

---

(١) يتبنى هذه الفكرة الشيخ محمد الألوسي، والدكتور توفيق البدري، والدكتور يحيى الدباش، هذا لا يعني التزكية فيما نستقبل من الزمان لأن الحي لا يؤمن عليه الفتنة-أياً كان- وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه:" من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة"أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/١٢٦-١٢٨.

المبحث السادس:
أبرز الملاحظات على الخالصي

لا شك بأنّ تجربة الخالصي تميزت بمزايا عديدة، من أهمها: الشجاعة و الجرأة التي جعلته يخوض غمار مواقع قتالية وسياسية خطيرة، وكذلك شجاعته الواضحة في تبني مشروعه العلمي الذي جعله يعود بالتمحيص والنقد لكثير من المسائل والطقوس المتعلقة بالمذهب الإمامي، كما أن محاربته للفكر الشيوعي الملحد والتيارات العنمانية التي تنادي بفصل الدين عن الحياة هو من الجهاد الشرعي الواجب المأمور به في مثل حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه أبو داود والنسائي(١)، وكل هذه الخطوات محمودة في ميزان الكتاب والسنة المطهرة، وهو ما يوجب علينا أن لا نغفل عنها في نظرتنا للخالصي وإن اختلفنا معه في مسائل أخرى أساسية.

كما أن محاربته للغلو وهجومه العنيف على بعض البدع مع ما لقيه في سبيل ذلك هو كذلك مما ينبغي أن ينظر إليه بجدية في تقييم الخالصي وتجربته.

إلا أن ثمة ملاحظات جوهرية على الخالصي لابد أن نقف معها، ولعل من أبرزها:

١ . موقفه من الصحابة.

من الأمور التي يجب التنبيه عليها هو أن الخالصي لم يوفق للصواب في مسألة موقفه تجاه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ففي ضمن خطوات الخالصي الرامية إلى الوحدة الإسلامية، قام بمراسلة علامة الشام في زمنه محمد بهجت البيطار رحمه الله حيث طرح معه عدّة مسائل من أجل أن يصل السنة والشيعة إلى وحدة عقدية، وقد كان صريحاً جدّاً في طرح ما يعتقد، وكان من ضمن ما بينه أنه يعتقد بأن الصحابة غصبوا الإمامة من علي رضي الله عنه مع علمهم بالنص الإلهي في هذه المسألة، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت على علي رضي الله

---

(١) أبو داود(عون المعبود٤/١٣١ ح٢٥٠١،النسائي٦/٣١٤ ح٣٠٩٦)

عنه لتسقط ولايته الواجبة بالنص المترل، ولذا لم يتردد الخالصي في القول بأنهم يستحقون اللعن لأنهم ((يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب)) وأن حكم الله فيهم ((أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون))[البقرة١٦٠]، ولكن الخالصي ذكر وبكل صراحة للبيطار بأنه مع أنه يقول بأنهم أتوا هذا العمل الذي يوجب اللعنة، إلا أنه يجبن عن تكفيرهم لما يرى من النصوص الأخرى التي تنهى عن تكفير المسلم ولأنه يرى بأن أمير المؤمنين خالطهم ولم يبد تكفيرهم بل على العكس أظهر تجاههم كل خير.

هكذا كان الخالصي صريحاً مع البيطار وهو يذكر بكل صراحة بأنه يعتقد هذا وأن أهل السنة إذا لم يقتنعوا بهذا فسيسكت من أجل الوحدة الإسلامية.

وعلى أن البيطار رحمه الله اجتهد في إيراد الدلائل القرآنية في تزكية الصحابة الكرام، وإثبات مكانةٍ لهم تخالف ما يقول الخالصي، إلا أنه لم يفلح في إقناعه، لأن الخالصي كان يجد تأويلات يخرج بها من إثبات الفضائل للصحابة في القرآن.

ولكنّ الخالصي بعد مناقشات عالم العراق المجاهد عبد العزيز البدري رحمه الله له اخذ يتجه إلى موقف أسلم، فأصبح لا يقول عنهم إلا : أنا لا أقول عنهم إلا ((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتهم ولا تسألون عما كانوا يعلمون))[البقرة١٤١]، وأصبح يقرّ بأن عائشة هي أم المؤمنين ولا يرضى بأن ينسب إليه الطعن فيها(١).

وبالعموم فإن موقف الخالصي الأخير لا شك بأنه أسلم من الموقف الأول، ولكن يجب أن يُعلم أن هذا الموقف هو أحد إفرازات عقيدة النص على الأئمة، وهو ما يدعونا إلى بيان أن البيطار لم يحالفه الحظ عندما اختار مناقشة الخالصي في رأيه في الصحابة، وترك الحديث عن أساس المشكلة وسببها الرئيسي وهو الاعتقاد بوجود نص على الأئمة.

---

(١)هذا ما أخبرني به محمد الألوسي، وهو وعبد العزيز البدري كانا صاحبا الخالصي، ولهم اجتماعٌ أسبوعي يتناقشون فيه وينسقون لبعض الأعمال-كما سيأتي في الباب الأخير-.

كما ينبغي أن يقال بأن الإعراض عن الطعن فيهم يجب أن لا يشكل رفضاً مبطّنا لبعض الفضائل الثابتة. بل يجب أن يكون طريقاً للإمساك عما جرى بينهم عموماً. وهو المسلك الذي أرشد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه-: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)(١)، والله أعلم.

٢. اعتماده على العقل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

يقرر الخالصي أن مسائل التوحيد والنبوة لا يصح الاستدلال لها بالنصوص، فهو يقول: "وليعلم أنه لا يصح الاستدلال على التوحيد والنبوة بالقرآن لأن الاستدلال بهما في قبال من ينكرهما وإقامة الحجة عليه، ولا يكون ما أنكره دليلاً وحجة عليه. فدليل التوحيد منحصر بالعقل المحض"(٢)، وقد يقول من يقرأ هذا النص بأن الخالصي يدعو للاستدلال بالعقل على من يجحد بأصل الإسلام والنبوة، ولكن الخالصي يبين في موضع آخر أنه لا يصح الاستدلال أصلا بالسمع على كل مسائل الاعتقاد فيقول: "العقائد لا تؤخذ من الأحاديث وحتى لو كانت الأحاديث صحيحة، لأن العقائد من الأمور العقلية. وهذه المسألة متفق عليها بين جميع علماء الإسلام"(٣).

وما ذكره الخالصي من اعتماد العقل دليلاً وحيداً للعقائد يخالف الصواب، لأسباب منها:

أ- لو كان العقل دليلاً وحيداً على العقائد، لما كانت هناك حاجة لبيان هذه المسائل، ولما كان ثمة حاجة لإرسال الرسل أصلاً.

ثم إن الله تعالى لم يعلق حجته على الناس بالعقل بل علقها بإرسال الرسل فقال: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً))[الاسراء١٥]، وقال: ((رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ))[النساء١٦٥].

(١) رواه الطبراني في الكبير٩٣/٢ وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٤

(٢) الاسلام سبيل السعادة والسلام٤٥.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع٢٧٢.

ب- أن ما يدركه العقل من قضايا الاعتقاد منحصر في الضروريات مثل وجود الله تعالى، واتصافه بالكمال على وجه الإجمال، وهذا يدل عليه العقل قطعاً ليس استقلالاً،بل مع دليل الفطرة أيضا، وقبل ذلك القرآن والسنة اللذان تضمنا أحسن الاستدلالات العقلية على ذلك، وأما تفصيلات الاعتقاد كتفاصيل الأسماء والصفات وما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر كصفة الحشر وإثبات الميزان ونحوها من مسائل الغيب التي تفتقر في العلم بها إلى السمع، فهذه لا يمكن الاستدلال عليها بالعقل استقلالاً كما يدعي الخالصي، ولكن يستدل على ذلك بالسمع، والعقل السليم لا يحيل ذلك بل يعضده ويصدقه، ثم يأتي بالأدلة العقلية على إمكانه(١).

ت- أن الاتفاق الذي حكاه الخالصي عن المسلمين على ما ذكر غير صحيح، بل ما ذكره هو مذهب الفلاسفة فقط، وقريب منهم المعتزلة والمتكلمين(٢) ومتأخري الأشاعرة الذين يرون أن العقل يقدم على النقل في حال التعارض فقط(٣)، وأما أهل السنة فقد اعتمدوا في استدلالهم في العقيدة على ما صح من السمع والعقل والفطرة والإجماع، وليس على العقل وحده(٤).

ث- قولنا بأننا نقيم الحجة بالعقل على الكافر الذي ينكر القرآن والسنة لا يتعارض مع قولنا بأنهما حجة يستدل بهما، لاسيما إذا قررنا أن القرآن والسنة الصحيحة لا يعارضان العقل السليم، وأن القرآن والسنة قد اشتملا على أحسن الأدلة العقلية.

---

(١) انظر درء التعارض٣٢-٣٧، منهج الاستدلا على مسائل الاعتقاد ١٧٧-١٧٩.

(٢) شرح الأصول الخمسة٨٨و٢١٢و٢٢٦و٢٦٢، تأويل مختلف الحديث٣٢ (دار الكتايب العربي)

(٣) موقف المتكلمين للغصن٣٤٠-٣٤٧.

(٤) انظر : كتاب منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة للدكتور عثمان بن علي بن حسن ١/٥١-٢١٦ فقد تحدث عن دلائل ذلك بتوسع.

٣. حكايته اتفاق المحدثين والمؤرخين على أن آية الولاية نزلت في علي رضي الله عنه(١).

ولعل هذه مجازفة علمية تكررت في كثير من كتب الشيعة، وهي لا تليق من مثل الخالصي الذي يدعو للنقد والتمحيص، **ومع أن مكانة أمير المؤمنين لا حاجة في إثباتها إلى المجازفات العلمية**، إلا أننا نقول هنا: إن أدنى اطلاع على كتب التفسير والحديث تعطي القارئ نتيجة واضحة هي أن جُلّ علماء أهل السنة يضعّفون الحديث، نعم ثمة من حكى الحديث من المحدثين الذين كانت عادتهم يروون بالسند ما بلغهم، ويسكتون بناء على قاعدتهم (من أسند فقد برئ)، وهناك من رواه وضعفه وهم الأغلب، وقسم ذكر أن الآية نزلت في علي رضي الله عنه ولكنهم لم يفسروا الآية بالإمامة، ولكن بمعنى المحبة والنصرة وهو المعنى المتفق عليه عند جميع هؤلاء العلماء الذين ضعفوا الرواية أو الذين لم يضعفوها(٢).

فكان الأولى بالخالصي أن يستدلّ بتصحيح من صحّحّ الحديث فقط، ثم يرد عليهم المعنى الذي فسروا به الآية ببراهينه، ثم يسند قوله بدلالة الآية على الإمامة بالنص لمن قال به من الشيعة فقط.

٤. تحاشي الرد أو نسبة الانحراف لبعض أعلام المذهب الإمامي.

في طيات نقد الخالصي للغلو وبعض البدع التي لحقت المذهب الإمامي؛ نجد أنه ينسب الغلو إلى ثلاثة فئات:

الفئة الأولى :بعض الرواة الكذابين المتقدمين.

الفئة الثانية: طوائف كالشيخية بالذات والبهائية والصوفية أيضاً.

الفئة الثالثة: كثير من الخطباء الذين ينشرون أحاديث الغلاة، وهم في نظر الخالصي ممن اتخذ المنبر وسيلة للارتزاق.

---

(١) انظر: الاسلام سبيل السعادة والسلام للخالصي ٤٥.

(٢) انظر ما سبق ص ١٢٩

والملاحظة المهمة هي أن الخالصي يتجنب بشكل واضح نسبة ترويج الغلو لكثير من أعلام المذهب الذين يتبنون كثير مما ينكره: كالمجلسي وكثير من المراجع المعاصرين للخالصي، والسؤال: لماذا يتعمد الخالصي ترك نسبة الغلو والخرافات لهؤلاء الأعلام؟

قبل الإجابة على هذا يجب أن نذكر بأن محمود الملاح-وهو أديب قومي من أهل السنة المعاصرين للخالصي- قد انتقد الخالصي بشدّة على حصره للغلو في الشيخية فقط[1]

ومهما قلنا فإننا يجب أن نذكر جميع الاحتمالات للإجابة على هذا السؤال - لأن الجزم بأحدها صعب -ولعلها لا تخرج عن أحد الاحتمالات التالية:

- إما أن يكون الخالصي أراد أن لا يدخل في صراع مع المتقدمين من الأعلام أيضا فاكتفى بذكر أول من بدأ بترويج الغلو وهم الرواة ثم ذكر أبرز الغلاة المروجين من المعاصرين له.
- أو لعله رأى أنّ من مصلحة دعوته القائمة على أساس الإمامة مع محاربة بعض ما يعدّه تغييرا لمنهج الأئمة أن لا يعّرض بمن يعتقد عامة الناس جلالتهم ومكانتهم فتكون النتيجة جفول الناس عنه وعن أفكاره.
- وإما أن يكون الخالصي قد قصد أن لا يعطي خصوم الطائفة الإمامية ما يستندون به على إسقاط التشيع جملة وتفصيلا وهو أمر لا يريده الخالصي لأنه يرى صحة النص والعصمة في الإمامة، وأنه يرى أن هؤلاء المراجع المعاصرين له لا يمثلون التشيع الصحيح.
- وأما على الاحتمال الأسوأ فإننا سنقول: إن الخالصي كان يمارس التقية، ويدّعي أنه يحارب الغلو في الظاهر، وهو في الحقيقة يريد الترويج للمذهب فقط، وهذا هو رأي الملاح في حقيقة دعوة الخالصي.

---

(١) لو انتقد الملاح الخالصي على حصره الغلو في الفئات الثلاثة التي ذكرنا، والإعراض عن اتهام كثير من المراجع المتقدمين والمعاصرين لكان أدق، انظر كلام الملاح في مجموع السنة ١/١٢٧-١٥١

ولعل الأرجح أن تكون الاحتمالات الثلاثة كلها واردة، وأما الاحتمال الأخير فإنه مرجوح لأن الخالصي كان قد بدأ الدعوة إلى محاربة الغلو والخرافات في إيران وتحمّل في سبيل ذلك كثيراً، و لم يكن وضعه في إيران يحمله على التقية، بل على العكس كان المتغلبون هو التيار االذي يحمل الأفكار التي يحاربها، ولهذا لم يجد منهم عونا على شدّة ما لقي.

كما أنّ تعبير كثير من مثقفي إيران عنه يدل على أنه كان جادّاً في فكرة تنقية المذهب، وأبرز من شهد على ذلك علي قلمداران(١)، والدكتور علي شريعيتي(٢)، و يكفي شهادة الشيخ عبد العزيز البدري من أهل السنة على ذلك(٣).

كما أن استمرار أبنائه على نفس منهج أبيهم في إيران بعد الثورة الإيرانية، وتعرض أكبرهم(مهدي) للاغتيال يدل على أن توجهات الخالصي تختلف.

فالنتيجة هي أن الخالصي عندما سكت عن الطعن في بعض المراجع المعاصرين له لم يرد تلميعهم، بل كان يمارس نوعاً من التدليس أو المراوغة العلمية، من أجل تحقيق أكبر مكاسب عامة في تحقيق إبراز التشيع الصحيح

---

(١) يقول علي حيدر قلمداران رحمه الله: "مع جهل المسلمين وغفلتهم فهل من الممكن أن حكام واشنطن والجالسين على سواحل التايمز والمتربعين على أريكة قصر الكرملين أن يسمحوا لمثل هذه الأفكار[يقصد بعض أفكار الخالصي] أن تأخذ موقعها في عقول المسلمين، أو أن يسمحوا لمجتهد من هذا النمط أن يتبوأ مقام المرجعية العامة لكي يسبب لهم المصاعب ويجلب لهم المتاعب".انظر كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع وثيقة رقم (١٢)- (نقلا عن مقدمة ترجمة قلمداران لكتاب الاسلام سبيل السعادة والسلام" صفحة (ل) ط: مدينة قم ١٩٥٦م.

(٢) انظر المرجع السابق وثيقة رقم: (٩).

(٣) انظر فيما سيأتي ص ٦٠٤

الذي يعتقده، مع عدم إسقاط التشيع الذي يدعو إليه، أو تمعن أكبر مكاسب عامة مع أقل أضرار على التشيع الذي يعتقد صحته([1]).

٥. دعوته للوحدة مع تبنيه ما يخالفها.

سبق وأن بينا أن الخالصي كان من القلة الذين يطرحون مشروع وحدةً عمليّة، وأنه قام بأعمال لا شك أنها خطوات في طريق الوحدة الإسلامية، فنقده لبعض مظاهر الشرك والغلو، وردّه لبعض البدع لاشك بأنه من أهم ما يؤدي إلى اجتماع كلمة المسلمين، وهذه خطوات محمودة يجب أن نعترف بها للخالصي- وإن خالفناه في مسائل أخرى-لا سيما إذا عرفنا سبقه في هذا المجال من جهة الشيعة.

غير أن تجربة الخالصي في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية حملت بعض الثغرات التي يجب عدم تجاهلها، وهي وإن كانت أخف من الشركيات إلا أنها مما تخالف دعوته، وأبرزها موقفه من الصحابة الذين يعرف مكانتهم عن أهل السنة والجماعة، إذ أن طعنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتشكيكه في دخولهم في قوله : ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)) وموقفه من سب أم المؤمنين عائشة، يؤدي إلى الطعن في رموز أهل السنة، الذين اعتمدوا عليهم في نقل الدين، وهذا كفيل في فشل الوحدة التي يدعو لها، وهو ما صرح له به بعض علماء أهل السنة في وقته([2]).

والذي ينقله محمد الآلوسي([3]) أن الخالصي بعد احتكاكه بالشيخ عبد العزيز البدري، وكثرة مجالسته أصبح أكثر توقيا في موضوع الصحابة، حيث تبنى

---

(١) هذا ما ظهر لي والله أعلم بالسرائر، وهي كما يعلم القارئ الكريم نتيجة ظنية قابلة للنقاش.

(٢) انظر مسألة التقريب للقفاري٢/١١١-١١٢.

(٣) وهو من خاصة الشيخ عبد العزيز البدري وممن عمل مع الخالصي، بل سجن معه مدّة في زنزانة واحدة كما أخبرني بنفسه.(المرجع لقاء خاص)

التوقف والإعراض عنهم، يقول الآلوسي: أصبح لا يقول إلا ((تلك أمة قد خلت لها ما كسب ولكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما يعملون))، وصار يسمي عائشة أم المؤمنين، ولا يتعرض لها بالسب(١).

هذه أهم ما وقفت عليه من الملاحظات حيال الخالصي، ومما ينبغي على أبنائه الذين يحملون نفس مشروع والدهم أن يتمموه في دعوتهم من أجل الوصول إلى وحدة مباركة، تقوم على البعد عن الغلو واحترام خيار الأمة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأئمة من آل بيته الذين يفخر بهم أهل السنة والشيعة(٢).

٦. يفسر (لا إله إلا الله) بمعنى: لا خالق إلا الله(٣).
وقد سبق مناقشة هذه المسألة في فصل أحمد الكاتب(٤).

---

(١)هذا ما قاله محمد الآلوسي لي في ١٤٢٤/١١/٢٨هـ.

(٢) يقول الذهبي رحمه الله: "فمولانا الإمام علي من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة-رضي الله عنه-نحبه أشد الحب، ولا ندعي عصمته، ولاعصمة أبي بكر، وابناه الحسن والحسين:فسبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم،وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلا لذلك. وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر:سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق:كبير الشأن من أئمة العلم، كان أولى بالأمر[يعني الخلافة] من أبي جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون[يعني الرشيد]، وله نظراء في الشرف والفضل. وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيّره المأمون ولي عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومئتين...(سير أعلام النبلاء١٣/١٢٠-١٢١)

(٣)علماء الشيعة ٤١٥، ٤١٩

(٤) انظر: ص ٣٥٨

٧. كما أن من أكبر الملاحظات على الخالصي صدور بعض العبارات التي قد تشعر بتكفيره لمن لا يتولى الأئمة الاثني عشر، فقد قال في كتابه"الاعتصام بحبل الله": الأئمة الاثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم.إهـــ . فقد استدل الدكتور ناصر القفاري بهذه العبارة على تكفير الخالصي لعموم المسلمين (١).

والحق أن يقال: إن كان الخالصي يقصد بالولاية اللازمة للإيمان هي عقيدة الأمامة- وهو المتبادر من خطاب أي منتسب للإمامية- كما هي عند الاثني عشرية، فإن لازم هذا القول تكفير غير الإمامية.

وإن كان يقصد الولاية هي محبتهم فقط فإنه لن يكفر بعبارته هذه إلا النواصب فقط.

وعموماً فإن عبارة الخالصي خطيرة، ولا يدعو المتأمل فيها إلى التريث في حملها على تكفير عموم المسلمين إلا قاعدة أهل السنة وهي أن لازم قول البشر ليس بلازم لا سيما إذا علم نفيه لذلك اللازم(٢)، وهو وقد صرح في كتابه الذي ألفه بالفارسية للشيعة في إيران(٣) أنه لا يكفر أحداً من المسلمين حتى النواصب ما لم يعلن الكفر أو الشرك، أو ينكر النبوة، أو المعاد الجسماني، أو ينكر ضرورياً من ضروريات الدين(٤).

وهذه العبارة تقتضي أنه لا يعتبر الإمامة من ضروريات الدين لأنه ذكر أشد أعدائها وهم النواصب وأعلن أنه يخالف الذين أفرطوا في الحكم عليهم.

---

(١) مسألة التقريب٢/٢٠٩.

(٢)انظر مجموع الفتاوي٢٠/٢١٧.القواعد النورانية١٢٨-١٢٩.منهج الجدل والمناظرة٨٩٧-٧١١.

(٣) ثم ترجمه إلى العربية ابنه هادي الخالصي.

(٤) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين١٦٣.

غير أن الخالصي في موضع آخر يعد الإمامة من البدهيات فيقول:"وبعد إثبات التوحيد يصير أمر الإمامة بديهيا لا يحتاج إلى إقامة دليل"(١)،كما يقول:"والعقائد الخمس هي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، كلها ثابتة بالبداهة..."(٢).

وهنا نتسآل: هل يعد الخالصي كل ما هو بديهي من الضروريات التي يكفر من خالفها أم لا؟. وبلا شك فإن هذا موضع محتمل لأن البدهيات تختلف من شخص لآخر.

كما أن مما يدعونا للتوقف في تحميل الخالصي مذهب تكفير بقية المسلمين مواقفه العملية مع أهل السنة التي تدل على عدم اعتبارهم كفّاراً، حيث جاهد في صفوفهم في ليبيا وكلهم أهل سنة، وقام بالدعوة إلى الجمعة المشتركة بدون أمر بالإعادة ، وهذا يدل على عدم تكفيره(٣). والله أعلم

والخلاصة هي أن الخالصي اضطرب قوله في الحكم على غير الشيعة، وعلى أسوأ الاحتمالات-سنُسند إليه تكفير غير الإمامية-، ومع ذلك فإن هذا لن يجعل المحققين من أهل السنة حُكْمَهُ عليهم بالكفر مناطاً للحكم عليه هو بالإسلام من عدمه، لأن المحققين لا يكفرّون من كفّرهم ولو كان مخطأ ما دام هو على الإسلام، وأعظم شاهد على هذا صنيع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع الخوارج حين كفّروه وكفّروا من رضي بحكم الحكمين، ثم انحازوا إلى حروراء وأمروا بالهجرة إليهم، ومع هذا قال لهم :"لكم عندي ثلاثا ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا"(٤)وهو ما يعني أنه لم يكفرهم بناء على موقفهم منه، وكذا المحققين من أهل السنة لا يكفرون من يكفرهم لمجرد تكفيره

(١) الاسلام سبيل السعادة والسلام٤٤.

(٢) المرجع السابق٤٩.

(٣) انظر كلام الملاح رحمه الله في الخالصي ومناقشة ذلك ص ٦٠٧-٦١٢

(٤) تاريخ الطبري ٩٠٨/٣ .الكامل في التاريخ٣٣٦/٣ط:دار صادر ١٣٩٨.

لهم، ولذا ردّ جماعة من أهل السنة على أبي إسحاق الإسفراييني عندما قال: أكفر من يكفرني . وكل مخالف يكفّرنا فنحن نكفره، وإلا فلا (١).

وختاماً: فإن محمداً الخالصي وإن كان لم يسلم-مما يُعدّ بدعة كبيرة في ميزان أهل والسنة- إلا أنه قد سَلِم من الشركيات والغلو الظاهر، كما أنه خطا خطوات محمودة نحو تنقيته الإسلام والتشيع من الشرك والغلو، وهذا من الجهاد العظيم الذي لم يجسُر عليه كثير من الناس، كما أنه جزء من التمسك الصحيح بالعترة؛ الوارد في حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)(٢)، فإن التمسك الحق بأئمة العترة يعني بالدرجة الأولى متابعتهم على منهجهم في أصل الدين وهو التوحيد، ونفي الغلو والخرافة عن طريقهم الذي كثر حوله المفسدون والكذابون، وهو ما يُلقي حملاً ثقيلاً على الأمة بالدرجة الأولى وعلى من أراد الانتساب الحقيقي إلى أئمة آل البيت، وذلك بأن يسعى لتنقية تراثهم العقدي من الشوائب التي لا تزال حجر عثرة في طريق الاستفادة من رواياتهم رحمهم الله، وقد قام الخالصي بخطوة مشكورة في هذا المجال، فيجب أن يُعترف له به، لكن تجربته فيها ثغرات ينبغي أن يتممها المخلصون لأفكاره من أبناء الطائفة وعلى رأسهم أبناؤه -وفقهم الله لكل خير وصواب-.

---

(١) انظر: درء التعارض١/٩٥. شرح العقيدة الطحاوية٤٣٥

(٢) الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠). والحديث أصله في مسلم (٢٤٠٨)

الفصل الثاني:

الدكتور



الفصل الثاني:



المبحث الأول: ترجمته

اسمه ونسبه:

هو موسى بن الحسن بن السيد أبي الحسن بن محمد بن عبد الحميد الأصفهاني الموسوي.

ينتهي نسب عائلته بواسطة أربعة وثلاثين عقباً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم رحمه الله تعالى([1]).

ولادته:

ولد الدكتور موسى الموسوي رحمه الله في النجف عام ١٩٣٠م.

نشأته العلمية:

نشأ موسى الموسوي في بيت شيعي مشتهر بالعلم، فجدّه "أبو الحسن الأصفهاني([2]) أحد أبرز مراجع الشيعة في القرن الماضي.

وطلب العلم من صغره في النجف، وواصل تعلمه في جامعتها،و وحصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي التي تمثل درجة الاجتهاد، وذلك عام ١٣٧١هـ، وقد

---

(١)انظر www.al-shia.com/html/ara/books/farzanegan/mosavi.htm.

(٢) هو أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الأصفهاني الموسوي، ولد سنة ١٢٧٧هـ، كان يمثل أكبر مرجع للشيعة بعد وفاة محمد تقي الشيرازي(١٣٣٨هـ) وأحمد كاشف الغطاء(١٣٤٤هـ) ثم وفاة محمد حسين النائيني(١٣٥٥هـ).توفي في الكاظمية سنة ١٣٦٥هـ. انظر المرجع السابق(الموقع) وكتاب الشيعة والتصحيح٥.

منحه أحد زعماء الحوزة العلمية في النجف وهو آية الله محمد الحسين آل كاشف الغطا إجازة علمية[1].

ومن أبرز من تلقى عنهم الموسوي: جده أبو الحسن الأصفهاني، وأبو القاسم الخوئي[2].

وحصل الموسوي على شهادة الدكتوراة في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام ١٩٥٥م.

كما حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس (السوربون) عام ١٩٥٩م.

أعماله:

عمل الدكتور الموسوي أستاذاً للاقتصاد في جامعة طهران ما بين عامي ١٩٦٠-١٩٦٢م.

كما عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد ما بين ١٩٦٨م-١٩٧٨م.

انتخب رئيساً للمجلس الأعلى الإسلامي في غرب أمريكا عام ١٩٧٩م.

عمل كأستاذ زائر في جامعة هالة الألمانية (الديمقراطية آنذاك)، وأستاذاً معاراً في جامعة طرابلس بليبيا ما بين١٩٧٣م-١٩٧٤م، ثم أستاذاً باحثاً في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة عام ١٩٧٥م حتى ١٩٧٦م، ثم أستاذاً موفدا في جامعة لوس أنجلوس عام ١٩٨٧م[3].

مؤلفاته:

١. من الكندي إلى ابن رشد.
٢. إيران في ربع قرن.
٣. قواعد فلسفية.

---

(١) انظر صورة الاجازة في كتاب الشيعة والتصحيح١٥٨.

(٢) انظر الشيعة والتصحيح ١٣٣.

(٣) من ترجمة الموسوي لنفسه في خاتمة كتاب الصرخة الكبرى.

٤. الجديد في فلسفة صدر الدين.

٥. من السر وردي إلى صدر الدين.

٦. فلاسفة أوروبيون.

٧. الثورة البائسة.

٨. الجمهورية الثانية.

٩. الشيعة والتصحيح.

١٠. الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وبعدهم.

١١. يا شيعة العالم استيقظوا.

١٢. الديمقراطية في عصر الخلفاء الراشدين.

١٣. فقه الصادق.

١٤. المتآمرون على المسلمين الشيعة.

وفاته: توفي الدكتور موسى الموسوي رحمه الله تعالى عام ١٤١٧هـ.

المبحث الثاني:
دعوته إلى التصحيح

خاض الدكتور موسى الموسوي غمار الدعوة الإصلاحية في مذهب الإمامية بقوة وجرأة واضحة، وتبنى ذلك في فترة عصيبة، لاسيما على من يريد الإصلاح من أمثاله، فالثورة الإسلامية بقيادة روح الله الخميني كانت في أوج قوتها، وعنفها الذي يسميه الموسوي "الإرهاب وتصفية المخالفين" من أكبر سماتها، وهو ما يجعل مهمة التصحيح صعبة جداً.

ويمكن تلخيص ملامح دعوة الموسوي الإصلاحية الأساسية بما يلي:

أولا: أهدافه:

١. العودة إلى التشيع الأول.

بين الموسوي بأن الهدف النبيل الذي يسعى إليه هو الرجوع بالأمة إلى ما يسميه بـ" التشيع الخالص"، وهو ما كان عليه أئمة آل البيت من الاعتقاد الذي لا يختلف مع عقيدة جماعة المسلمين إلا في مسألة تفضيل علي فقط، كما سيأتي.

٢. إصلاح الخلل العقدي الذي لحق بالشيعة،وذلك بالعودة إلى عهد السلف في أصول العقيدة والاحتكام للقرآن(١).

٣. أن يصبح الخلاف بين الشيعة والسنة خلافاً فقهياً، شأنه شأن الخلاف بين المذاهب الأربعة(٢).

٤. الأخذ بفقه جعفر الصادق مباشرة وترك التبعية للمجتهدين الفقهاء، وهو ما دفعه لتأليف كتاب "فقه جعفر الصادق"(٣).

---

(١) الصرخة الكبرى ١٢، ٢٣. ياشيعة العلم استيقظوا ٤٥، ٦١

(٢) الصرخة الكبرى٦، ١٢

(٣) ياشيعة العلم استيقظوا ٤٥، ٦٢

وقد تبنى الموسوي نقد ولاية الفقيه وسياسة أنصارها في إيران بشدة ولكنه نبه إلى أنه لا يريد هدم النظام الإيراني القائم على ولاية الفقيه-لأنه مقتنع بأن الإيرانيين سيسقطونه بأنفسهم، ولكنه يهدف إلى أبعد من ذلك، وهو إصلاح الاعتقاد والفكر الشيعي، وفي هذا يقول الموسوي: "غرضي هو هدم النظام الفكري الذي عصف بالشيعة في إيران وغير إيران، وحتى عندما يسقط النظام السياسي الحالي في إيران؛ فما دام هذا النخر الفكري موجود في طي العقيدة فإن مأساتنا قابلة للتكرار كلما وجدت فئة تريد تأجيج النار وإحياء البدع.."(١).

جدير بالذكر أن الموسوي قد بين أن تركيزه على الإصلاح في مذهب الإمامية، لا يعني إعفاء أهل السنة من مدافعة الغلو والبدع التي يتبناها بعض المنتسبين للسنة، ولكن الموسوي رحمه الله-وبكل تجرد وموضوعية- يصرح بأن مذهب الإمامية لا يُقارن بغيره من المذاهب في درجة مدى الانحراف، وهو ما دعاه للتركيز على الإصلاح في مذهبه، فيقول:

"وهنا أسلك طرق الصراحة لأقول: إن العقائد والبدع الغريبة الموجودة في مذهبنا بلغت من الهول ما لا يقاس بما عند أرباب المذاهب الأخرى.."

وهذه المصداقية مما ينبغي أن تسجل للموسوي رحمه الله، فإنها من البر الذي يُهدى به المرء إلى أبواب كثيرة من الخير،خلافاً للكذب وإخفاء الحقائق الذي يقود إلى الفجور كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)متفق عليه(٢).

---

(١) الصرخة الكبرى ١٢-١٣،وانظر أيضا: ٢٢-٢٥

(٢) البخاري رقم ٦٠٩٤.مسلم رقم ٢٦٠٧. وقال ابن حجر: (البر) اسم جامع للخيرات

طريق التصحيح

تميز الموسوي بأنه لم يكتف بالنقد العلمي فقط، بل تبنى وضع برنامجاً عملياً يصل من خلاله دعاةُ الإصلاح في المذهب إلى ما يسميه الموسوي بـ"الخلاص الأبدي" من النفق المظلم الذي دخل فيه الإمامية بعد الأئمة.

وهذا البرنامج يمكن تلخيصه بما يلي:

١. اختيار فريق من العلماء لغربلة الروايات والأحاديث، ثم طباعة هذه الكتب المنقحة ونشرها بشكل واسع.

٢. نشر وترجمة كتابه"فقه الصادق" إلى عدّة لغات ، ليكون الشيعة مقلدين للصادق مباشرة، ويسألون في المستجدات وما يخفى عليهم فقط.

٣. إنشاء مركز دائم لتهيئة دعاة التصحيح؛ حتى لا تموت الفكرة بموت شخص أو أشخاص معدودين، ويشترط الموسوي لنجاح هذا المركز أن يكون في بلد يعطي الحرية لنشر الأفكار، بعيداً عن أي كبت أو منع لنشر المطبوعات.

٤. التركيز على التصحيح والإصلاح في إيران، لأنها -في نظر الموسوي- المركز الرئيسي للتشيع الإمامي،ولأن التشيع في العالم يتأثر كثيراً بأي تغير فكري لدى شيعة إيران.

٥. إصدار مجلة تعتني بالتصحيح والدعوة للإصلاح.

٦. تكوين "لجنة التصحيح" تضم أعلاماً من الشيعة المؤمنين بدعوة الإصلاح سواء من المختصين بالعلوم الشرعية أو المثقفين أو غيرهم ليشرفوا على عقد المؤتمرات من أجل التصحيح.

هذه هي الخطوات العملية التي طالما تمنى الموسوي لو وجدت إلى أرض الواقع سبيلاً لتنفيذها، غير أن الظرف الزمني والقناعات المترسخة في أعماق الملايين ووجود دولة

كلها ، ويطلق على العمل الخالص الدائم.فتح الباري١٠/٥٢٤ .

لنا مصلحة من بقاء المذهب الإمامي كما هو يقف عائقاً في وجه الإصلاح الذي يتبناه الموسوي.

والعجيب أن الموسوي يتمتع بنفسية قوية وروح متفائلة فهو يبدي قناعته بأن هذه العوائق مؤقتة، وأن انتصار الحق حقيقة لا بد من وقوعها ولو بعد حين، وفي هذا يقول الموسوي: "إن دعاة التحرر السياسي يلاقون تأييداً وتصفيقاً من الطبقة التي يريدون تحريرها، أما دعاة التحرر الفكري فلا يجدون في كثير من الأحيان غير الأشواك...إلا أنني أعلم أيضا أنه كثيرا ما تنقلب هذه الأشواك إلى ورود زاهرة تتناولها الأيدي جيلاً بعد جيل، وذلك عندما يعطي الإصلاح الفكري أكله ويقتنع الناس به...وعندما تمعن النظر في تاريخ الإصلاحات الفكرية والاجتماعية والسياسية نجد أن كل واحد منها مهما كان محفوفاً بأخطار جسام، إلا أن الحقيقة والحق انتصر في نهاية المطاف، لأن الحق يستمد قوته من صاحب الحق الذي أمرنا باتباعه .."[1].

وبعد فقد تبين لنا أن الموسوي يتبنى دعوة إصلاحية، وليس نقداً مجرداً، فضلاً عن كونه كما تخيل بعض أهل السنة أنه يستخدم التقية في نشر المذهب الشيعي. والله أعلم.

---

(١) ياشيعة العلم استيقظوا ٤٦

المبحث الثالث:
آراء موسى الموسوي

ثمة مبدأ مهم وضعه الدكتور موسى الموسوي نصب عينيه قاده لكثير من الأفكار والتحولات، ألا وهو المبدأ القائل: (النقد طريق اليقين)، وقد وضح الموسوي سبب تمسّكه بهذا المبدأ بقوله:(الناقد يتأثر بمحتوى الفكرة التي يقوم بنقدها نفياً أو إثباتاً، يعني أن الفكرة بدأت تتغلغل في أعماقه بالإيجاب أو السلب، ولم تظهر حتى الآن مدرسة فكرية في التاريخ الإنساني إلا أنها تأسست على دعائم النقد)(١).

كما أن الأفكار التي تبنى الدكتور الموسوي نقدها تميزت بالشمولية، حيث تطرق لنقد أمور أساسية في العقيدة وأخرى سياسية وفقهية، كما تطرق لنقد وضع "المرجعيات الشيعية"، و اشتملت أفكاره أيضا على توصيف لعلاج ما يعده خللاً في المذهب، بوضعه برنامجا عملياً كما سبق.

وبالعموم فإن الموسوي يصرح بأنه يريد الوصول إلى إعادة نشر المنهج الصحيح لمذهب آل البيت، وهو المنهج الذي يعتقد الموسوي بأنه متفق مع القرآن والسنة النبوية الصحيحة والعقل، خلافا لكثير من الأفكار التي لحقت بالمذهب الشيعي بعد عصر الأئمة مما يعده الموسوي مخالفا للنصوص والعقل.

---

(١) الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الامامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وما بعده،١٢٩.

المطلب الأول:
مسائل تتعلق بالتوحيد

من أهم المسائل التي سعى الموسوي لبيانها وتأكيدها :

١. وجوب إفراد الله تعالى بخصائص الربوبية.

فقد صرح الموسوي بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والرزق وغيرها من صفات الله تعالى[١]، خلافا لما يروج له الغلاة من قدرة الأئمة على الخلق والرزق والتصرف في الكون باسم الولاية التكوينية، كما سبق.

كما صرح الموسوي بأن علم الغيب هو من خصائص الله تعالى، وأن الروايات التي حاولت نسبة علم الغيب للأئمة هي روايات باطلة[٢].

٢. وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة.

بين الموسوي بأن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة، وأن صرف شيء من العبادات لغير الله تعالى شرك، فهو يقول: "فلا تجوز عبادة غيره[أي الله] بوجه من الوجوه، ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك"[٣].

كما بين الموسوي أن الغلو قد بلغ ببعض المسلمين-من السنة والشيعة-إلى نهاية خطيرة؛ ألا وهي طلب الحاجات من الأئمة والأولياء، أو طلب الشفاعة منهم، أو الطواف حول قبورهم تأسياً بالطواف حول الكعبة، ثم يقول الموسوي: "وهذه الأمور منهي عنها في الشريعة نهيا قاطعاً، فطلب الحاجة يجب أن يكون إلى الله وحده"[٤].

---

(١) الصرخة الكبرى ص٣٦.

(٢) المتآمرون في المسلمين الشيعة للموسوي ص ١٩٢.

(٣) الصرخة الكبرى٣٦.

(٤) المتآمرون في المسلمين الشيعة للموسوي ص١٩٢

ويبين الموسوي سبب معارضته لطلب الحاجات من غير الله تعالى بقوله: "أي معاناة أكثر من أن يطلب الإنسان حاجاته من أناس لا يستطيعون إجابتها، وأي معاناة أكثر من أن يكون دعاؤنا وطلب حوائجنا في غير مظانه، إن مظان استجابة الدعوات هو التوسل إلى الله تعالى حسب أمره وصريح قوله في القرآن المنزل على رسوله : ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ))[غافر ٦٠] و لم يقل ادعو غيري نبياً كان أو ولياً حتى استجب لكم.."(١).

وقد بين الموسوي أن ما يفعله بعض المسلمين من تقديم القرابين والسجود والركوع والتقبيل للأضرحة، هو مما يتفقون فيه مع الأمم الأخرى التي ضلت عن التوحيد كالنصارى وعباد بوذا والسيخ وغيرهم ممن يصنفهم الموسوي بأنهم قد تركوا الله جانباً وأخذوا يطلبون الحاجات من الصالحين كالمسيح ومريم العذراء، وغيرهم من الصالحين الذين يتوجه لهم الناس في سائر الأرض(٢).

كما بين الموسوي بأن القرآن صريح في نقض هذه الأفعال، مستدلاً بقوله تعالى: ((قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))[الأعراف١٨٨] وغيرها من الآيات التي يذكرها الموسوي في هذا المجال(٣).

---

(١) يا شيعة العالم استيقظوا /للموسوي ص٥٦، وانظر كلامه أيضاً في الشيعة والتصحيح ص٨٤.

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٥.

(٣) انظر بقية الآيات في المرجع السابق٨٥-٨٦. والصرخة الكبرى١٣٢.

وهذا كله مما يظهر لنا أن الموسوي يتبنى الدعوة إلى التوحيد الصافي من مظاهر الشرك مع الله تعالى في الربوبية والألوهية، كما أنه يتبنى القول بأن ما يدعوا إليه هو ذات التوحيد الذي كان عليه الأئمة من آل البيت(١).

المطلب الثاني: موقفه من الغلو

يبين الدكتور موسى الموسوي بأن الغلو من المظاهر السيئة التي حاربها الإسلام، مبيناً أن القرآن ينهى بشكل واضح عن الغلو. وعن مشابهة الأمم السابقة في غلوهم بالأنبياء والصالحين.

إلا إن الموسوي يذكر بأن الغلو قد وجد طريقه إلى نفوس كثير من أبناء الأمة الإسلامية-سواء الشيعة منهم أو السنة-، **وينص الموسوي بأن الغلو ظهر في الأمة في صورتين:**

الصورة الأولى : الغلو النظري.

ويعني به الموسوي الغلو في جانب الاعتقاد والتصور، وفي سبيل توضيح ذلك يشير الموسوي إلى شيء من صور الغلو النظري بقوله: "اعتقاد الإنسان في حق إنسان آخر أنه قادر على الإتيان بكرامات أو معجزات أو أمور خارقة وغير عادية، لا يستطيع الإتيان بها عامة الناس، كما أن الإيمان بتأثير إنسان ما حياً كان أم ميتاً في حياة الآخرين؛ خيراً أو شراً، في الدنيا والآخرة هو مظهر من مظاهر الغلو"(٢).

كما يبين الموسوي- وبكل تجرد- أن الغلو النظري يوجد في كتب المذهب الإمامي بكثرة لا مثيل لها عند الفرق الأخرى، ثم يرجع السبب في ذلك إلى رفض علماء الإمامية تفنيدَ الروايات و عدم تهذيب تلك الكتب(٣).

---

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٣٦.

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٠.

(٣) المرجع السابق ٨٠.

ويضرب الموسوي مثلا بأحد أكبر كتب المذهب الإمامي، وهو كتاب "بحار الأنوار" للمجلسي ، حيث يرى الموسوي بأن هذا الكتاب موسوعة ضمت في جوانبها نفعاً وضراً، وأن فيه " مواضع أضرت بالوحدة الإسلامية أعظم الضرر" لأنه ملئ بما يسميه الموسوي "الأفكار الغلوائية" المتمثلة بتلك القصص والمعجزات والكرامات التي تنسب للأئمة، والتي يصف الموسوي كثيراً منها بأنها "حكايات تصلح لتسلية الاطفال"(١).

كما يرى الموسوي بأن بحار الانوار قد ضم جانباً هداماً آخر وهو كما يقول الموسوي" التركيز على الطعن وتجريح الخلفاء الراشدين بصورة مقذعة في بعض الأحيان" وهو في نظر الموسوي مما يعطي تجار الطائفية وقوداً وثروةً فكرية تعزز الفرقة كما ظهر في عصر ظهور كتاب البحار، أي زمن الصفويين الذين أذكوا روح الانشقاق(٢).

الصورة الثانية: الغلو العملي.

ويعني به الموسوي طلب الحاجات الدنيوية والأخروية من الأئمة والاستغاثة بهم ، ونحوها من الأعمال التي استحدثها الناس مما يخالف قوله تعالى: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)) [الاعراف١٩٤](٣).

ويرى الموسوي بأن الغلو قد وجد طريقه إلى كثير من أبناء كل فرقة ومذهب من المذاهب الإسلامية، باستثناء الطائفة السلفية التي يصف الموسوي أتباعها بأنهم "استطاعوا أن يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء"(٤).

---

(١) المرجع السابق٨٦.

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٦-٨٧.

(٣) المرجع السابق٨٤-٨٥.الصرخة الكبرى١٣٢.

(٤) الشيعة والتصحيح ٨٠.

متى توغل الغلو في الإمامية!

يرى الموسوي بأن الغلو ظهر في فترة مبكرة من تاريخ الإسلام، وأن عصر الإمام الصادق قد شهد حالة من حالات تطور الغلو من خلال ثلة من الكذابين الذين بذلوا جهودا كبيرة لنشر الغلو باسم التشيع، ولكن الأئمة وعلى رأسهم الصادق قاوموا هذا الانحراف .

ويتهم الموسوي العباسيين في الإسهام في دعم حركة الغلو والكذب على الأئمة من أجل الوصول إلى تشويه صورة أئمة آل البيت وشيعتهم عند بقية المسلمين.

كما يتهم الموسوي فئتين أيضا بالإسهام في تعزيز الغلو في الأئمة؛ هم البويهيون والصفويون، إذ يرى الموسوي أن هؤلاء الحكام لا سيما الصفويون يمثلون العصر الزاخر لحركة الغلو وتعطيل العقل الشيعي(١).

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٩٢-١٩٣.

المطلب الثالث:
موقفه من القرآن

من المسائل العقائدية المهمة التي ناقشها الموسوي مسألة القرآن الكريم، فقد بين رحمه الله تعالى اعتقاده في القرآن بقوله:

"نرى بأن قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ))[الحجر٩] نص صريح يدحض كل الأقوال حول تحريف القرآن.." إهـ، كما أن الموسوي يؤكد أن القول بالتحريف والإيمان بالقرآن أمران متناقضان لا يمكن أن يجتمعا([1]).

كما ذكر رحمه الله بأن القول بالتحريف وقع في هذه الأمة، وأن القائلين به من علماء الشيعة الإمامية هم القائلون بالتحريف بين الفرق الإسلامية، وقد مثل الموسوي لهؤلاء بالنوري الطبرسي الذي ألف كتاب (فصل الخطاب) الذي يقول عنه الموسوي: "ذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم أنها آيات قرآنية محرفة"([2]).

كما تحدث الموسوي عن السبب الذي دفع القائلين بالتحريف إلى التشبث بهذا القول الخطير، مبيناً –وباختصار– أن عدم وجود نص على إمامة علي في الآيات والسور الموجودة في هذا المصحف المنتشر هو الدافع لمثل هذا القول الباطل، مما جعلهم يذهبون إلى دركة أبعد وهي القول بالتحريف([3]).

عقبات في طريق إثبات تحريف القرآن.

بين الدكتور موسى الموسوي بأن القول بتحريف القرآن يصطدم بعقبات كبيرة، تبين بطلان هذا القول، ومن هذه العقبات:

أولاً: الوعد الإلهي الصريح بحفظ القرآن.

---

(١) الشيعة والتصحيح ١٣١

(٢) المرجع السابق ١٣١.

(٣) انظر المرجع السابق١٣١

ثانيا: إقرار علي رضي الله عنه في أيام خلافته بهذا القرآن الموجود بين يدي المسلمين، وعدم إخراجه أي شيء مما يزعمه القائلون بالتحريف من الآيات والسور التي تنص على إمامته([1]).

ثالثا: أمر أئمة آل البيت بالرد إلى الكتاب(2)، وهو ما يبعد معه أن يكون القرآن الموجود محرفا، لأنه لو كان محرفا لكان الأمر برد الروايات والتحاكم إليه أمرا بالتحاكم إلى المحرف، وهذا بعيد على الإئمة رضي الله عنهم(3).

الموسوي يناقش الخوئي.

وقف الموسوي مع رجل من أبرز أعلام المذهب الإمامي في العصر الحاضر، ألا وهو **أبو القاسم الخوئي**، فقد نقل الموسوي عنه عبارتين تدلان-باختصار- على أمرين:

الأول: بطلان حديث تحريف القرآن المشهور

يقول الخوئي: "ومما ذكرناه يتبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن([4])حديث خرافة، ولا يقول به إلا من ضعف عقله،أو من لم يتأمل أطرافه حق التأمل أو من لجأ إليه، يحب القول به والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته"([5]).

الثاني: إثبات وجود مصحف آخر لعلي ، يشتمل على زيادات من قبيل التفسير أو الشرح المنزل.

---

(1) انظر الشيعة والتصحيح ١٣١.

(2) انظر ما سبق ص ١٢١-١٢٣

(3) انظر الشيعه والتصحيح ١٣٥.

(4) ويقصد الخوئي الأثر المكذوب على الصادق: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية). انظر: باب فضل القرآن الحديث في كتاب الكافي ج٢ ص ٢٨.

(5) تفسير البيان ٢٥٩.

يقول الخوئي: "إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجـــود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عـــن التكلف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام على زيـــادات ليـــست في القـــرآن الموجود وإن كان هذا صحيحا، إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هـــذه الزيـــادات مـــن القرآن، وقد سقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن هذه الزيادات كانت تفسيرا بعنوان التأويل وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التتريل من الله شرحا للمراد"(١).

مناقشة الموسوي:

أشاد الموسوي بموقف الخوئي في تبنيه لنفي التحريف عن القرآن ابتـــداء، ولكنـــه أبدى استغرابه من إصرار الخوئي على أمور:

الأول: الإجماع الذي يدعيه الخوئي على وجود مصحف علي رضي الله عنه، وهـــو في نظر الموسوي ادعاء باطل.

الثاني: وجود شرح إلهي متزل صادر من الله للقرآن.

وهنا يتساءل الموسوي: " هل للقرآن شرح إلهي صادر من الله تعالى ولكنـــه لـــيس جزءا من القرآن ، فيكون القرآن المتزل من الله مؤلف من متن وشـــرح، متنـــه في يـــد الجميع، وشرحه عند الإمام علي فقط؟!"(٢).

وأخيرا فإن الموسوي يرى بأن كل ما قيل عن مصحف علي رضي الله عنه يدخل في إطار ما يسمى "حملة الغلو في شخصية الإمام"، كما يبين الموسوي بـــأن أصـــحاب أسطورة مصحف علي وغيرها من أساطير الغلو قد أساؤوا إلى علي رضي الله عنـــه عندما عرفوا الإمام بأنه يخفي أحكاماً إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه، وكل مـــا تحتاج الأمة إلى يوم القيامة، وأنه لم يدل بها إلا لأولاده الذين هم الأئمة، وأن الأئمة

---

(١) المرجع السابق٢٢٢.

(٢) الشيعة والتصحيح ١٣٣.

بدورهم أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم إلى أن اختفت تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر[1].

والخلاصة هي أن الدكتور موسى الموسوي يرى بأن القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو ذات المصحف الموجود بين يدي المسلمين، وأن القول بأن ثمة تحريف أو مصحف آخر يشتمل على زيادات منزلة على سبيل الشرح أو نحوه هو من البطلان الذي يرده التصريح الإلهي بحفظ القرآن، وإقرار علي رضي الله عنه أيام خلافته بهذا المصحف، وأمر الأئمة بالرجوع إلى القرآن.

عدم الاهتمام بالقرآن

يذكر الموسوي بأن من أهم الفروق بين مدارس أهل السنة العلمية وحوزات الشيعة العلمية هو أن مدارس أهل السنة تهتم بالقرآن حفظا ودراسة، خلافاً للحوزات العلمية التي يقول عنها الموسوي : "وهذا أمر لا تهتم به الحوزات الدينية عند الشيعة، فلا توجد هناك دروس في التفسير وعلوم القرآن، ولا توجد مادة بين المواد التي تدرس بهذا الاسم، فقلما نجد طالبا في العلوم الدينية يحفظ القرآن الكريم، في حين أن طلاب السنة ومشايخهم يهتمون كثيرا بحفظه.

وأذكر أن الإمام الخوئي رحمه الله بدأ بتدريس التفسير في ليالي الجمعة واستمر سنتين، وكان يرغب في إدخال التفسير ضمن الدروس المنهجية، إلا أنه لم يستمر في هذا الأمر لأن بعض أفراد الحاشية وقفوا موقف المعارضة...ولعل السبب في هذا يعود إلى أن الخوض في تفسير القرآن الكريم والدخول في أبحاثه ينسف نسفا قاطعا كثيرا من البدع التي ألصقت بعقائدنا نحن الشيعة الإمامية..."[2].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا بجلاء مدى تجرد الموسوي في نقده، حيث أقر بمزية عملية لأهل السنة وهي الاهتمام بالقرآن، في حين يبدي أسفه على إعراض الحوزات

---

(١) الشيعة والتصحيح ١٣٤ بتصرف يسير.

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ص ٢٠٤.

العلمية عن تعليم القرآن كمادة أساسية في تخريج طالب العلم والمجتهد، وهو ما يدل على توجه محمود لدى الموسوي في التمسك بالقرآن اعتقاداً وتعلماً وتعليماً.

يجدر بنا أن نقول بأن الموسوي يتحدث عن المرحلة التي عاشها وهي الممتدة من الثلاثينيات إلى التسعينيات، ومن الإنصاف أن يقال بأن ما يتحدث عنه الموسوي يصدق على الاتجاه التقليدي وهو العام على الساحة، ولا يصدق هذا الحكم على كثير من أصحاب التوجهات الإصلاحية التي نلقي عليها الضوء في هذا البحث.

كما أن المراقب يرى إقبالاً من قِبَل التيار التقليدي الشيعي على جعْل القرآن ضمن البرامج المعلنة في القنوات والإذاعات، ولعل دوافع هذا الاقبال متعددة، وهو ما سنلقي عليه الضوء في الباب القادم بإذن الله.

المطلب الرابع:
رأيه في الإمامية

موضوع الإمامة-كما مر معنا- وباعتراف الموسوي أيضا يعد من أهم المسائل التي فارقت فيها الإمامية جمهور المسلمين، ولهذا يقول الموسوي : " الإمامة هي الحجر الأساسي في المذهب الإمامي ، وهكذا في المذهب الزيدي والإسماعيلي، ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الإسلامية.."(١).

وقد تناول الموسوي بيان رأيه في موضوع الإمامة مجيباً على عدة أسئلة، هي:

هل أثبت الشرع الإمامة لآل البيت؟ وما هي حدود هذه الإمامة؟

(١) الشيعة والتصحيح ٩

ما مراحل تطور فكرة الإمامة عند الشيعة؟ ومن الذين ساهموا في تطوير هـذه الفكـرة؟ ولماذا؟

ما موقف المسلمين من الشيعة في كل مرحلة من المراحل؟

الإمامة عند الموسوي.

يرى الدكتور الموسوي بأن الإمامة ثابتة لآل البيت ابتداء من علـي رضـي الله عنـه ثم الحسنين رضي عنهما وهكذا إلى بقية الأئمة الاثني عشر.

ويرى الموسوي بأن هذه الإمامة لا تعني القيادة السياسية التي هي "الخلافة"، وإنمـا تعـني القيادة الروحية أو القيادة العلمية للأمة(١).

ويرى الموسوي بأن حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فـيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتب الله حبل ممـدود مـن السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيـف تخلفوني فيهما" وفي رواية: "تركت فيكم الثقلين.."(٢)،

وبينما يستدل الشيعة بهذا الحديث على وجوب قيادة أهل البيت للأمة، يرى الموسـوي بأن هذا الحديث صريح في بيان القيادتين المنفصلتين، الأولى: هي قيادة دسـتورة وهـي القرآن، والثانية : قيادة علمية أو روحية وهي للأئمة أهل البيت، ويبين أن القرآن الـذي هو القيادة الدستورية يدل على أن الخلافة بالشورى(٣).

إذن فالموسوي يرى أن الإمامة في الانثي عشر هي قيادة علمية روحية فقـط، لا تتعلـق بالسياسة أبدا. وهذا ما سيتضح أكثر في بيان رأيه في موضوع الخلافة.

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢١

(٢)الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨ واللفظ لهما .ورواه الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠)وانظر السلسة الصحيحة٤/٣٥٥.وله روايه عند مسلم بلفظ آخر (رقم ٢٤٠٨)

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢١.

الخلافة بالشورى

يؤكد الموسوي أن الخلافة -أو القيادة السياسية- في الأمة تثبت بالشورى بدلالة القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم)) [الشورى٣٨] وقوله تعالى: ((وشاورهم في الأمر))[آل عمران١٥٩].

وعليه فإن الموسوي-مع قوله بأن علي أولى بالخلافة من غيره(١)- نجده يؤكد أن تجربة الأمة الأولى في تعيين الخلفاء بالشورى هو الموافق للقرآن، وفي هذا يقول الموسوي:" إن المسلمين انتخبوا الخلفاء انتخابا شرعيا لا غبار عليه، وإن الإمام علي بايع الخلفاء برضا ورغبة منه، وأنه قال خير الكلام فيهم، وكان يخلص لهم المشورة والرأي، ويمدهم بما يسألونه من نصيحة وفكر"(٢).

ويبين الموسوي أن قول الإمامية في الإمامة يصطدم بخمس عقبات كبيرة، هي(٣):

١. موافقة الصحابة-وهم الذين حموا الإسلام ونشروه- للقول بالشورى.
٢. أقوال علي رضي الله عنه التي لا تجتمع مع القول بالنص، مثل قوله للناس "دعوني والتمسوا غيري" وغيره مما سبق نقل كثير منه(٤).
٣. مبايعة علي رضي الله عنه للخلفاء.
٤. ثناء علي رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين، مثل قوله: "لله در عمر فقد قوم الأمد، وداوى العمد، وأقام السنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب.."(٥)ونحوه من الأقوال.

---

(١) الصرخة الكبرى ٤٣، الشيعة والتصحيح ١٤

(٢) الصرخة الكبرى ٤٣

(٣) انظر الشيعة والتصحيح ٣٠-٤٦، المتآمرون على المسلمين الشيعة١٣١، ١٤٣. وانظر: البرقعي ص

(٤) انظر ١٣٩-١٤١

(٥) نهج البلاغة ص ٥٠٩

٥. أقوال الأئمة ومواقفهم التي تبين أن الخلافة بالشورى، مثل قول علي -لما طلبوا منه أن يستخلف- فقال:"أترككم كما ترككم رسول الله"، ومثل تنازل الحسن عن القيادة السياسية. وغيرها من الأقوال التي سبق ذكرها(١).

رأي الموسوي في تأخر بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما.

يعتقد الموسوي بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يرى أولويته في الخلافة ولذا تأخر في مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، ولكن الدكتور الموسوي يقرر أموراً مهمة وهي :

١. أن علياً مع رأيه بأنه الأحق، ومع تأخره إلا أنه بايع أبا بكر رضي الله عنهما وأرضاهما، وهو ما يدل على أن الخلافة بالشورى حتى عند علي رضي الله عنه(٢).

٢. أن تأخر علي ومن معه، ومثله سعد بن عبادة الذي يقول عنه الموسوي بأنه لم يبايع(٣) لم يمثل خرقاً في البيعة التي ثبتت بمبايعة الأكثرية، كما هو سائد في نظام الشورى(١).

---

(١) انظر البرقعي ص ١٤١

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٧٤، ١٣٠. وانظر مبايعة علي رضي الله عنه في حديث أبي سعيد عند البيهقي في الاعتقاد (١٧٨) بسند قال عنه ابن كثير: إسناده صحيح (انظر: البداية والنهاية٥/٢٨٠)

(٣) ومما يدل على إقرار سعد رضي الله عنه ما جاء عند الإمام أحمد من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف في قصة السقيفة أن أبا بكر رضي الله عنه أنه قال: "ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار"، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: "قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال سعد عند ذلك: صدقت ونحن الوزراء وأنتم الأمراء"..(المسند ١/١٨). قال ابن تيمية رحمه الله:"فهذا مرسل حسن ولعل حميداً أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك، وفيه فائدة جليلة جدا وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالإمارة فرضي الله عنهم أجمعين" (منهاج السنة ١/٥٣٦-٥٣٧)

٣. أن تأخر علي و عدم مبايعة سعد بن عبادة رضي الله عنهما يمثل حالة راقية في الانتخاب الإسلامي ، من خلال صيانة الحق الدستوري للفرد بأن يختار من يشاء، من دون أي قمع أو إكراه(٢)، لاسيما في مجتمع قبلي لم يكن يعرف هذه المعاني(٣).

ولذا يصف الموسوي هذه الحالة السياسية الغريبة على العرب بـ"النبوغ المفاجئ الذي ظهر في البيئة الإسلامية في عصر الهجرة وفي أثناء حكم الخلفاء الراشدين" ويقول الموسوي عن هذا التطور الفكري عند المسلمين: "إن ما أحدثه القرآن الكريم وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وسيرته وأخلاقه وشخصيته في المجتمع الإسلامي حينذاك أحدث نبوغاً مفاجئاً لعامة المسلمين في تفكيرهم وشؤون حياتهم فكانت الديمقراطية والحرية المتمثلة بتطبيق الشورى والحكم العادل المتمثل في الخلافة الراشدة"(٤).

والخلاصة هي أن الموسوي يرى بأن موقف الإمام ومن معه لم يحمل عند الأمة الإسلامية إلا على حق دستوري عوّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صحابتَه وأمتَه عليها، ولا شك

---

(١) الصرخة الكبرى ٨١. ويقول ابن تيمية عن بيعة أبي بكر: "لو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه، وامتنع سائر الصحابة عن البيعة، لم يصر إماماً بذلك، وإنما صار إماماً بمبايعة جمهور الصحابة، الذين هم أهل القدرة والشوكة، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة، لأن ذلك لا يقدح في مقصود الولاية، فإن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك..(منهاج السنة١/٥٣٠).كما بين النووي رحمه الله أن البيعة لا يلزم أن تتم بمبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما تتم بمن تيسر من العلماء والوجهاء والرؤساء ووجوه الناس، وأن من لم يبايع لا يعتبر عاصيا ما لم يظهر خلافا أو يشق عصا الطاعة وهو ما كان من علي رضي الله عنه في المدة التي تأخر فيها.(انظر شرح صحيح مسلم ١٢/٧٧-٧٨).

(٢) يقول ابن تيمية:" ثم الانصار جميعهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية".(منهاج السنة ١/٥١٨)

(٣) الصرخة الكبرى ٨١، المتآمرون على المسلمين الشيعة٧٤

(٤) الصرخة الكبرى ٨٤ ، وانظر المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٠

بأن تحليل الموسوي للحالة السياسية التي مرت بها الأمة هو تحليل منصف، هذا ليس بمستغرب منهم إذا علمنا أنه لا يتنكر لمكتسبات الأمة، ولا لمجدها الذي حققته، وهو ما يدل على توجه محمود عند الموسوي رحمه الله، خلافا لمن حمله موقف الأمة الرفيع في انتخاب أبي بكر على الحقد والبغضاء للجيل الذي هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تاركا أمواله وأولاده، وحمى رسول الله من المنافقين والمشركين، ، ثم نشروا دين الإسلام من بعده في أرجاء المعمورة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

مراحل تطور عقيدة الإمامة عند الإمامية.

يرى الدكتور الموسوي بأن فكرة الإمامة عند الإمامية مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: عهد الأئمة.

ويشير الموسوي إلى المرحلة التي عاش فيها الأئمة من حياة علي رضي الله عنه، إلى وقت غياب الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الذي يعتقد الموسوي وعموم الإمامية بأنه قد ولد وأنه المهدي المنتظر.

ويبيّن الموسوي بأن الإمامة في هذه المرحلة كانت تعني "التشيع الخالص" وهو كما يعرفه الموسوي بأنه الاعتقاد بـ"أن الإمام علياً أولى بالخلافة من الخلفاء الذين سبقوه ولكن الإمامة هي بالشورى.. وأن المسلمين انتخبوا الخلفاء الراشدين انتخاباً شرعياً لا غبار عليه .."(١).

ويرى الموسوي بأن أصحاب التشيع الخالص كانوا يمثلون المعارضة العنيدة التي تطالب بإصلاحات دينية وسياسية وتدافع عن الظلم الواقع على آل البيت-في الفترة الأموية والعباسية-.

(١) الصرخة الكبرى ٤٣

كما يرى الموسوي أن هذه المعارضة الشيعية النقية من الخرافات كانت تمثل رأي الأكثرية من الأمة التي تريد الإبقاء على مكتسبات الإسلام التي تحققت في الصدر الأول من العهد الإسلامي(١).

والسؤال المهم هنا : هل كان غالب الأمة كما يقول الموسوي؟

يمكننا أن نجيب بأن ما ذكره الموسوي من تأييد الأمة في هذه المرحلة للمعارضة التي لم تتلطخ بعدُ بالغلو والابتداع، والتي تطالب بالعودة للمجد الذي حققه المسلمون **يشهد له تأييد كثير من الفقهاء لبعض حركات (الطالبيين) المسلحة الإصلاحية**، مثل النفس الزكية ونحوها.

كما أن كثرة **المشاركين في حركات الطالبين** التي كانت تنطلق من المدينة -وهي مقر الطالبيين الأساسي- أو خراسان- الذي يعد منفى الطالبيين- كل هذا يشهد لنوع من التأييد في فئة واسعة في الأمة.

ولفهم أدق لموقف الأمة في تلك الآونة من تلك الحركات يجب أن نذكر أن الذين أبدو معارضتهم للخروج، كابن عباس حين نصح الحسين رضي الله عنهما بعدم الخروج، أو كالحسن البصري حين نصح كثيراً من الفقهاء بعدم الخروج مع ابن الأشعث، أو كالصادق الذي روي عنه أنه نصح النفس الزكية بالتروي والصبر لوقت أنسب، ينبغي أن نعلم أن هؤلاء لم يكونوا يقرون الأخطاء التي ظهرت بل كانوا يشتركون جميعا في الألم على واقع الأمة والسعي من أجل إصلاح الواقع المرير، ولكنهم اختلفوا في الأسلوب الأنسب في التغيير والإصلاح وهي مسألة اجتهادية في ذلك الوقت.

فابن عباس والحسن البصري والصادق عليهم رضوان الله ورحماته كانوا يراعون في نظرتهم مدى تحقق لمصلحة المرجوة من الخروج المسلح، وحجم المفاسد المتوقعة من جراء ذلك، وبناء عليه نصحوا إخوانهم بترك الخروج المسلح(٢)، ولعل النتائج لكل تلك

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٩٨

(٢) كان الخلاف جار بين أهل السنة في القرنين الأولين في جواز الخروج على الولاة الظلمة، فعلى جواز الخروج جرى عمل الحسين رضي الله عنه وأمثاله كالنفس الزكية، والرواية مختلفة في رأي أبي حنيفة رحمه الله هل كان يرى وجوبه أو استحبابه، وخالفهم غالب أهل السنة مستدلين

الحركات قد أكدت صدق حدسهم، فقد وقع على إثر ذلك أحد أعظم مصائب المسلمين بقتل الحسين رضي الله عنه وثلة من خير آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما أن خروج أكثر من سبعين من الفقهاء والمحدثين مع ابن الأشعث، لم يخلّص الأمة من الحجاج، مما أدى إلى مقتلهم جميعاً رحمهم الله، وبقي الحجاج ببطشه وظلمه، والأمر نفسه مع حركة النفس الزكية التي خلّفت آثارا سيئة على كثير من آل البيت رحمهم الله وغيرهم[1].

والخلاصة هي أن الأمة قد وجد فيها فئة كبيرة في أيام الحسين والنفس الزكية وأخيه إبراهيم وشهيد الفخ وغيرهم ممن شارك بعض الطالبيين في حركاتهم المطالبة بإصلاح حال الأمة، وهم كما يقرر الموسوي بأنهم كانوا منسجمين مع عقيدة التشيع الخالص، الذي يطالب بالعودة إلى نموذج الخلفاء الراشدين من دون غلو أو شركيات أو قول بالعصمة والنص على الإمامة. ولعل ما سبق بيانه من الخلاف المتقدم في جواز الخروج عند بعض أهل السنة ومشاركة بعضهم عمليا أو علميا(بالفتوى) يعطي كلام الموسوي شيئا من

بأحاديث الصبر على الولاة ما لم يظهروا كفرا بواحا وغيره من النصوص، ولما رأى أهل السنة آثار الخروج على السلاطين استقر رأيهم على ترك الخروج على السلاطين. انظر منهاج السنة٢/٢٤١.
وانظر تفصيل أدلة الطرفين ومناقشتها في كتاب الإمامة للدميجي٥٠٢-٥٤٨.

(١)يقول المعلمي رحمه الله :" وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر: خرج الناس على عثمان يرون أنهم إنما يريدون الحق ، ثم خرج أهل الجمل يرؤساهم[هكذا في الأصل، ولعلها برؤسائهم] ومعظمهم أنهم إنما يطالبون الحق فكانت ثمرة ذلك النقيا والتي انقطعت خلافة النبوة وتأسست دولة بني أمية ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت المأساة ، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة، ثم خرج القراء مع ابن الأشعث فكان ما كان، ثم كانت قضية زيد بن علي وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى فخذلوه، فكان ما كان، ....والنصوص التي يحتج بها المانعون من الخروج والمجيزون معروفة، والمحققون يجمعون بين ذلك بأنه إذا غلب على الظن أن ما ينشأ عن الخروج من المفاسد أخف جدا مما يغلب على الظن أنه يندفع به جاز الخروج وإلا فلا، وهذا النظر قد يختلف فيه المجتهدان ، وأولاهما بالصواب من اعتبر بالتاريخ وكان كثير المخالطة للناس والمباشرة للحروب والمعرفة بأحوال الثغور.." منهاج السنة النبوية٢/٢٤١.التنكيل للمعلمي ١/٩٤

المصداقية في قوله بأن المعارضة "الشيعية الخالصة" كانت تمثل رأي الأغلبية فكرياً وليس عملياً. والله أعلم.

المرحلة الثانية: ما بعد عصر الأئمة.

وهو العصر الذي يسميه الموسوي بـ"عصر التدمير"، حيث يرى الموسوي بأن مفهوم الإمامة قد تحور إلى عقيدة تضم عقائد جديدة، هي:

١. أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد به.

٢. الإمامة كالنبوة فلابد أن يكون في كل عصر إمام يخلف النبي في وظائفه.

٣. أن الإمامة بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو بيان الإمام الذي قبله، وعددهم اثنا عشر إماماً.

٤. الإمامة [التي بمعنى الخلافة] ليست بالاختيار أو الانتخاب من الناس.

٥. يمكن أن يكون الإمام حاضرا أو غائبا.

٦. يتلقى الإمام المعارف والأحكام الإلهية عن طريق النبي أو الإمام أو عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله فيه.

٧. الإمام لا يخطيء ولا يشتبه ولا يحتاج إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقين المعلمين.

٨. الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، فأمرهم أمر الله ومعصيتهم معصية الله، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله.

٩. من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

وهذه الصفات التسع للإمامة هي في تصريح الموسوي مما أُحدث من تحوير في مفهوم التشيع([١]).

---

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٥٤

ظهور الجمع بين القيادتين في الفكر الإمامي وآثاره:

يؤرخ الموسوي لبداية الجمع بين القيادة السياسية والروحية للأمة بأوائل القرن الرابع، أو بما يصطلح عليه الشيعة بمرحلة"الغيبة الكبرى"([1]).

وينسب الموسوي هذا التطور المهم في تاريخ الفكر الإمامي إلى ثلاث فئات شاركت فيما يسميه الموسوي بـ"المؤامرة على المهدي"، وهي:

١. الخلافة العباسية.

٢. البويهيون.

٣. بعض علماء المذهب.

وقد اعتمد الموسوي في اتهامه لهذه الفئات على مبدأ " إذا أردت أن تكتشف الجريمة فابحث عن المستفيدين منها"، حيث بين الموسوي أن هذه الفئات هي التي استفادت وبشكل كبير من التطور الخطير في مفهوم الإمامة.

فالخلافة العباسية كانت متضررة من تأييد كثير من أبناء الأمة للمعارضة الشيعية النقية التي كانت تطالب بالعودة إلى محاكاة العهد الأول للأمة، والعمل بمبدأ الشورى، فجاءت فكرة الإمامة بالنص والعصمة وما رافقها من غلو لتغير موقف كثير من المؤيدين إلى العداء([2]).

كما أن البويهيين الذين استولوا على أجزاء من إيران عام ٣٢٢هـ ثم استولوا على بغداد عام ٣٢٤هـ، شاركوا في دعم هذه الفكرة الرامية إلى إيجاد التفريق الذي يخدمهم([3]).

وأما العلماء المتحالفون فهم -في نظر الموسوي- أكبر المستفيدين، لأنهم استطاعوا أن يوجدوا مناخاً مناسباً للسيطرة على عقول الناس وأموالهم([4]).

آثار القول بالنص

يذكر الدكتور الموسوي أن مفهوم الإمامة الجديد أوجد آثاراً خطيرة في الأمة، أهمها:

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة/المقدمة.

(٢) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٢

(٣) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٦.

(٤) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٢. والصرخة الكبرى ٦٠

أولا: تفريق الأمة.

إذ يرى الموسوي أن عقيدة الإمامية في النص والعصمة والقداسة للأئمة؛ كانت هي البادرة الأولى للتفريق بين الشيعة والسنة، لا سيما وأن العلماء المتحالفين مع أصحاب الفكرة أخذوا يصورون العهد الذي كانت المعارضة الشيعية الأولى تطالب بالعودة إليه وهو عهد السلف الصالح بأنه عهد كئيب مظلم، وأن رموزه مطعون فيهم بالنفاق والردة، مما جعل الأكثرية تقف موقف العداء من هذه الأفكار الضالة.

ثانيا: تسلسل الانحراف في المذهب الإمامي

يذكر الموسوي بأن عقيدة النص والجمع بين القيادتين أدخلت الشيعة في نفق مظلم مليء بالانحرافات، أولها الطعن في الصحابة بحجة أنهم خالفوا النص، ثم القول بالعصمة، والتقديس المفرط المفضي إلى الغلو(١).

كما أن الموسوي يَعدُّ الإفراط في استخدام التقية في تحليل مواقف وأقوال الأئمة، هو من آثار القول بالنص ، فقد قادهم قولهم إلى تفسير أي فعل أو قول لأحد الأئمة يخالف فكرة النص الإلهي على الإمامة بالتقية، حتى صار للتقية والمراوغة بُعداً كبيراً في المذهب(٢).

وأخيرا: يمكننا أن نلخص أفكار الموسوي حول فكرة الإمامة بما يلي:

١. يرى بأن الإمامة الشرعية هي منزلة روحية، وليست منزلة سياسية.

٢. أن الخلافة تتم بالشورى وليس بالنص.

٣. أن الخلافة تنعقد للمفضول مع وجود الأفضل.

٤. أن علي تأخر عن بيعة أبي بكر ثم بايع طواعية وبدون إكراه.

---

(١) المرجع السابق ١٤١-١٤٢

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٧-١٤٠

٥. أن تأخر علي في بيعة أبي بكر رضي الله عنهما داخل ضمن حق الفرد في الاختيار الذي يكفله مبدأ الحريات في الإسلام.

٦. أن التشيع في عهد الأئمة كان يعني أن علياً أولى بالخلافة فقط، وأن الخلافة تتم بالشورى.

٧. أن ثورات الطالبيين التي بدأت بخروج الحسين رضي الله عنه ومن جاء بعده كانت للمطالبة بما كان عليه المسلمون أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الأربعة.

٨. أن مفهوم الجمع بين القيادة السياسية والعلمية بدأ عند الإمامية في بداية القرن الرابع، وأن المشاركين في وضعه هم العباسيون والبويهيون وبعض علماء المذهب.

٩. أدى انحراف الشيعة في مفهوم الإمامة إلى انسحاب فئة كبيرة من المؤيدين لهم، وإلى دخول كثير من البدع في المذهب الإمامي.

هذه خلاصة تصور الموسوي للإمامة في عهد الأئمة وما آلت إليه بعد ذلك، والله أعلم.

المطلب الخامس:

رأيه في المهدي

يعتقد الدكتور الموسوي -كما يعتقد الشيعة الإمامية- بأن محمداً بن الحسن العسكري قد ولد في حياة أبيه، وأنه هو المهدي المنتظر.

كما يعتقد الموسوي بأن محمد بن الحسن بقي مختفيا عن الأنظار طيلة خمس وستين سنة وهي الفترة التي تسمى عند الشيعة بـ"الغيبة الصغرى"، وأنه كان يتصل بالشيعة عن طريق بعض الأشخاص، وهم من يطلق عليهم الشيعة اسم"النواب"(١).

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٠٥

غير أن الموسوي يتبنى رأياً غريباً في مسألة الغيبة الكبرى،وهي الفترة التي تعتقد الطائفة الإمامية بأن المهدي أعلن عن دخوله فيها عام ٣٢٩هـ من خلال النائب الرابع "علي بن محمد السيمري" الذي أظهر للناس ورقة موقعة باسم المهدي، جاء فيها:

"لقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، فمن ادعاها فهو كذاب مفتر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"(١).

و الموسوي يطعن في دعوى الغيبة الكبرى، ويرى بأن إعلانها تم بمؤامرة على المهدي من أجل عزله عن الناس وإلغاء أي دور لمن يلقاه (٢).

وعن إمكانية نجاح المؤامرة؛ يبيّن الموسوي بأنه يعتقد بأن المهدي بشر من البشر لا يملك قدرات خارقة، ولا يتدخل في شيء من تدبير الكون، وأنه من الممكن أن تنجح المؤامرة عليه، فيبقى أسيرا لها، شأنه شأن علي الذي حيكت له مؤامرة الاغتيال فنجحت، وكذلك الحسين الذي استشهد رضي الله عنه أيضا(٣).

ويذكر الموسوي بأن النتيجة لهذه المؤامرة هي أن الشيعة الإمامية أصبحت تكذّب كل من ادعى التلقي عن الإمام، ولكنها تؤمن بأن ثمة أشخاص يرونه بلا ميعاد، وأن من يلقاه لا يدرك بأنه المهدي إلا بعد مفارقته.

مناقشته لدعوى للغيبة الكبرى

لقد بين الموسوي بأن المقتنعين بفكرة الغيبة الكبرى من الإمامية وقعوا في أخطاء فادحة وهي:

أولاً: الاعتماد على رواية ليست متواترة، ثم التعامل معها تعامل الخبر المتواتر الضروري(٤).

---

(١) الشيعة والتصحيح ٦١.

(٢) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٩٣، ١٠٦

(٣) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١١١

(٤) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٠٦

ثانياً: التناقض حيث اتفق الشيعة الإمامية على تكذيب من ادعى رؤية الإمام والتلقي عنه، ولكنهم في نفس الوقت يثبتون أن كثيراً من خيارهم قد رأوا المهدي بعد الغيبة الكبرى، ولكنهم يتفقون على أمرين:

أ- أن هذه اللقاءات لا قيمة لها فقهياً.

ب- أن من ادعى أنه عرف المهدي حال كونه معه فهو كاذب. وهو ما يراه الموسوي تناقض في الموقف.

والمهم هو أن نعرف أن الموسوي يعتقد بأن المهدي حي ومختف، وأنه يمكن أن يلقى بعض الناس بدون تحديد، وأن فكرة الغيبة الكبرى مؤامرة حيكت لعزله، ومن ثم فتح الباب للتلاعب بمحبي آل البيت(1).

وقد دافع الموسوي عن إمكانية بقاء المهدي طوال هذه الفترة على قيد الحياة، مبينا أن هذا مما يجوز عقلا وشرعا، وبأنه داخل في إطار الغيب، مستدلا ببقاء نوح على قيد الحياة سنين طويلة.

والحقيقة أن الأفكار التي حاول الموسوي تقريرها حول المهدي؛ يصدق عليها وصف "الركاكة" و"عدم الاطراد"، لأننا نجده ينعى على الإمامية اعتمادهم على دليل غير متواتر في إثبات الغيبة الكبرى، وهو يعتقد بولادة المهدي وبقائه بدون أن يبين دليله المتواتر.

كما أنه يصف الشيعة الإمامية بالتناقض في قولهم في إمكانية لقاء المهدي مع عدم معرفته إلا بعد لقائه، وهو نفسه يقول بإمكانية لقائه والاستفادة منه دون أن يبين من الذي لقيه واستفاد منه.

كما أنه يحكي وقوع المؤامرة على عزل المهدي من قبل بعض المتحالفين عليه،مع أن لقائل أن يقول له: لماذا لا تحكي المؤامرة على ادعاء ولادته أصلاً من قبل المنتفعين؟

---

(1) انظر: الشيعة والتصحيح ٦٢-٦٣

المطلب السادس:

موقفه من القول بالعصمة

القول بعصمة الأئمة أحد الأمور المسلمة عند الإمامية، وهي في نظر الموسوي من العقائد التي دخلت في مفهوم الإمامة بعد عصر الأئمة(١).

ففي الوقت الذي تقول فيه الإمامية بأن القول بالعصمة أحد فضائل الأئمة، نجد الموسوي في المقابل يصف العصمة بأنها: "تنقيص من حق الإمام لا مدح فيه" ثم يبين الموسوي وجه النقص بقوله: "تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني أن الأئمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بإرادة الله، وهذا يعني فقدانهم الإرادة في تفضيل الخير على الشر، ولست أدري أي فضيلة تكتب للمرء عند الله إذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب إرادة خارجة عن ذاته"(٢).

كما يبين الموسوي بأن الإمامية لو كانت تقول بأن الأئمة لم يأتوا بالمعاصي لكمال نفوسهم ولوجود ملكة قوية أخلاقية، أو لعظم تقواهم لكان هذا كلاماً معقولاً، وإن كانت هذه النفسية لا تخص أشخاصاً معدودين، بل هي "صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه"(٣).

غير أن الموسوي يبين أن القرآن بما ذُكر فيه عن يوسف عليه السلام يدل دلالة واضحة على الطبيعة البشرية للأنبياء(٤).

---

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٥٤

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٢

(٣) الشيعة والتصحيح ٨٢

(٤) انظر: الشيعة والتصحيح ٨٢، ويقصد الموسوي ان حكاية الله تعالى عن يوسف أنه هم بالمرأة يدل على أنه بشر يعتريه ما يعتري البشر، ولكن الله تعالى صرفه .

المطلب السابع:
موقفه من القول بالرجعة

تحدث الموسوي عن عقيدة الرجعة عند الإمامية مبينا ما يلي:

أولاً: أن الرجعة من الأقوال التي ظهرت بعد عصر الأئمة ، حيث كان الطابع العام هو السذاجة والميل إلى الأفكار الغالية والبعيدة عن المنطق، وهو ما سهل رواج مثل هذه الفكرة([1]).

ثانياً: أن القول بالرجعة وإن قال به أكثر علماء المذهب ، إلا أن من أعلام المذهب من لم يؤيد هذا القول، مثل محمد الحسين آل كاشف الغطا، الذي نقل عنه الموسوي قوله عن الرجعة:"إنها لا تساوي قُلامة ظفر"([2]).

ثالثاً: يرى الموسوي بأن هذه العقيدة لا يوجد لها أثر عملي أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي في حياة الإنسان الشيعي، اللهم إلا شيئا واحدا وهو زيادة تمزيق الصف الإسلامي بمثل الخزعبلات القائلة بأن الأئمة سترجع وسيرجع الله أعدائهم من الصحابة وسينتقمون منهم ونحو هذا من الأخبار التي يقول عنها الموسوي: "فكل حديث من هذا النوع كان ولا يزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بالوحدة الإسلامية، ويقضي على كل بادرة من بوادر الألفة والتقريب"([3]).

وباختصار فإن الموسوي لا يؤمن بعقيدة رجعة الأئمة-التي يعتقد بها أكثر الإمامية- ويعتبر ذلك من الأمور التي أدخلت في التشيع بعد عصر الأئمة.

---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح ١٤٣

(٢) الصرخة الكبرى ١١٢، وانظر أصل الشيعة وأصولها ٥٤

(٣) الشيعة والتصحيح١٤٣

المطلب الثامن:
رأيه في الصحابة

اتجه الموسوي في نظرته إلى الصحابة اتجاها يخالف ما عليه جماهير الشيعة الإمامية، فقد سبق وأن ذكرنا أن جماهير الإمامية ذهبت إلى الطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يصل إلى القول بردهم إلا عددا يسيرا.

لكن الدكتور موسى الموسوي يبين أن الأمر ليس كما يقول أصحاب هذا الرأي ، بل على النقيض من ذلك، فقد تناول الموسوي موضوع الصحابة من عدة جهات، وهي:

١. أن نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم تجلى في المجتمع الذي رباه.

ففي نظر الموسوي أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يحقق نجاحا عظيما في التاريخ، **عندما بنى مجتمعا عظيما، وليس أفرادا معدودين** كما يصور الفكر الإمامي من خلال الروايات المكذوبة.

وفي هذا يقول الموسوي: "ذهب رسول الله إلى الرفيق الأعلى وترك بعده في الساحة أمة تأمر وتنهى.. فاستطاعت في أقل من ثلاثين عاما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم القائد أن تصل إلى أسوار الصين، وترفرف رايتها على نصف المعمورة في ذلك التاريخ، وتدخل تحت لوائها بلادا وأقاليم كان الوصول إليها ضربا من الخيال.."(١).

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٨

٢. الخلفاء الأربعة.

يعتبر الموسوي فترة الخلفاء الأربعة هي الفترة التي جسدت العدالة والصلاح، حيث ارتسم هذا المنهج في الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في حياة هؤلاء الخلفاء على أحسن وجه، وقد استشهد لذلك بمواقف من سيرتهم العطرة رضي الله عنهم[1].

٣. وصف الصحابة في القرآن.

يتحدث الموسوي عن الصورة المشرقة التي رسمها القرآن لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: هناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته وإخلاص الصحابة وتفانيهم في الإسلام وفي الدفاع عن الرسول صلى الله لعيه وسلم، ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة:

((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا)) [الفتح٢٩].

٤. وصف الصحابة في كلام علي رضي الله عنه.

يذكر الموسوي بأن علياً رضي الله عنه كان يثني على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثناء لا يجتمع معه ما يذكر كثير من الإمامية عنهم من الطعن.

فقد نقل الموسوي قول علي رضي الله عنه: " لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّدا وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم،

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢٥، ٢٨. ياشيعة العالم استيقظوا ٥٧.

كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب.."(١).

وهنا يستبعد الموسوي أن يثني علي رضي الله عنهم على الصحابة لو كانوا خالفوا النص الإلهي -الذي يدعيه الإمامية-، لا سيما إذا كان هذا الأمر يرتبط بالتشريع ومصالح الدين الذي ضحوا من أجله وبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل نشره والدفاع عنه(٢).

أثر الروايات المكذوبة في نشر ثقافة التجريح:

يرى الموسوي بأن من أكبر أسباب وقوع الإمامية في جرح وطعن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الروايات المكذوبة المنتشرة في كتب المذهب، والتي ساهم في وضعها -أي الروايات- كثير من الكذابين، ثم نقلها كثير من أعلام المذهب في كتبهم دون تمحيص.

ولهذا تبنى الموسوي في دعوته التصحيحية الدعوة إلى غربلة هذه الكتب التي تعد من أكبر أسباب تفريق المسلمين.

وقد مثّل الموسوي لهذه الكتب بكتاب "بحار الأنوار" للمجلسي، وهو الكتاب الذي يقول عنه الموسوي: "هذه الموسوعة بحق من أكثر الموسوعات نفعاً وضراً، فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثاً علمياً غنياً وتمد الباحثين والعلماء به، فهي تحتوي أيضا على أقوال ضارة ومواضع ركيكة أضرت بالوحدة الإسلامية أعظم الضرر وأكبره".

ثم يذكر الموسوي أن من أكبر جوانب الهدم في موسوعة بحار الأنوار "التركيز على طعن وتجريح الخلفاء الراشدين وبصورة مقذعة في بعض الأحيان، الأمر الذي اتخذه تجار الطائفية البغيضة فرصة مواتية لإثارة العداء بين الشيعة والسنة.."(٣).

---

(١) الشيعة والتصحيح ٣٢

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح ٣٢

(٣) الشيعة والتصحيح ٨٦-٨٧

من خلال ما سبق نجد أن الموسوي يقرر نظرةً منصفةً ومنطقيةً فيما يتعلق بالصحابة، فهو ينصف النبي صلى الله عليه وسلم في نجاحه ويقر بما حققه من جهود أثمرت جيلا نشر الدين في أرجاء المعمورة، وينصف الصحابة من خلال إقراره الفرق بينهم وبين المنافقين، وبالإقرار بفضلهم الوارد في القرآن، والاعتراف لهم بجهادهم ونشرهم الدين.

من جهة أخرى فإن الموسوي يقرر نظرته المنطقية تجاه الصحابة، عندما بيّن أن هذا الدين لم يكن لينتشر خلال سنوات قليلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان الخلفاء مرتدين والصحابة منافقين والمؤمنون منهم بالعدد القليل الذي تذكره الإمامية.

دعوته لتصحيح النظرة عن الصدر الأول في الإسلام.

من أعجب الأمور أن يجد المسلم الفرق شاسعاً بين نظر الفرقة الإمامية وبقية الفرق الإسلامية تجاه صدر الإسلام الأول، فبينما تجد عامة الفرق الإسلامية تتفق على النظرة إلى ذلك العصر على أنه النموذج الرائع بعد النبي صلى الله عليه وسلم، نجد الفرقة الإمامية تجنح إلى تصوير ذلك العهد بأنه عهد الخيانة والردة والنفاق.

وقد بين الموسوي أن رفع الغبار عن الماضي، وإظهاره على حقيقته يساعد في القضاء على كثير من المصائب التي ألمت بالمسلمين من التفرق والاختلاف، فيقول: "إن هذا الغبار في حياتنا الفكرية والاجتماعية نحن الشيعة الإمامية ظهر بصورة أكثر شدة وأثرا من أرباب المذاهب الأخرى، لأن رواة حديثنا وكتاب سيرنا أحدثوا في سرد الماضي بدعاً وفتناً وأعاجيب لا زلنا ندفع ضريبتها الباهضة"(١).

ثم يوضح الموسوي أن العصر الذي يقصده هو "عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعصر السلف الصالح حتى بيعة الإمام الحسن مع معاوية بن أبي سفيان" ثم يقول رحمه الله عن هذا العصر: "إن هذا العصر بالذات كانت القيم الاجتماعية والأخلاقية وصلت إلى أرقى صورة الحضارة الإنسانية في ظل تعاليم القرآن وسيرة الرسول، غير أن

(١) الصرخة الكبرى ١٤١

عصر الخلافة شوهه غبار الرواة وأرباب السير مضافا إليه عدم استيعاب الأجيال التي تلت ذلك الجيل العظيم حتى يومنا هذا"(١).

كما بين الموسوي بأن رأيه في معاوية رضي الله عنه ويزيد ومن بعدهم-ممن يصفهم بالاستبداد- لا يعني إلغاء وجود الأمة المادي والعلمي والثقافي ولا أن الأمة في جملتها قد أصبحت غير مؤثرة، بل كما يقول: "معاذ الله أن نقول كلاماً كهذا، فالإسلام وصل إلى حدود فرنسا بعد فتح الأندلس، وفي عهد الخلافة العباسية وصلت الأمة أوج ازدهارها، وكانت بغداد موطن الحضارة المادية والعلمية والثقافية الكبرى في ذلك العصر ، والسلاجقة كانوا يحكمون بلادا شاسعة واسعة ...فالمسلمون خدموا العلم والثقافة الإنسانية، من خلال تعاليم الإسلام، خدمة عظيمة ودفعوا عجلة المعرفة والحضارة الانسانية إلى الإمام.."(٢).

وباختصار فإن الموسوي يرى بأن صدر الإسلام شهد حضارة اجتماعية وثقافية وأخلاقية علي يد من يسميهم "الجيل العظيم"، ولكنه يرى بأن الروايات المشبوهة سعت في طمس ذلك الإنجاز الكبير، وهو ما اقتنعت به طائفة الإمامية من الشيعة(٣).

كما أن الموسوي يقدم حقيقة مهمة وهي أن التفسيرات الخاطئة لبعض المواقف التاريخية أنتجت تصوراً خاطئاً لدى طائفة كبيرة من المسلمين، ويضرب الموسوي مثلاً لذلك بحادثة الجمل التي يذكر الموسوي بأنّ الناظرين لها من المسلمين لا يخرجون عن خطين متناقضين؛ فئة تجرم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن معها ولم تغفر لها صنيعاً حتى اليوم، وهي فئة الشيعة الإمامية. وفئة أخرى وهي الفئة التي تنظر إلى عائشة على أنها اجتهدت فأخطأت، وهم الأكثرية من أهل المذاهب.

---

(١) الصرخة الكبرى ١٤١

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٩-٥٠

(٣) انظر: يا شيعة العالم استيقظوا ٥٩

ولكن الموسوي تعجب من الأمة التي لا تزال تتفرق بسبب هذه الحادثة بينما الإمام علي رضي الله عنه -وهو صاحب الحق في هذه الواقعة- قد أنهى ذيول الحرب في ظرف يوم واحد، حين عامل أم المؤمنين بالاحترام اللائق بها، وأمر بإعادتها إلى المدينة مكرمة معززة.

كما أعلن موقفه الراقي من طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعا حين رأى طلحة مقتولاً، فقال:

" لقد أصبحت أبا محمد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب"(١).

وعندما أتى قاتل الزبير إلى علي بسيف الزبير، قال له علي رضي الله عنهما:

"سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله" ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قاتل ابن صفية في النار"(٢).

والموسوي يجد في حادثة الجمل مواقف رفيعة للأمة في التعامل مع المعارضة لا يجده عند غيرها إطلاقاً، حيث تعامل معهم علي تعامل الأخ مع إخوانه بالإصلاح والنصيحة ، ولكن الموسوي فاته أن يذكر أن عائشة ومن معها لم يريدوا قتال علي ومن معه من صالحي الأمة، ولكنهم أرادوا منه أن يسلمهم قتلة عثمان ليقتصوا منهم، وأن علياً وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعا اتفقوا على تهدأت الفتنة لتجتمع الأمة . لكن قتلة عثمان أدركوا أنهم هم الفريسة لهذا الاتفاق فبدؤوا بالقتال وأثاروا الفتنة فحدثت وقعة الجمل(٣).

وقد كان علي أفقه هؤلاء جميعا حيث تصور المسألة تصوراً دقيقاً وحكم بأخف المفسدتين ، كما يظهر من إجابته حين قام أبو سلامة الدالاني في الكوفة فقال له : أترى

---

(١) الصرخة الكبرى ١٤٢-١٤٣

(٢) المرجع السابق ١٤٣. وانظر القصة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣١ ــ ٢٣٦ وج ٢ ص ١٦٧.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٨٥٢/٣

لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ فقال علي رضي الله عنه: "نعم"، قال فترى لك حجة بتأخيرك ذلك[أي الاقتصاص من قتلة عثمان]. قال علي رضي الله عنه: "**نعم إن الشيء إذا لم يُدْرَك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا**". قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا إذا؟ قال علي: "إني لأرجوا ألا يقتل أحد نقي قلبه منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة(١).

كما أن علياً قد ألمح إلى حكمه الدقيق عندما قال لطلحة والزبير: "هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم-أي قتلة عثمان- شر، وهو خير من شر منه- أي الفرقة والقتال- وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها"(٢).

(١) تاريخ الطبري ٨٥٣/٣

(٢) تاريخ الطبري ٨٥٣/٣

المطلب التاسع:

موقفه من اللطم وضرب القامات في المآتم

يرى الموسوي بأن ضرب القامات والصدور بالسلاسل والسيوف من أبشع البدع التي لا تزال تشكل جزءاً من مراسيم الاحتفال باستشهاد الحسين وغيره من المآتم التي يقيمها الشيعة الإمامية(١).

كما بين الموسوي بأن هذه المظاهر من الإعمال التي ساهمت في تشويه صورة الإسلام لدى الغرب، فقد أعطت الإعلام الغربي مادة غنية لتشويه الإسلام، وإعطاء المبررات الواضحة من أجل استعمار هذه الشعوب من أجل حملها على التقدم والمدنية(٢).

وأخيرا فإن الموسوي يرى بأن هذه المظاهر المبتدعة من الأمور المناقضة لكرامة الإنسان التي رعاها الإسلام(٣)، ولهذا نقل عن بعض أعلام الشيعة تحريم هذه البدع(٤).

---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح ٩٨

(٢) انظر: المرجع السابق ١٠٠

(٣) انظر: ياشيعة العالم استيقظوا ٥٣

(٤) انظر ما سبق ٢٩٣

المبحث الرابع:
موقف الإمامية منه

أولا: المعارضون للموسوي.

المعارضون لأفكار الموسوي-في وقته- يمثلون الأكثرية في صفوف الطائفة، وتضم هذه الفئة كثيراً من علماء المذهب والعوام الذين يغلب عليهم العاطفة.

وقد مثل هذا الاتجاه الدكتور "علاء الدين السيد أمير القزويني " في كتابه: "مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح".

فقد ناقش القزويني أفكار الموسوي، مجتهداً في ردها جميعاً، سالكاً مسلك الإسقاط للموسوي وأفكاره، كما اجتهد القزويني في التشكيك في مصداقية بلوغ الموسوي مرتبة الاجتهاد من خلال الحديث عن ضعف لغة الموسوي، ومحاولة إظهار أدلة الموسوي في مظهر الضعف.

إلا أن الدكتور القزويني-كما يظهر للقاريء- تحاشى الخوض في أخطر قضية طرحها الموسوي؛ ألا وهي ظاهرة الغلو في المذهب الإمامي ، ومشروعية طلب الحاجات من غير الله، وقد اكتفى القزويني بالاشارة المقتضبة لهذه القضية الأساسية ضمن الخاتمة في سطرين فقط(١)، مع أن الأجدر بالقزويني أن يهتم ببيان هذه المسألة، لأن الخلاف فيها أهم من الخلاف في مسألة الإمامة، والعصمة، ونحوها.

وقد كانت ردة الفعل عند الدكتور موسى الموسوي هو التعريض بالقزويني في مواضع من كتبه، فقد طعن بأصل الدكتور القزويني، مدّعياً أنه ينحدر من أسرة يهودية

---

(١) انظر: كتاب مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح للقزويني (الخاتمة) ص٣٥١

الأصل(١)، كما أبدى الموسوي تعجبه من حماس القزويني على الإبقاء على البدع والتي لا يدفع ثمنها إلا الشيعة ولا ينتفع منها إلا فئة قليلة(٢).

ومن المهم أن نقول بأن القزويني والموسوي قد خرجا عن الموضوعية، بتراشق الطعون والاتهامات، إذ من الخطأ الطعن في أصول الناس، لأنه وإن ثبت أن أصل القزويني "يهودي"، فإن الطعن فيه من هذه الجهة يخالف الموضوعية والروح العلمية، فضلاً عن مخالفة ذلك للأصل الشرعي القاضي بحرمة الطعن في الأنساب وبيان أن ذلك من الجاهلية، وهي طريقة درج عليها البعض -للأسف الشديد- في الرد في المسائل العلمية.

وعليه فقد كان يسع الموسوي أن يكتفي ببيان رأيه في أدلة القزويني وطرق استدلاله،والله أعلم.

ثانيا: المؤيدون للموسوي.

في مقابل المعارضين للموسوي -الذين يشكلون الأكثرية- وقف آخرون موقف التأييد لدعوة الموسوي.

فقد بين الموسوي عقب إصداره كتاب"الشيعة والتصحيح" أنه تلقى كثيراً من رسائل التأييد والإعجاب إلى درجة لم يخف الموسوي وصول بعضها إلى درجات لا يستحقّها من الإطراء وحسن الظن(٣).

من هم المؤيدون للموسوي؟

بين الموسوي بأن المؤيدين لأفكاره هم في الغالب من طبقة المثقفين[١]، كما أشار الموسوي إلى وجود طبقة كبيرة في شيعة إيران ممن تؤيد فكرة التصحيح والثورة الفكرية، وأنّ في شيعة الباكستان من يؤيد أفكاره(٢).

---

(١) انظر: ياشيعة العالم استيقظوا ٤٦.

(٢) انظر: الصرخة الكبرى ١٣٠

(٣) انظر: الصرخة الكبرى ٥

وليس من المستغرب أبدا أن تكون الطبقة المثقفة هي المؤيدة للموسوي، لأن ما يدعو إليه يحتاج إلى تحرر عقلي واتزان عاطفي، وهو ما لا يطيقه كثير من عوام الشيعة- الذين يغلب عليهم العاطفة المفرطة- وقد نستثني بعض البلدان التي تتسم بالانفتاح كلبنان أو الدول الغربية، وهو ما يفسر وجود طبقة كبيرة من المثقفين والعوام ممن يؤيد دعاة التصحيح في تلك البلدان .والله أعلم

---

(١) ياشيعة العالم استيقظوا ٤٦-٤٧

(٢) الصرخه الكبرى ٢٠

المبحث الخامس:

أبرز الملاحظات على موسى الموسوي

من خلال ما سبق يتبيّن أن الدكتور الموسوي تبنى دعوةً تـصحيحية جـادة، وأنـه سعى لتنقية ما يعده دخيلا على مذهب آل البيت رحمهم الله.

لكن الموسوي لم يخل من أخطاء، ولعل من أبرز ما وقفت عليه منها:

أولا:موقفه من معاوية.

اتخذ الموسوي موقفاً عدائياً حاداً من معاوية رضي الله عنه، معتمدا في ذلك على تهم يمكن إيجازها فيما يلي:

١. يتهم معاوية بأنه تحالف مع هرقل في محاربة علي رضي الله عنه، مقابـل أن يسلم له هرقل بالملك الوارثي، وأن معاوية كان يتلقى تمويلاً من الروم(١).

٢. يتهم معاوية بأنه ضالع في قتل عثمان(٢).

٣. يتهم معاوية بأنه أسس سياسة الاستبداد، وهدم قيم الإنـسانية في المجتمـع الإسلامي(٣).

٤. أنه قمع "شيعة علي" الذين كانوا يمثلون جهة معارضة سياسية للاستبداد٤.

٥. أنه أمر بسب علي على المنابر(٥).

٦. أنه أسس نظرية السمع والطاعة لولي أمر المسلمين، مـن خـلال تـأليف الأحاديث في ذلك(١).

---

(١) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٣١-٣٤

(٢) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٣٦

(٣) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة٣٨، ٤٢

(٤) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٥

(٥) المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٨

وباختصار فإن الموسوي ينظر إلى معاوية نظرة سيئة جداً، ويصوّر المواجهة التي حدثت بينه وبين علي رضي الله عنهما على أنها -كما يقول الموسوي-: "كانت مواجهة بين مدرستين متناقضتين في المباديء والأهداف: مدرسة الإسلام التي تمثل القيم الإنسانية وأهدافها السامية، وهي مدرسة الخلفاء الراشدين الأربعة، ومدرسة الاستبداد التي تمثل هدم القيم الإنسانية ومبادئها الرفيعة.."(٢).

وللوقوف على ما ذكره الموسوي لا بد أن يعلم القاريء الكريم أمرين:
الأول: أن الدفاع عن معاوية لا يعني تزكيته المطلقة، ولا إضفاء الشرعية على جميع أعماله، فمعاوية بلا شك لم يكن في مترلة الخلفاء الراشدين، لا من جهة المترلة والفضيلة، ولا من جهة تمثل الرشد في الخلافة، وأنه قد تولى وفي الصحابة الموجودين من هو خير منه بكثير كسعد بن أبي وقاص والحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهما.
ثانيا: أن الموسوي يمثل نفس الموقف الذي وقفه بعض المتقدمين في الأمة، من المحدثين الذين وصفوا بالتشيع الشديد من غير أن يوصفوا بالرفض، من أمثال المحدث الحافظ محمد بن فضيل بن غزوان، الذي قال عنه أبو داود السجستاني بقوله: "كان شيعياً محترقاً"، وقد وضّح الحافظ الذهبي رحمه الله ذلك بقوله: "إن تحرّقه على من حارب أو نازع الأمر علياً رضي الله عنه، وهو معظّم للشيخين[يعني أبا بكر وعمر] رضي الله عنهما"(٣). وقد أورد الذهبي عنه ما يدل على تعظيمه لعثمان رضي الله عنه أيضا، وهو أنه قال: لقد ضربت ابني البارحة إلى الصباح أترحم على عثمان فأبى علي(٤).

---

(١) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٥٢-٥٣

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٦١

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/١٧٤

(٤) المرجع السابق ٩/١٧٤

وهذا ما دفع الإمام أحمد لإنصافه فقال عنه: "حسن الحديث، شيعي" ، كما روى له الأئمة الستة في كتبهم([1]).

وبلا شك فإن هذا مما يوجب علينا أن نقف مع الموسوي كما وقف أسلافنا العدول الأبرار مع أمثاله من المتقدمين.

نقد مصادر الموسوي في اتهاماته لمعاوية.

اعتمد الموسوي في نقده لمعاوية وما نسبه إليه من التهم على أمرين:

١. نصوص كتاب نهج البلاغة.

٢. تحليلات شخصية للمواقف التاريخية.

فأما اعتماده على كتاب نهج البلاغة، فإنه خطأ، لأن كتاب نهج البلاغة لا يعد مصدراً موثوقاً من جهة إسناده، إذ المؤلف له هو الشريف الرضي وهو من أهل القرن الرابع، و لم يذكر أسانيده المتصلة إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فلا يصح الاعتماد عليه في اتخاذ مواقف كموقف الموسوي من معاوية

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله:"ومن طالع كتابه-أي المرتضى- نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل"([2]).

وأما الاعتماد على التحليلات والتوقعات من أمثال قول الموسوي بأن معاوية متحالف مع الروم ونحوه، فإنه خطأ منهجي كبير، لأنها في أحسن أحوالها دعوى تفتقر إلى الدليل التاريخي الموثّق.

---

(١) المرجع السابق ٩/١٧٤. مقدمة فتح الباري ٤٤١

(٢) ميزان الاعتدال ٣/١٢٤

مناقشة تفصيلية.

١. أغفل الموسوي جانباً مهماً؛ ألا وهو أن اثنين من الخلفاء الذين يعلي من شأنهم قد اعتمدوا على معاوية في الولاية، وأنه لم يظهر سوء ، بل هو من عمّال بعض الخلفاء الراشدين في إقليم مهم جدا وهو الشام ، وهذا لا ينسجم أبداً مع فكرة المؤامرة الرومانية الأموية التي يتحدث عنها الموسوي.

٢. من الصعب تصديق أن معاوية ضالع في قتل عثمان رضي الله عنه، لأن هذه دعوى بلا برهان، ولأن موقف معاوية كله مبني على المطالبة بدم عثمان، ولأن أهل الشام لم يشارك واحد منهم مع قتلة عثمان الخارجين، ولو كان الاغتيال مدبراً في الشام لرأينا مشاركين ولو بعدد يسير منهم. والله أعلم.

٣. لم يعرف أن معاوية أمر بسب علي رضي الله عنه على المنابر، وإنما عرف ذلك فيمن جاء بعده من خلفاء بني أمية، حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأوقف هذا وجعل بدلا منه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي...)(١)

٤. قول الموسوي بأن أحاديث السمع والطاعة لولاة الأمور والصبر على ظلمهم من تأسيس معاوية، يتضمن خطأ منهجياً في رد الأحاديث، لأن مبنى رد الأحاديث يكون إما بالطعن في السند بأحد أوجه الطعن المعتبرة، وإما بالطعن في المتن بالشذوذ أو النكارة، وأما الادعاء بأن هذا من وضع فلان أو فلان فهو مردود.

٥. كان يسع الموسوي أن يحمل أحاديث السمع والطاعة لولاة الأمور والصبر على ظلمهم على أنها مقيدة بما لايكون معصية، وأن يعتبر ذلك من محاسن الإسلام الذي جاء بحفظ أموال الناس ودماءهم، وأن هذا لا يعني أبدا الاستسلام للمنكرات، بل الأمر بالتغيير بالطرق المشروعة، التي تحقق المصالح بأقل مفاسد.

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ٣٢٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤٧/٥

٦. ما ذكره الموسوي من أخطاء معاوية الواقعة على بعض من كانوا يصنفون على أنهم من "شيعة علي" ، مثل "حجر بن عدي"(١) رضي الله عنه الذي قتله معاوية، فإن الموقف من ذلك هو موقف خيار الأمة إذ ذاك، ممن لم يرضوا بهذا الصنيع ، كعائشة رضي الله عنها التي أنكرت على معاوية، وظلت واجدة عليه بسبب ذلك(٢)، وكعبد الله بن عمر الذي حين أخبر بمقتل حجر وهو في السوق أطلق حبوته وولى يبكي(٣)، وكعبد الرحمن بن الحارث المخزومي الذي قال لمعاوية: أين عزب عنك حلم أبي سفيان؟ فرد عليه معاوية: غَيْبة مثلك عني من قومي(٤). كما أنكر ذلك العالم الجليل

---

(١) هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي رضي الله عنه، يعده ابن الأثير وابن عبد البر والذهبي من الصحابة، بينما عدّه في التابعين آخرون كالبخاري و ابن حبّان وابن أبي حاتم، وقد كان من شيعة علي زمن الفتنة فشهد معه الجمل وصفين، فلما انتهى الأمر إلى معاوية بايعه، ولكنه لم يكن راضياً عن تعامل ولاة معاوية مع شيعة علي، كما أنه كان يجاهر بمخالفته لاختلاف السياسية المالية التي انتهجها الأمويون في توزيع المال، وكان يجاهر بإنكار المنكرات، ولما أن كان المغيرة بن شعبة هو والي الكوفة كان يترفق بعمر بن حجر، ولكن لما تولى زياد بن ابيه على الكوفة لم يطق تحمل ما يثيره حجرٌ فقام بإغارة صدر معاوية وزوّر له شهادات بعض الصالحين على أن حجراً نزع يد الطاعة وأخذ يزين له قتله، فطلبه معاوية وعشرة ممن حوله، ولما أراد قتله أشار عليه بعضهم بأن لا يقتلهم وأن يكتفي بتفريقهم في البلدان، ومع أن حجراً لما دخل على معاوية قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين -في إشارة إلى أنه لم ينزع يد الطاعة وأنه لا يرى إنكاره مخرجاً له من بيعة معاوية-إلا أن معاوية أمر بقتله، وقد بلغ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نية معاوية أرسلت إليه لتثني عزيمته عن هذا الفعل الشنيع إلا أن رسولها لم يصل إلا بعد أن قتل حجراً، وقد ظلت عائشة واجدة على معاوية بسبب ذلك. انظر أسد الغابة ١/٣٨٥ . سير أعلام النبلاء ٣/٤٦٣ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٢١٧-٢٢٠. الإصابة ١/٣٢٩. مشاهير علماء الأمصار ٨٩ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦/٢٤١-٢٤٢. سير أعلام النبلاء ٣/٤٦٦. البداية والنهاية ٨/٥٤-٥٥.

(٣) الإصابة ١/٣٢٩. والبداية والنهاية ٨/٥٥.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٢١٩-٢٢٠.

مالك بن هبيرة السكوني، والربيع بن زياد -وهو عامل معاوية على خراسان- وشريح القاضي رحمهم الله ، وهو ما يعني عدم تبرأة معاوية من هذا الخطأ.

ولكن عائشة و ابن عمر وعبد الرحمن المخزومي والسكوني و شريح رضي الله عنهم جميعاً، لم يتجاوزوا إلى ما ادعاه الموسوي من أن معاوية يمثل مدرسة تحارب قيم الإسلام ونحو ذلك مما لا يحتمله الموقف، بل أعطوا الخطأ حجمه وقاموا بواجب الإنكار بوضوح تام، وهو ما جعل معاوية يندم على ذلك، فقد روى سفيان الثوري أن معاوية ندم على قتله لحجر بن عدي(١)، وذكر الطبري أن معاوية قال لعبد الله بن يزيد بن أسد القسري -حين دخل عليه في مرض موته: رحم الله أباك إن كان لنا ناصحا، نهاني عن قتل ابن الأدبر -يعني حجر بن عدي- (٢).وكان أباه ممن نصح معاوية بعدم قتل حجرٍ ومن معه والاكتفاء بتفريقهم في البلدان.

وأما ما ذكره الموسوي من استبداد معاوية وكبت حريات الناس، لاسيما الذين يخشى من معارضتهم، فإننا يجب أن نعلم أن عهد معاوية رضي الله عنه لم يكن ضمن الخلافة الراشدة التي جاء وصفه في حديث سفينة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا"(٣)، بل هي داخلة في النقص الذي بدأ يلحق الأمة بعد الخلافة الراشدة.

يقول ابن تيمية: خبره بانقضاء "خلافة النبوة" فيه ذم للملك والعيب له(٤).

---

(١)مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٤٢/٦

(٢)مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٤٢/٦، ٣١٧/٢٧.وانظر:تاريخ الأمم والملوك ٢٧٢/٥

(٣) رواه أحمد ٢٢٠/٥-٢٢١. أبوداود رقم ٤٦٤٦. والترمذي رقم ٢٢٢٦. وابن حبان ١٥٣٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢١/٣٥-٢٢

وقد أدرك معاوية بنفسه مستوى النقص الذي لحق السياسة الإسلامية في عهده، كما تكشفه لنا الحادثة التي يرويها أبو يعلى الموصلي عن أبي قبيل قال:

"خطبنا معاوية في يوم جمعة فقال: إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا. فلم يرد عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته، فلم يرد عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن شهد المسجد فقال: كلا، بل المال مالنا، والفيء فيئنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا، فلما صلى أمر بالرجل فأدخل عليه، فأجلسه معه على السرير، ثم إذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس إني تكلمت في أول جمعة فلم يرد علي أحد، وفي الثانية فلم يرد علي أحد. فلما كانت الثالثة أحياني هذا أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيأتي قوم يتكلمون فلا يُرد عليهم(وفي رواية: سيكون أمراء فلا يرد عليهم، يتقحمون في النار تقاحم القردة). فخشيت أن يجعلني الله منهم، فلما رد هذا علي أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني الله منهم(١).

وهذه الحادثة سند يثبت أمرين:

١. أن معاوية رضي الله عنه قد اكتشف بنفسه مدى تدني الرُشد في ملكه بالمقارنة بعهد الخلفاء الراشدين –وهو أمر ظاهر جدًا–، ومن ذلك تدني هامش الحريات وسهولة المطالبة بالحقوق: وهو ما كان واسعا في عهد الخلافة الراشدة.

---

(١) رواه أبو يعلى ٣٧٣/١٣ رقم (٧٣٨٢) . ورواه الطبراني في الكبير ٣٤١/١٩رقم(٧٩٠)، و٣٩٤/١٩ رقم(٩٢٥). وقال الهيثمي عن إسناد أبي يعلى رجاله ثقات(مجمع الزائده/٢٣٦)،ولأبي يعلى رواية أخرى بدون ذكر القصة ٣٦٧/١٣رقم (٧٣٧٧) قال عنها المحقق حسين سليم أسد "حسن إسناده".

٢. أن معاوية كان يمتلك جانباً من الخشية والحرص على متابعة هدي النبوة، وهو ما جعله يجري اختباراً بنفسه مع الناس في أحد أشد الأمور حساسية وهو مساس حقوق الناس وأموالهم، ليرى وزنه عند الله من خلال الخبر الذي سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكرار ذلك حتى تأكد أنه غير داخل في الوعيد.

ولسنا هنا في مقام محاكمة معاوية رضي الله عنه، فإن هذا ليس لنا، ولا ينبغي أن يكون لنا، والذي يجب أن يسلكه المؤمن هو إعطاء كل ذي حق حقه، فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أحد الصحابة، الذين سبقت له مرتبة الصحبة، وكان ما كان بينه وبين علي رضي الله عنه مما ندين الله فيه بالإمساك عن الطعن اتباعاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم -الوارد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه-: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)([١]) **وإن كان المحقق عند أهل السنة أن علياً كان هو المجتهد المصيب، وأن الحق كان معه، وأن معاوية هو المجتهد الباغي، وأنه قد حصل منه ومن جيشه البغي المحرّم** كما هو ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عمّار : (تقتل عمّاراً الفئة الباغية)([٢])، وقال صلى الله عليه وسلم : (يكون في أمتي فرقتان، تمرق بينهما مارقة-أي الخوارج-، تقتلها أولى الطائفتين بالحق)([٣])، والمعلوم أن الذي قاتل الخوارج هو علي رضي الله عنه، لكن الباغي لا يكون كافراً بمجرد بغيه لأن الله تعالى قال: ((وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا)) الآية [الحجرات ٩] فسمّاهم مؤمنين.

(١) رواه الطبراني في الكبير٢/٩٣ وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٤

(٢) مسلم رقم ٢٩١٦، أحمد ٦/٢٨٩ و٣٠٠ و٣١٥، النسائي في فضائل الصحابة ١٧٠ وابن حبان رقم ٦٧٣٦

(٣)مسلم رقم ١٠٦٤، أبو داود رقم ٤٦٦٧ وأحمد٣/ ٢٥، ٣/٧٩، وابن حبان رقم ٦٧٣٥

كما أن معاوية تولى الإمارة بعد الحسن رضي الله عنه، وسيّر جيوش المسلمين في نشر الدين بعد ذلك، وقد شاركه شيعة علي رضي الله عنهم جهاده ضد الخوارج(١). ولو كان الأمر كما يصوّره الموسوي لما وسع كرام "شيعة علي" أن يقاتلوا في جيش معاوية وعلى رأسهم معقل بن قيس الرياحي(٢)، وصعصعة بن صوحان(٣).والله أعلم.

ثانياً: قوله: بأن بعض علماء الفرق قال بتحريف القرآن.

من الملاحظات أن الدكتور الموسوي نسب القول بتحريف القرن لغير الشيعة، فهو يقول:"القائلون بالتحريف يشكلون عدداً من علماء الفرق الإسلامية كلها، إلا أن علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الأكثرية المطلقة بين هؤلاء"(٤).

---

(١) الطبري ٣/٩٥٠-٩٦٠

(٢) هو معقل بن قيس(أو عبد قيس) الرياحي ،من بني يربوع. قائد من الشجعان الأجواد. أدرك عصر النبوة. أرسله عمار بن ياسر بشيرا لعمر بن الخطاب بفتح (تستر) . كان صاحب شرطة علي بن أبي طالب و كان معه يوم الجمل، ثم كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة فلما خرج المستورد بن علفة الخارجي جهز معقلا وسيره لحربه، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة فتبارزا فقتلا معا. اعتمد عليه المغيرة بن شعبة في قتال الخوارج، لمعرفته بشدّته على الخوارج. الإصابة ٣ / ٤٧٥ . الطبري ٣/٩٥٠-٩٦٠. الأعلام ٨ / ١٨٨.

(٣) هو أبو طلحة صعصعة بن صوحان بن الحارث العبدي، من بني عبد قيس، ولد في دارين ،اسلم على عهد الرسول صلى اله عليه وسلم و لم يره، أحد خطباء العرب، كان من كبار أصحاب علي رضي الله عنه، شهد مع علي جميع مواقفه، نفاه المغيرة بأمر معاوية إلى جزيرة أوال-البحرين حاليا- حتى توفي فيها سنة ٥٦ هجرية ، وقيل سنة ٦٠ هجرية وله من العمر سبعين سنة ، ودفن في قرية (عسكر) الواقعة جنوب جزيرة المنامة العاصمة في البحرين . سير أعلام النبلاء٣/٥٢٨-٥٢٩. الطبري ٣/٩٥٠-٩٦٠ إصابة٥/١٤٣.الأعلام ٣/٢٠٥.
www.geocities.com/al_thaqalayn/mazarsasa.htm - ١٦k

(٤) الشيعة والتصحيح ١٣١

وما ذكره الموسوي من نسبة القول إلى آخرين غير الشيعة لم يعرف، بل الثابت عن العلماء نقل الإجماع على الإنكار على من قال بذلك من علماء الإمامية.

نعم، قد نقل عن قوم من الخوارج إنكار كون سورة يوسف من القرآن، إلا أن نسبة هذا القول إليهم ضعيفة ، والناقلون لها من العلماء يذكرها بصيغة التضعيف، ولهذا قال الأشعري " وحكي لنا عنهم ما لم نتحقق" ثم ذكر هذا القول عن بعضهم(١)، وكذلك فعل الشهرستاني حين نقل القول بصيغة التضعيف فقال: "ويحكى عنهم"(٢).

يقول ابن حزم رحمه الله: "لا خلاف بين أحد من الفرق المنتسبة إلى فرق المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن، وأنه المتلو عندنا نفسه، وإنما خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض، وهم كفار بذلك، مشركون عند جميع أهل الإسلام"(٣).

وبهذا يتبين أن ما قاله الموسوي ليس بدقيق. كما يتبن أنه لو ثبت القول بالتحريف عن بعض الخوارج، فهذا لا يصلح أن يوصف معه القائلون بأنهم "يشكلون عدداً من علماء الفرق الإسلامية كلها" كما يدعي الموسوي.

وأخيرا: نحن وإن خالفنا الدكتور موسى الموسوي في هذه الملاحظات التي سبق عرضها، إلا أنه يجب القول بأن الموسوي رحمه الله قد خطا خطوات كبيرة في سبيل المشروع الذي سماه "التصحيح"، وأنه قد مارس دور الناقد الشيعي من داخل المذهب، بتجرد واضح، وبموضوعية في أكثر مناقشاته، كما أننا يجب أن لا ننسى خطورة ما قام من بيان كثير من الحق في وقت صعب للغاية، والواجب على المسلم أن يعطي كل ذي حق حقه، **وهو في النتيجة شديد التشيع لعلي من غير رفض أو تكفير لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإماميٌّ بالمعنى الخاص الذي يدعو إليه –وهي الإمامة**

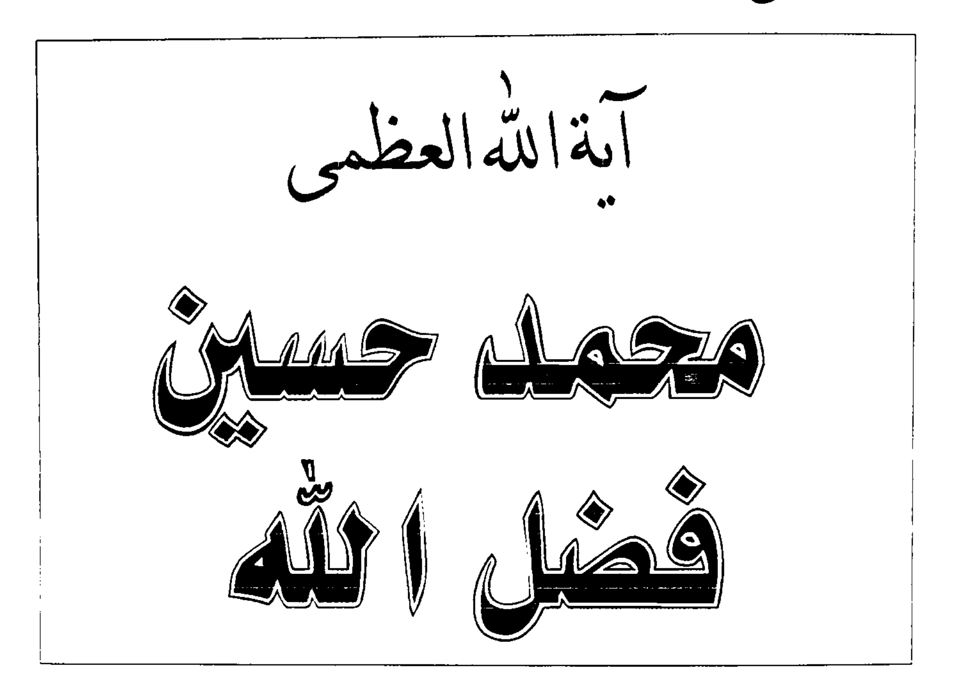
(١) مقالات الاسلاميين ١/١٧٨.

(٢) الملل والنحل ١/١٢٨.

(٣) الإحكام ١/٩٦.

الروحية العلمية، كما أنه يدعو إلى توحيدٍ نقي من الشركيات، وإلى إجـــلال الأئمـــة والأولياء من غير غلو، وإلى تشيع من غير أساطير أو خرافة. فرحمه الله رحمة واســعة وغفر لنا وله كل خلل وزلل، وجمعنا في جنات النعيم.

الفصل الثالث:



"لا بد من الخروج من أقبية الذات والخصوصيات والحسابات الضيقة ، وعلينا أن نواجه قضايانا وأفكارنا وحتى عقيدتنا بالنقد والشجاعة والجرأة قبل أن ينقدها الآخرون ، لأننا نملك كمّاً غير قليل من الموروث الذي تركه لنا الأقدمون ، والذي ينبغي النظر إليه بعين النقد والتحليل حتى لا نكون مصداقاً للآية الكريمة : ((إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون))"

محمد حسين فضل الله

المطلب الأول: ترجمته

اسمه ونسبه

هو آية الله العظمى أبو علي محمد حسين بن عبد الرؤوف بن نجيب فضل الله الحسيني نسباً، وهو من عائلة لبنانية من بلدة "عيناثا"(١).

ولادته:

ولد في التاسع عشر من شعبان سنة ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ ميلادية في مدينة النجف- حيث كان هناك والده لتلقي العلم- (٢) .

نشأته:

بدأ محمد حسين تعلمه في الكتاتيب ، فتعلم القراءة والكتابة والقرآن، ولما بلغ التاسعة انتقل إلى مدرسة أنشأها جمعية منتدى النشر في النجف على الطريقة الحديثة، ودخل في صفها الثالث ثم انتقل إلى الصف الرابع ولكنه سرعان ما تركها أيضاً وبدأ في الدراسة العلمية في الحوزة على يد والده وعمره إذاك تسع سنين(٣).

وقد كان فضل الله وفي فترة مبكرة يتواصل مع الأفكار والهموم الثقافية التي انشغلت بها المجلات المصرية واللبنانية والصحف العراقية في تلك المرحلة. فقد كان يقرأ مجلة المصوّر المصرية ومجلة الرسالة التي كان يصدرها حسن الزيّات، ومجلة الكاتب التي كان يصدرها طه حسين، وفي ظل هذه الأجواء نظم الشعر مبكراً، ولعل أوّل تجربة شعرية له خاضها عندما كان في سنّ العاشرة من عمره إذ ألّف قصيدة جاء فيها:

---

(١)عيناثا: بلدة في قضاء "بنت جبيل" جنوب لبنان . انظر: أمة في رجل لمحمد الجزائري٧. المؤسسة المرجعية ٦.

(٢)موقع بينات(موقع فضل الله الرسمي)
http://www.bayynat.org/www/arabic/sira/index.htm

(٣) المرجع السابق. و المؤسسة المرجعية ٦

فمن كان في نظم القريض مفاخرا ففخري طرّاً بالعلي والفضائل

أبرز شيوخه:

من أبرز شيوخه الذين تلقى عنهم:

١. والده عبد الرؤوف فضل الله ، وهو أول من تتلمذ عليه ، فدرس عنده حتى أكمل مرحلة المرحلة الثانية في سلم التعلم لدى الحوزة (السطوح) .

٢. مجتبى اللنكراني(١)، أخذ عنه الجزء الثاني من (كفاية الأصول).

٣. أبو القاسم الخوئي، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٤. محسن الحكيم، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٥. محمود الشاهرودي(٢)، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٦. حسين الحلي(٣)، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

---

(١) هو آية الله مجتبى اللنكراني النجفي ولد سنة ١٣١٣هـ، أصله إيراني،وهو من أساتذة الحوزة في النجف، له كتاب أوفى البيان، توفي سنة(١٤٠٦ هـ).انظر مقدمة كتاب "ترجمة الحسين١٠-١١" -ضمن ترجمة المحقق عبد العزيز الطباطبائي. وانظر الرد على الوهابية ٢٤ محمد جواد البلاغي(تحقيق السيد محمد علي الحكيم - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراثhttp://www.rafed.net/books/turathona/alrad/waha.html

(٢) هو آية الله العظمى حسين الشاهرودي الحسيني ولد عام ١٣٠١هـ في مدينة شاهرود الفارسية، هاجر إلى النجف ١٣٢٨هـ، له حاشية على العروة الوثقى، وكتاب ذخيرة المؤمنين. توفي ١٣٩٤هـ. انظر ترجمته في موقع (المعصومين): .http://www.١٤masom.com/aalem-balad/٢٩/١.htm

(٣) آية الله الشيخ حسين الحلي، ولد سنة ١٣٠٩ هـ ، وتوفي سنة ١٣٩٤ هـ. انظر كتاب "العلامة البيات" تأليف أسرة الفقيد ص١(الناشر مؤسسة الهداية ببيروت ط١ ١٤٢٣هـ) و تجد على موقع .http://www.qateefiat.com/٠٢/kot/view/٢٧٪٢٠albiat.htm:

هجرته إلى لبنان:

كانت أول زيارة لمحمد حسين إلى لبنان في سنة ١٩٥٣م ، ولكنه في عام ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٦٦م تلقى دعوة من جمعية أسرة التآخي الخيرية الثقافية في منطقة النبعة بضاحية بيروت الشرقية للانتقال والإقامة عندهم، فقبل ذلك لا سيما وأن ظروف النجف يومها فرضت عليه ذلك.

وقد بدأ أعماله في منطقة برج حمود فأسس هنالك حوزة علمية عرفت باسم المعهد الشرعي الإسلامي، وقد تخرج منها مجموعة من الطلاب.

نشاطه الاجتماعي:

يولي المرجع محمد حسين فضل الله الناحية الاجتماعية اهتماماً كبيراً بسائر نواحيها– وهو ما جعل له قبولاً كبيراً في لبنان والشام وغيرها–، ومن إنجازاته الأساسية :

١. جمعية المبرات الخيرية ، وهي جمعية مقرها بيروت تشرف على إنشاء ومتابعة عدّة جمعيات خيرية متنوعة صحية ودور أيتام ومساجد ومؤسسات للمعاقين وغيرها (١).

٢. مكتب للخدمات الاجتماعية، مقره بيروت ويقدم من خلاله المساعدات لعشرات الآلاف من المحتاجين، والتي إمّا أن تكون على شكل مساعدات شهرية أو على شكل مقطوعات مالية، أو مساعدات تربوية وصحية(٢) .

---

(١) انظر تفاصيل أعمال الجمعية على موقعها
http://www.mabarrat.org.lb/arabic/index.shtml

(٢) انظر تفاصيل أعمال المكتب في موقع مكتب الخدمات الاجتماعية
http://www.fadlullah.org

تعرضه للاغتيال:

تعرض محمد حسين فضل الله لمحاولة اغتيال في يوم الجمعة ٨ آذار ١٩٨٥ في مجزرة عرفت بمجزرة بئر العبد، ولكنه تأخر في المسجد للإجابة على سؤال امرأة فوقع الانفجار قبل خروجه(١).

مؤلفاته:

لمحمد حسين فضل الله كثير من الكتب، أبرزها:

١. آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية
٢. الحوار في القرآن.
٣. مفاهيم إسلامية عامة؛ وهي سلسلة ثقافية تربوية صدر منها عدة حلقات.
٤. تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم(ع).
٥. في رحاب دعاء الإفتتاح.
٦. في رحاب دعاء كميل .
٧. تأملات في الفكر السياسي الإسلامي.
٨. في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي.
٩. فقه الحياة.
١٠. تأملات إسلامية حول المرأة.
١١. صلاة الجمعة الكلمة والموقف.
١٢. المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية.
١٣. صراع الإرادات.

---

(١)وقد كان نتيجة محاولة الاغتيال حوالي ٨٠ قتيل بينهم أكثر من ٤٠ إمراة، والجرحى حوالي ٢٦٠. انظر مقال جلال حسين شريم: (١٧عاما على مجزرة بئر العبد) موقع بينات
http://www.bayynat.org.lb/www/arabic/hadathwamawkif/birabed٢.htm

١٤. تحدّي الممنوع.
١٥. حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع.
١٦. قضايا إسلامية معاصرة.
١٧. الزهراء(ع) نموذج المرأة العالمي.
١٨. خطاب الإسلاميين والمستقبل؛ من إعداد غسان بن جدو.
١٩. الحركة الإسلامية هموم وقضايا.
٢٠. على شاطىء الوجدان (ديوان شعر)
٢١. قصائد للإسلام والحياة (شعر)
٢٢. المشروع الحضاري الإسلامي.
٢٣. مع الحكمة في خط الإسلام.
٢٤. الإسلاميون والتحديات المعاصرة.
٢٥. حركة النبوة في مواجهة الانحراف، إعداد السيد شفيق الموسوي.
٢٦. في رحاب أهل البيت٣؛ الجزء الأول، إعداد السيد سليم الحسني.
٢٧. فقه الشريعة ج١ وج٢ وج٣.
٢٨. مناسك الحج.
٢٩. الزهراء(ع) القدوة.
٣٠. أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة.
٣١. الفقيه والأمة.
٣٢. تحديات المهجر.
٣٣. كتاب الجهاد، كتبه سماحة السيد علي فضل الله .
٣٤. كتاب النكاح، الجزء الأول، بقلم الشيخ جعفر الشاخوري.
٣٥. كتاب القرعة والاستخارة، إعداد المركز الإسلامي الثقافي.
٣٦. من وحي القرآن

المبحث الثاني:
آراء محمد حسين فضل الله

المطلب الأول:
مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يتميز محمد حسين فضل الله بصفاء واضح في توحيد الربوبية، فهو يتبنى رؤية بعيدة عن الأساطير وألوان الغلو في هذا الباب، ويعتمد في نظرته إلى الرب سبحانه على مبدأ انفراده تعالى بصفات الربوبية ومنها القدرة على الضر والنفع، وأنه المنفرد بالملك لكل شيء "فلا يملك أحد معه شيء "، كما يتضح صفاء توحيد الربوبية عند فضل الله عندما يبين ما يقابل ذلك، وهو يركزّ كثيرا على بيان فقر العباد كلهم لله، سواء في ذلك الأنبياء والأئمة والأولياء، فالعباد في نظره كلــهم محتاجون إليه ، لا يملكون موتهم ولا حياتهم(١).

ومن أهم المسائل التي يظهر فيها نقاء توحيد الربوبية عند محمد حسين فضل الله، وبعده عن شوائب الغلو والخرافة: موقفه من الولاية التكوينية، ونسبة علم الغيب إلى غير الله تعالى.

أولا: تصرف الأئمة في الكون "الولاية التكوينية"

سبق أن مر معنا اعتقاد طائفة من أشهر علماء الشيعة المعاصرين بأن الله سبحانه قد أعطى الأنبياء والأئمة قدرة على التصرف في الكون بحيث يخلقون ويرزقون وما إلى

---

(١) انظر حركة النبوة في مواجهة الانحراف١٢٤، و آفاق الروح ١/٣١٩، ٢/٨٠

ذلك(١)، وهو ما يسمونه بـ"الولاية التكوينية" أو " الخلافة التكوينية"، فما هو موقف محمد حسين فضل الله منها؟

موقف فضل الله من الولاية التكوينية.

لقد تناول محمد حسين فضل الله الحديث عن الولاية التكوينية في عدّة مواضع من كتبه، ويمكن تلخيص موقف فضل الله في نقاط:

١. أن دور الرسل والأنبياء هو دور دعوي تشريعي ، وليس دور إداري للكون، ولذا لا حاجة لإعطائهم ولاية تكوينية .

فهو يؤكد بـ"أنَّ دور الأنبياء هو دور تبشير وإنذار وتبليغ، وإذا كان لهم دور تنفيذي فإنَّهم يتحرّكون فيه من خلال الوسائل العادية المطروحة بين أيديهم في الحالات العادية "(٢)

٢. الرسل والأنبياء والأئمة بشر في خلقتهم وطريقة حياتهم وأساليب دعوتهم، وأما المعجزات والخوارق فإنها حالات استثنائية في حياتهم ودعوتهم، ويكون المقصود منها إحداث صدمة للكافرين وبيان لضعف آلهتهم.

فقد قرر محمد حسين بأن قوله تعالى ((قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)) [الأنعام ٥٠] "يدل على أمور منها: الصورة البشرية الواقعية للشخصية النبويّة، وأن الله لم يرد للنبي أن يبدو في نظر الناس شخصيةً أسطوريةً تملك في حوزتها الخزائن بحيث يغرف ما يشاء من المال لمن يشاء من الناس، ولا

---

(١) انظر ص ١١٣-١١٥

(٢) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

شخصيّة ملائكيّة ليأخذ بألباب الناس فيدهش العقول بأجنحته المتنوّعة المتعدّدة، وقدرته الأسطوريّة الخارجة عن كلّ حدّ".

والحكمة التي يستنبطها فضل الله من ذلك أنّ الله يريد للناس أن يؤمنوا بالرسول من خلال رسالته "بعيداً عن كل أشكال الضغط النفسي أو المادي، وعن كل ألوان الإغراء أو الاستعراض"(١)..

ثم يخلص محمد حسين فضل الله إلى أن الدرس الفكري الذي تعلمنا إياه هذه الآية هو: "أن لا نغرق أنفسنا بالأسرار العميقة **التي يحاول البعض أن يحيط بها شخصية النبيّ**، للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية وقدراته الكبيرة، بل بصفته الرسالية من حيث أخلاقه وخطواته ومشاريعه المتصلة برسالته".

كما يبين محمد فضل الله أن هذه النظرة هي التي يجب أن يتعامل بها مع شخصيات الأنبياء والأولياء جميعاً.

ثم ينبه على أن هذا المنهج هو الأسلوب الأمثل في الرسالة التي يراد منها أن يشعر كل إنسان بأن النبي قريبٌ منه بصفاته البشريّة التي يمكن أن تكون أساساً للامتثال والإتباع.

ثم يختم ذلك بالتنبه على انحراف بعض التيارات التي تتبنى القول بالولاية التكوينية بعبارة مهذّبة، فيقول:"وفي ضوء ذلك، نجد في الأبحاث السائرة في هذا الاتجاه انحرافاً عن الخط القرآني الذي يُرسم للناس في دراستهم لشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم"(٢).

---

(١) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠. موقع بينات (بتصرف يسير).

(٢) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠. موقع بينات .

النبي بين البشرية والخوارق.

يرى محمد حسين فضل الله بأن الخوارق والمعجزات لا يستدل بها على انتقال النبي من ضعفه البشري إلى امتلاك القدرات الخارقة التي تمكنه من التصرف بالكون بحيث لا يكون في مستوى البشر، لأن المعجزات حالة طارئة يراد منها-في نظر فضل الله- "أن تحدث صدمة تبين للكافرين شدة ضعفهم وضعف آلهتهم أمام الله، كما في طوفان نوح ونار إبراهيم، وعصا موسى، وقرآن محمَّد صلى الله عليه وسلم، يقول السيد محمد حسن فضل الله: "وتنتهي المسألة عند هذا الحدّ، فتكون بمثابة قضية في واقعة، وتعود الرسالة إلى مجراها الطبيعي، ويعود الرسول إلى الوسائل العادية، ويتحرّك الصراع من جديد ليعيش النبيّ هنا وهناك أكثر من مشكلة وهمّ وبلاء؛ فيتحمّل الألـــم القاسي، ويواجه التحدّيات الصعبة كأيّ إنسانٍ آخر من دون أن يُبادر إلى أيّة وسيلةٍ غير عادية للتخلّص من ذلك كلّه" (١).

الشرف بكمال العبودية لا بالولاية التكوينية.

يذكر محمد حسين فضل الله بأن مكانة الرسل والأئمة ليس بجعلهم أولياء على الكون أو وسطاء في الفيض-كما يعتقد بعض المخالفين- بل بكونهم أسمى البشر في عبوديتهم لربهم، لذا يقول:" عظمة الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] أنه عبد الله . ولذا نحن في التشهد نقول: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وكذلك علي [رضي الله عنه] عظمته أنه عبد الله، حتى الملائكة (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)(٢) .

ويقول أيضاً: " أمّا التشريف، فإنّه لا يتمثّل في إعطاء القدرة من دون قضية(٣)، أو توسيع السلطة من دون مسؤولية، واللّه يشرّف أنبياءه من خلال رفع درجتهم عنده.

---

(١) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٢) في رحاب دعاء كميل ٩٤ . وفي الاصل (لا يسبقونه في القول) والصواب كما في أعلاه.

(٣) يقصد من دون حاجة لها ، حيث قال هذا بعد ذكره أن دور الأنبياء دعوى ولا حاجة معه للولاية التكوينية – كما نقلنا قبل- .

بتقريبهم إليه ومحبته لهم وعلوّ مقامهم في الآخرة، أمّا الدُّنيا فلا قيمة لها عنده. ولذلك لـــم يجعلها أجراً لأوليائه، بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه"(١).

المعجزات بيد الله

المعجزات التي تحدث على أيدي الرسل تكون من الله ابتداء وانتهاء ، وأما الرسل فإنه لا دخل لهم في إيجاد شيء منها.

فقول الله تعالى:" ((قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ)) [الأنعام ٥٨] يدل في نظر فضل الله على أن النبي صلى الله عليه وسلم "وقف وقفة الرسول الذي يعرف قدراته جيّداً، فإنّ الله لم يسلّطه على مقدّرات الكون، فيأمره بإنزال العذاب على هؤلاء أو أولئك، لأن دوره الأوّل والأخير هو إبلاغ الرسالة..."(٢).

حياة الأنبياء والأولياء تخالف الولاية التكوينية.

من أحسن ما يستدل به السيد محمد حسين فضل الله على بطلان الولاية التكوينية حياة الرسل والأنبياء والأئمة وما واجههم فيها من مشاق و أذى ؛ بل وهزائم تدل على عدم امتلاكهم شيء من الولاية التكوينية المزعومة.

فهو يقول:" ثُمَّ ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها في حماية رسالتهم، فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولـــم يتحرّكوا بها في الانتصار لرسالاتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كلّه؟"(٣)

---

(١) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة– أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٢) تفسير من وحي القرآن –سورة الأنعام ٥٦–٦٧ .موقع بينات.

(٣) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة– أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

شبهة ورد:

لما رأى القائلون بالولاية التكوينية صراحة الآيات في ذكر بشرية النبي وتصريحه بأنه لا يملك المعجزات ((قل إنما الآيات لله)) أجابوا على ذلك بأن الرسول يخبر عن حالته الأصلية، قبل أن يُعطى الولاية التكوينية.

ويرد عليهم محمد حسين فضل الله على ذلك مبيناً أن نتيجة ذلك هي أن النبي يحكي لهم غير واقعه الفعلي فهو يقول لهم أنا لا أمتلك قدرة على شيء، ولكنه في الواقع يملك قدرة على التصرف في الكون، وهذا لا يتصور في حق الرسول صلى الله عليه وسلم(١).

ولو ألزمهم السيد فضل الله بأمر أشد، وهو أنه على قولهم كان يجوز للنبي صلى الله عليه وآله سلم أن يقول للكفار أنا لست نبياً لأنه لا يملك النبوة في الأصل، وإنما هي من الله، وهذا مما لا يستطيع المخالفون أن يقولوا به، مع أنه لا فرق بينه وبين قولهم في الإجابة الماضية.

موقفه من أدلة المخالفين القرآنية.

يبين فضل الله بأن ما ذكره الله عن سادات أوليائه في القران يدل على خلاف ما ادعاه القائلون بالولاية التكوينية.

وهنا يستعرض محمد حسين فضل الله الأدلة فيقف على مواضع من كتاب الله، ليستخلص منها ما يؤكد نفي الولاية التكوينية، وهي:

الموضع الاول: قصة نوح- عليه السلام .

يقف فضل الله عند قوله تعالى: ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝)) [القمر:٩-١٢]

---

(١) انظر: تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

يقول فضل الله :" وهي واضحة الدلالة على أنَّ المسألة كانت دعاء نوح واستجابة ربِّه له بإغراق الكافرين بالطوفان، من دون أن يكون لنوح أيّ دورٍ عملي فيه" (١).

الموضع الثاني:معجزات إبراهيم- عليه السلام-.

يبين فضل الله بأن ما حدث لإبراهيم من جعل النار برداً وسلاماً إنما هو بفعل الله ، كما هو واضح في قوله ((قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ))[الأنبياء:٦٩]

كما يقف محمد حسين فضل الله مع قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [البقرة:٢٦٠]

فيقول محمد حسن فضل الله: "فإنّنا نرى أنَّ دور إبراهيم في المسألة هو أن يأتي بالطيور ويذبحها ويقسّمها إلى أجزاء ثُمَّ يدعوهنّ لتأتينه سعياً. لنشاهد الصورة الواضحة في كيفية إحياء اللّه للموتى، فإنَّ اللّه هو الذي أحياها بطريقة مباشرة ولـــم يكن لإبراهيم دورٌ في ذلك"(٢)، وهو بالتالي يبين أن هذه المعجزات لم تكن بيدي إبراهيم عليه السلام وإنما بيد الله تعالى.

الموضع الثالث:معجزات موسى عليه السلام

وهنا يقرر محمد حسين فضل الله أن انقلاب عصا موسى أو تحول يده لم يكن بقدرة كونية عند موسى عليه السلام، لأنه لو كان كذلك لما حدث منه الخوف من خوضه التحدي مع السحرة ، "لأنَّه كان ينتظر تدخل اللّه غير العادي في المسألة، وذلك هو قوله تعالى: ((فأوجس في نفسه خيفةً موسى* قلنا لا تخف إنّك أنت الأعلى* وألقِ ما في يمينك

---

(١) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٢) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

تلقف ما صنعوا*أنما صنعوا كيدُ ساحرٍ ولا يُفلح السَّاحر حيثُ أتى))
[طه:٦٧ـ٦٩]"(١).

الموضع الخامس : عيسى عليه السلام.

يعتبر القائلون بالولاية التكوينية من حججهم الدامغة هي قوله ((أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ)) [آل عمران:٤٩]

ولكن محمد حسين فضل الله يرى بأن الآية لا تدل إلا على أن "دور عيسى كان دور الآلة التي تتحرّك لتصنع شيئاً كهيئة الطير وتنفخ فيه، فيبعث اللّه فيه الحياة. وهكذا يضع يده على الأكمه والأبرص وعلى الميت، فتحدث العافية في الأولَيْن، وتنطلق الحياة في الثالث من خلال إرادة اللّه" (٢) .

يقول محمد حسين فضل الله" وهكذا نرى أنّه لا دليل في كلّ هذه المواقع على الولاية التكوينية في النص القرآني، بل ربَّما نجد الدليل على خلافها من خلال الآيات التي تدل على أنَّ النبيّ لا يملك شيئاً من ذلك كلّه، وأنَّ مهمته الأولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها في الإبلاغ والتبشير والإنذار وهداية النّاس إلى سُبُل السَّلام في الطريق إلى اللّه"(٣)

---

(١) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٢) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٣) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة- أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

<u>والخلاصة</u> هي أن محمد حسين فضل الله يرى بأن القول بالولاية التكوينية مخالف للحق من جهات:

الأولى: مخالفة الحكمة الإلهية في جعل الرسول بشرا، ليكون في نظر الناس مثلهم، وهو ما يسهل الاقتداء به.

الثانية: مخالفة الآيات التي تبين عجز الأنبياء، وعدم امتلاكهم الآيات التي يطلبها المشركون.

الثالثة: أن الآيات التي يستدل بها المخالفون لا تدل على قولهم، بل هي تدل على نقيضه.

ثانيا: نسبة علم الغيب للأئمة.

مما يبين بُعد محمد حسين فضل عن الخرافات والغلو في باب الربوبية تقريره بأن الله هو المختص بعلم الغيب. مستدلاً بآيات كثيرة من القرآن. من أبرزها: قوله تعالى ((قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عندى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)) [الأنعام ٥٠] حيث بين فضل الله بأن هذه الآية تدل بشكل واضح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يمتلك علم الغيب، وأن الله لم يرد من الرسول أن يكون إنساناً يقف بين الناس ليتحدث عن أسرارهم الكامنة في صدورهم وعمّا ينتظر كل واحد منهم من أحداث المستقبل. على أساس ما يحمله من علم الغيب الإلهيّ، **كما هو دور النبي في تصوّر الكثيرين**، حيث يجعلون من النبي صلى الله عليه وسلم أشبه ما يكون بشخصية الكاهن (١).

---

(١) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠.

وهكذا يتبين أن المرجع الإمامي المعاصر محمد حسين فضل الله قد اتجه اتجاهاً صافياً من الغلو في باب الربوبية، وأنه سعى بشكل واضح إلى نبذ الأساطير والخرافات التي يتعلق بها بعض التيارات الإمامية، مبيناً أنها مما لا يمت إلى عقيدة القرآن ومنهج أئمة آل البيت، وهو بهذه الخطوات المحمودة يكون قد قدّم خطوات صادقة نحو إصلاح المذهب الإمامي، وجمع كلمة المسلمين على أساس التمسك بالهدي الصحيح، كما قال تعالى: ((وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ))[آل عمران:١٠٣].

المطلب الثاني

مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

دلالة كلمة التوحيد" توحيد العبادة"

يرى محمد حسين فضل الله بأن كلمة (لا إله إلا الله) تعني إفراد الله بالعبودية ، وأن لها ركنان هما النفي والإثبات وهما يدلان على وجوب صرف الخضوع والتذلل لله وحده دون سواه، ولذا يقول معنى (لا إله إلا أنت) :

"أي يا رب أنت الإله الذي لا شريك له في الألوهية ، وأنت المعبود الذي لا يعبد سواه ..[حتى قوله] وأشهد انك المعبود الجدير حقيقة بمقام العبودية ولا أحد سواك "(١).

كما يبين محمد حسين فضل الله أن ركني شهادة (لا إله إلا الله) " تتكامل فيهما مظاهر القوة مع مظاهر الخضوع و التذلل لله سبحانه وتعالى"(٢) .

---

(١) في رحاب دعاء كميل ١٣٦

(٢) المرجع السابق ٣٣

تعريف العبادة

يرى محمد حسين فضل الله بأن اسم العبادة يشمل ثلاثة أمور : الخضوع، والطاعة، والتأله(التعبد).ولذا يقول: "ليست العبادة هي الخضوع ولا الطاعة ولا التألّه، ولكنّها المعنى الذي يشمل ذلك كلّه في خصوصية مميّزة"(١).

كما أنه يرى بأن العبادة التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده " تتمثل في كل أمر يحبه الله مما يتعلق بنفسك، ومما يتعلق بالحياة من حولك، ومما يتعلق بكل الرسالات التي أراد الله لك أن تعيشها "(٢) .

ولذا نرى محمد حسين فضل الله يركّز على أن خضوع المؤمن وتذلّله – الذي هو حقيقة العبادة – يجب ألا يكون إلا لله وحده سبحانه ، بل ويصرح بأن" أي خضوع يقع من الإنسان لغير الله فهو خطأ "(٣).

كما يؤكد فضل الله وضوح مفهوم العبودية لديه عندما يبين أن خضوعنا لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو تبع لخضوعنا لله القائل: ((مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ))[النساء: ٨٠]، والقائل:((إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ)) [آل عمران:٣٢]، ليصل فضل الله بعد ذلك إلى نتيجة هي أنه "ليس لدى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية إلا أنه ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ))[النجم:٣-٤]" (٤).

(١) تفسيرمن وحي القرآن – الفاتحة – موقع فضل الله (بينات) .http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٢) المرجع السابق ٢٠١

(٣) المرجع السابق ٣٣

(٤) المرجع السابق ١٩٦

كل هذا يؤكد لنا أن مفهوم العبادة عند فضل الله في الجملة متوافق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة .

متى يكون فعل العبادة لغير الله شرك!

يرى فضل الله بأن توجيه العبادة لغير الله تعالى انحراف يجب تجنبه، ولكنه لا يعد كل عبادة تصرف لغير الله تعالى شركاً، لاحتمال كونها وقعت على غير وجه العبادة، كالسجود أو الركوع على وجه التحية مثلا، وهو وإن كان يرى ذلك خطأ، إلا أنه يتوقف في اعتبار جميع ذلك شرك، ولتوضيح وجهة نظره نبين أوجه وقوع العبادة لغير الله ووجهة نظر فضل الله فيها:

الصورة الأولى: أن يجتمع صورة العبادة – كالسجود ونحوه – مع قصد التعبد والتقرب لذات معينة غير الله، وهو ما يعبر عنه فضل الله بـــ(الاستغراق في الذات التي يوجّه إليها الفعل المعين)(١)، وهذا النوع يرى فضل الله بأنه شرك.

الصورة الثانية: أن يقوم العبد بأحد صور العبادة لغير الله بدون أدنى خضوع في داخله لغير الله، بل لقصد آخر كالتحية مثلا، ثم يضرب لذلك مثالين:

الأول : سجود الملائكة لآدم – عليه السلام – ، وهو كما يقرر فضل الله استجابة لأمر الله بالسجود، إضافة إلى أنه لم يتضمن سوى التحية لهذا المخلوق دون أدنى قصد بخضوع العبادة.

---

(١) تفسير من وحي القرآن – تفسير الفاتحة– موقع فضل الله (بينات)
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

يقول محمد حسين فضل الله : " فإن الله قد أمر الملائكة بالسجود لآدم تحية له وتعظيماً للإبداع الإلهي في خلقه، فسجدوا امتثالاً لأمره وانقياداً له، لأن المسألة لم تكن مسألة سجود لهذا المخلوق، بل هي امتداد لعبوديتهم لله وخضوعهم المطلق له، فلا مجال لديهم- من ناحية ذاتية- لسؤال أو اعتراض"(١)

الثاني: سجود أخوة يوسف ووالديه له -عليهم السلام-، وهي من قبيل ممارسة بعض العادات الاجتماعية كالتحية بالركوع والسجود.

فالمسألة هي — في نظر فضل الله — "مسألة التقليد المتّبع في احترام صاحب العرش، الذي يملك السلطة، في السجود له، تعبيراً عن الشعور بعظمته وعن التقدير لمقامه الرفيع".

والذي يريد محمد حسين الخلوص له هو أن لا يُطلق حكمُ الشرك بمجرد وقوع صورة العبادة لغير الله حتى تتم "دراسة خلفياتها الفكرية والروحية في شخصية من يمارسها، ومعرفة التقاليد الاجتماعية في مسألة الاحترام والتقدير"(٢).

ومع هذا فإن فضل الله -كما سبق- يرى بأن من الخطأ أن توجّه العبادة لغير الله ولو في الصورة دون القصد كسجود التحية لأنه مما يخالف شرعنا.

ولذا نجده يؤكد على أن سجود المسلم تحية للأولياء حين زيارة قبورهم من الممارسات" المنحرفة التي تتحول فيها المسألة إلى ما يشبه الطقوس العبادية للقبر ولصاحبه"، بل ويعتبر ذلك من الأخطاء الغريبة " عن وحي التوحيد الإلهي"(٣).

---

(١) آفاق الروح ١/٧٦

(٢) تفسير من وحي القرآن - تفسير الفاتحة- موقع فضل الله (بينات)
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٣) آفاق الروح ١/٦٠٨-٦٠٩

والخلاصة : هي أن فضل الله يرى أن كل ما يسمى "عبادة" يجب أن لا يصرف إلا لله، ولكن إطلاق وصف الشرك على من خالف ذلك لا يصدق إلا مع وجود قصد العبادة في قلب الفاعل، ولذا فهو يقرر بأن كل سجود من المسلم لغير الله فهو منهي عنه، ولكنه لا يصفه بالشرك حتى يكون قصد الساجد التقرب إلى المسجود له.

مناقشة فكرة فضل الله

لمناقشة ما ذكر محمد حسين فضل الله في مسألة السجود ينبغي أن يقال بأن فعل السجود والركوع والذبح ونحوها من العبادات لا يكون عبادة إلا إذا قُصد به التقرب إلى المعبود، كما قال محمد رشيد رضا رحمه الله:"والعبادات إنما تمتاز عن العادات بالتوجه فيها إلى المعبود تقرباً إليه، وتعظيماً له، وطلـــباً لمثوبته ومرضاته.." (1)، وقد حكى الإجماع على كفر من سجد لغير الله **بنية العبادة** النوويُ والشوكاني(2)، ولهذا لو سجد أحدهم لأب أو عالم ونحوهما وقصد التحية والإكرام فقد وقع في محرّم خطير وإن قلنا بأنه لم يشرك، وأما إن قصد الخضوع والذل والتقرب فهذا من الشرك، لكن لو سجد لشمس أو قمر، فمثل هذا السجود لا يأتي إلا عن عبادة وخضوع وتقرب فهو سجود شركي لعدم تصور وقوع التحية لمثل هذه الأجناس من المسلم(3).

وقد استشكل العز بن عبد السلام رحمه الله الفرقَ بين السجود للصنم وبين سجود الولد لوالده بناء على أنها جميعا تقع على وجه التعظيم، ولكن ابن حجر الهيتمي رحمه

---

(1) تفسير المنار8/243.

(2) انظر نيل الأوطار 168/7. البحر الزخار5/205. ونقل سعدي حبيب قول النووي في المجموع2/73 (موسوعة الاجماع2/548)، وانظر حاشية ابن قاسم 7/403.

(3) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف278-279. وانظر مجموع الفتاوى 372/1. الإنصاف للمرداوي (مع كتاب الشرح الكبير/بتحقيق التركي)27/108-109

الله[1]: أجاب على ذلك بأن الفرق هو أن الوالد قد ورد الشرع بتعظيمه، بخلاف الصنم ونحوه، وبأن السجود لتعظيم الوالد وما كان من جنسه ثبت أنه كان من شريعة من قبلنا؛ "فكان شبهة دارئة لكفر فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم والشمس فإنه لم يرد هو ولا ما يشابهه في التعظيم في شريعة من الشرائع، فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية، فكان كافراً، ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه، فاندفع الإشكال.."[2].

وقد نقل الهيتمي عن صاحب المواقف وشارحه رحمهم الله جميعاً اعتبار ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ محرم قطعاً سواءً كان إلى القبلة أو لغيرها، وسواء قصد السجود لله أو غفل، ثم قال: "وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله"[3].

كما أن الشوكاني رحمه الله قال: "وما يفعله عوام الناس من سجودهم بين يدي العلماء، ولو كانوا محدّثين، فهو حرام بإجماع المسلمين، فإن كان السجود لغير الله بنية العبادة فهو كفر بإجماع المسملين"[4].

كما ينبغي أن ينبه إلى أمر مهم وهو أن السجود على وجه التحية كان سائغاً في شريعة من قبلنا ثم نُهي عنه في شرعنا[5]، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن

---

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، ولد سنة٩٠٩هـ، وتوفي ٩٧٣هـ. انظر شذرات الذهب ٣٧٠/٨. البدر الطالع ١٠٩/١. الأعلام ٢٣٤/١.

(٢) الإعلام بقواطع الاسلام ١٩٤(ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر/جمع د.محمد الخميس)

(٣) المرجع السابق١٩٥-١٩٦

(٤) نيل الأوطار١٦٧/٧

(٥) وانظر تفسير المحرر الوجيز٣٧٧/٩.وتفسير ابن كثير٢ ٤٩١.

يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها)(١)، وقد روى غير واحد من علماء الشيعة عن أبي عبد الله الصادق رحمه الله أنه قال: إن قوماً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها).(٢) .

كما رووا عن الصادق رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعداً في أصحابه إذ مر به بعير فجاء حتى ضرب بجرانه الأرض ورغا، فقال رجل: يا رسول الله أسجد لك هذا البعير فنحن أحق أن نفعل؟ فقال: (لا بل اسجدوا لله) ثم قال: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)(٣).

والخلاصة: هي أن السجود لغير الله ممنوع، فإن كان للصنم أو الشمس ونحوهما فهو كفر بإطلاق، وإن كان لنحو الوالد أو العالم فإن كان بنية العبادة فهو كفر وإن كان بنية التعظيم والاحترام فهو محرم قطعا، ولا يمنع من كونه كفر إلا الشبهة فقط -كما سبق-.

وموقف السيد محمد حسين فضل الله الذي وقفه من النهي عن السجود لغير الله تعالى هو عين الموقف المنقول عن الصادق رحمه الله تعالى في النهي عن السجود لغير الله تعالى. والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد٣/١٥٨. والبزار(مجمع الزائد٩/٤) وصححه الالباني في الإرواء٧/٥٥.

(٢) الكافي ٥/٥٠٧-٥٠٨. من لا يحضره الفقيه٣/٤٣٩. وانظر بحار الأنوار ١٧/٣٧٧.

(٣) وسائل الشيعة٦/٣٨٥. مستدرك الوسائل٤/٤٨٠ .بصائر الدرجات٣٢٥ .تفسير فرات٣٨٨. الخرائج والجرائح١/٣٩.

العبادة بين الخوف والرجاء

يرى محمد حسين فضل الله بأن كمال العبودية للمؤمن أن يعبد الله تعالى بين جناحي الخوف والرجاء، بحيث يتوجه المؤمن لله تعالى بالعبادة خائفاً من عقابه وعذابه، وطالباً رضاه وثوابه في الدنيا والآخرة.

وفي إشارة إلى الاتجاه الصوفي يشير فضل الله إلى الاتجاه الذي يتمسك أصحابه بفكرة خاطئة، ألا وهي أن كمال العبودية في التوجه لله بالعبادة بدون أي قصد آخر، لأن طلب الثواب أو غيره في نظرهم مما يجعل العبادة في معنى المعاوضة.

ولكنَّ محمد حسين فضل الله يرى بأن الخوف من الله والطمع فيما عنده هو من ضمن عبادته، كما أنه يرى أن الإسلام راعى الجانب الإنساني في الفرد؛ وهو تطلعه لما ينفعه وهربه مما يكرهه أو يضره ، ولهذا رغب الله في عبادته في القرآن وعزز ذلك بما يحفز الإنسان فقال: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً))[السجدة:١٦] وقوله تعالى: ((وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)) [الأعراف:٥٦] وقوله تعالى: ((يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ))[الإسراء:٥٧].

يقول فضل الله: "وعلى هذا الأساس، تنطلق التربية الإسلامية لتؤكد على الجانب الإنساني في التطلّعات الذاتية التي يعيشها النّاس في ما يتحرّكون فيه من قضايا وأوضاع، على أساس رغبتهم بما يصلحهم، وخوفهم مما يفسد أمورهم، فإنَّ من الصعب عليهم أن يتجرّدوا من ذلك في حركة وجودهم المنفتح على العنصر المادي، من خلال طبيعة الحسّ المادي في الذات. ولذلك، فقد انفتح الإسلام على هذا الجانب، فلم يُبعد الإنسان عنه، ولم يجعله ضدّ القيمة الروحية، بل وجّهه إلى الارتباط باللّه في مواقع الرغبة والرهبة على مستوى الدنيا والآخرة، وفي ما هي قضايا النعمة والبلاء في الدنيا، وقضايا الجنّة والنّار في الآخرة، على صعيد سلامة الذات في ما تحتاجه وفي ما تخاف منه، ما جعل الحسّ الإنساني الواقعي يلتقي بالقيمة الروحية المنفتحة على اللّه من خلال حركة الحياة في الوجود

الإنساني، وهذا هو المنهج الرباني في تهذيب دوافع الإنسان في العمل بدلاً من إلغائها. ليتحرّك الإنسان من خلال الواقع لا من خلال المثال"(١) .

ومن خلال النص السابق يتضح لنا النظرة الواقعية التي ينطلق منها محمد حسين فضل الله في استيعابه للشريعة وكيفية تعاملها مع الإنسان، فهو بهذا يسجل موقفاً إيجابياً يدل على الواقعية في المنهج بعيدا عن المثالية التي لم تأت الشريعة بمثلها.

دعاء غير الله

من أهم المسائل التي تعبّر بشكل واضح عن وضوح التوحيد وصفائه بدرجة كبيرة لدى السيد محمد حسين فضل الله دعوته إلى التوجه إلى الله تعالى وحده بالدعاء والاستغاثة، ففي موضع كثيرة نجده يصرح وبشكل واضح بأن الدعاء ينبغي أن لا يوجه إلا إلى الله وحده، معللا ذلك بأنه سبحانه هو الغني والغالب على الأمور كلها،في مقابل الآخرين الذين يصفهم فضل الله جميعاً -وبدون استثناء -بقوله: "الفقراء في إمكانياتهم ، المغلوبون على أمرهم ، المقـــهورون على شأنهم ، المتغـــيرون في أحوالهم ، المختلفون في أوضاعهم "(٢).

ولهذا يصف لنا محمد حسين فضل الله حال المؤمن العارف بربه فيقول: " فلا يسأل غيره [أي الله] فيما يريد سؤاله، ولا يطلب حاجته من غيره ، ولا يدعو أحداً سواه ، ولا يشرك أحداً معه في رجـــائه، ولا يتفـــق معه في دعـــائه. فهو المدعو في وحدانية الدعاء "(٣).

ويقول أيضاً – بعد أن بيّن أن الله له الهيمنة المطلقة – : " فلا بد للإنسان من أن يتوكل عليه ويستعين به ويلجأ إليه في شؤونه، لأنه - وحده – القادر على رعايته

---

(١) تفسير من وحي القرآن – تفسير الفاتحة- موقع فضل الله (بينات)
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٢) المرجع السابق ٢/٨١

(٣) المرجع السابق ٢/٨١

وحمايته وقضاء حاجاته ، من خلال قدرته على كل شيء في الوجود، وهو مالك السماوات والأرض وما بينهما ، فلا يملك أحد معه شيء..[إلى أن يقول:] وهكذا يفرض هذا المنهج على الإنسان، أن لا يتجه بقلبه إلى المخلوقين في حاجاته التي تلح عليه، باعتبارهم القادرين على توفير حاجاته وإجابة مسائله، بل لا بد له من التوجه لله بكل أموره، والاعتماد عليه في حل مشاكله ، واليقين بأنه – وحده – المهيمن على الأمر كله، والغني عن كل شيء ، بينما يتساوى الناس جميعهم بأنهم الفقراء إليه في كل وجودهم..."(١) .

وقد أحسن محمد حسين فضل الله عند شرحه لما روي عن الإمام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين رحمه الله ورضي عنه في قوله: (اللهم يا منتهى مطلب الحاجات، ويا من عنده نيل الطلبات... ويا من يُستغني به ولا يُستغني عنه، ويا من يرغب إليه ولا يرغب عنه... تمدحت بالغناء عن خلقك وأنت أهل الغنى عنهم ، ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك، فمن حاول سد خلته من عندك، ورام صرف الفقر عنه نفسك بك ، فقد طلب حاجته من مظانّها، وأتى طلبته من وجهها ، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك ، أو جعله سبب نُجحها دونك، فقد تعرض للحرمان، واستحق من عندك فوت الإحسان..[ويقول آخر دعائه متضرعاً لله :] ولا توجهني في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك.."(٢)

فيرى محمد حسين فضل الله بأن" هذا الدعاء يؤسس قاعدةً فكريةً إيمانيةً" "لانطلاق الحاجات كلها ورجوعها إلى الله، ولرفض تحركها في اتجاه السؤال للمخلوقين.."(٣)

ويقول أيضاً في تعليقه على هذا الدعاء- في موضع آخر- : "وإذا كان الإنسان؛ كلّ إنسان، في موقع الحاجة إلى اللّه، فكيف يتوجّه الإنسان الواعي إلى مثله ليرفع حاجته

---

(١) المرجع السابق ١/٣١٩

(٢) المرجع السابق١/٣١٧-٣١٨

(٣) المرجع السابق ١/٣١٩

إليه، وهل ذلك إلاّ لونٌ من ألوان الغفلة عن حقيقة الفقر الإنساني أمام حقيقة الغنى الإلهي، بالإضافة إلى أنها زلّةٌ من زلل الخاطئين، وعثرةٌ من عثرات المذنبين، لأنها خطيئةٌ تتصل بالانحراف عن خطّ الاستقامة في التصوّر التوحيدي للإنسان، وبالخلل في الوعي الإيماني للحقيقة الإلهية في معنى وجود الإنسان وحركته، وفي سعة القدرة وشموليتها؟! **وهكذا تتبلور لدى الإنسان مسألة الاستعانة باللّه وحده، بعيداً عن الاستعانة بغيره.**

إنّ هذا الدعاء [أي دعاء زين العابدين السابق] يعالج المسألة في الدائرة الفكرية النظرية على أساس إثارة مسألة الحاجة الذاتية لدى الإنسان في جميع مواقعه وأشكاله، لتكون رادعاً عن توجه الإنسان إلى مثله، وغفلته عن توجّهه إلى ربّه" (١).

والخلاصة: هي أن محمد حسين فضل الله يدعوا إلى إفراد الله بالدعاء، وأن توجيهه إلى غيره يعد انحرافا عن التوحيد الصحيح، وخروجا عن الصراط المستقيم، وهذا من أبرز الخطوات المحمودة التي سلكها محمد حسين فضل الله في تنقية مذهب أئمة آل البيت رضي الله عنهم، ومن ينظر في كتبه، أو يسمع بعض خطبه يتيقن بأن هذه المسألة من أبرز المعالم التي تميز فضل الله عن كثير من رموز الشيعة المعاصرين.

الشفاعة والتوسل بالصالحين

يمكننا أن نلخّص آراء محمد حسين فضل الله في موضوع الشفاعة والتوسل بالصالحين في النقاط التالية:

أولا : الشفاعة بيد الله .

يرى محمد حسين فضل الله أن الشفاعة بيد الله سبحانه ولا يملكها أحد سواه، وأن أي أحد من الشفعاء لا يشفع إلا بإذن الله ، ومن ثم فإنه يؤكد بأن المؤمن إنما يطلب

---

(١) تفسير من وحي القرآن- الفاتحة- موقع بينات
.http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

الشفاعة من الله وحده، فيسأله أن يُشفّع أنبياءه وأولياءه فيه لأن القاعدة أنهم ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾))[الأنبياء ٢٨] .

يقول : "فالشفاعة بيد الله وهو الذي يُشفّع أنبياءه وأولياءه فيه حسب الخط الذي رسمه لهم"(١)

ويقول: "والإمام علي (ع)(٢)يقول: (وأستشفع بك إلى نفسك)(٣) أي يسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هو نفسه شفيعاً له عند نفسه، ذلك أن بعض الناس قد يسألون شفاعة أناس مثلهم ظنا منهم أن هؤلاء يملكون القوة عند الذين يشفعون، لكن علياً(ع) يقول لا أرى أحداً يملك قوة أمام قوتك يا رب، بل إن قوة كل إنسان هي منك، أنا يا رب أقف بين يديك ، ولك وحدك أن تعاقبني ، ولذا فأنا أستشفع بك إلى نفسك ، لأني لا أرى غيرك شفيعا" (٤).

ويقول :" ليس من أحد يمكن أن يشفع بغير إذن الله، حتى رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] يقف أمام الله ليشفع ، ولكن بعد أن يصدر إليه الأمر ((يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ))[الانفطار ١٩]"(٥) .

ثانياً: لا واسطة بين العبد وربه.

يؤكد محمد حسين فضل الله بأن الصلة بالله لا حاجة فيها لواسطة بين العبد وربه، حيث يرى بأنه لا حاجة لمن يوصل الدعاء ولا لمن يبلغ طلب المغفرة. لأن الله تعالى كما

---

(١) الندوة ٩/ ٥٧٤

(٢) هكذا في الأصل

(٣) ضمن الدعاء المروي عن كميل عن علي رضي الله عنه.(دعاء كميل ص٢).

(٤) في رحاب دعاء كميل ٩٢

(٥) المرجع السابق ٩٤

يبين القرآن " أرادنا أن نتكلم معه مباشرة نحن العباد الخاطئين"، ويستدل فضل الله على ذلك بأن الله تعالى نادى أشد الناس بعدا عن الله مبينا سعة رحمته التي لا تحتاج معها إلى توسيط أحد من الصالحين، كما في قوله : ((قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ))[الزمر:٥٣] كما بين فضل الله أن الله خاطب عموم عباده بقوله : ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) [غافر:٦٠]يعني بدون واسطة(١).

كما يوضح فضل الله أن الله لم يجعل دور الأنبياء أن يكونوا وسطاء في الدعاء وطلب الحاجات، وإنما جعلهم -كما يقول فضل الله-" **وسائط للهداية**، هم وسائط بين الله وبين خلقه يحملون إليهم كلماته شرائعه ما يريده منهم، هذا هو ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يرحم عبداً فيكرم نبيه بأن يشفعه فيه فيكرم وليه بأن يشفعه فيه، هذه مسألة وإلا ما نحتاج إلى وسائط أبداً. [في(٢)]**القرآن كله الله يريدنا أن نتكلم معه لا حجاب أبداً، نعم الذنوب ربما تحجب الدعاء في بعض الحالات ولكن نقدر نحاول أن نستغفر الله من الذنوب**"(**٣**)

وقد أكد فضل الله موقفه بشكل واضح حينما بيّن أن قوله تعالى ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))[الفاتحة ٥] يدلّ على " أنَّ الإنسان لا يحتاج، في حديثه مع اللّه، وفي طلبه منه، إلى أية واسطة من بشرٍ أو غيره، لأنَّ اللّه لا يبتعد عن عبده، ولا يضع أيّ فاصل بينه وبينه، إلاَّ ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من اللّه، ولذا أراد من عباده أن يدعوه بشكلٍ مباشرٍ

---

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي ٦٨- ٦٩ - نقلاً عن شريط مسجل

(٢) هذه العبارة ضمن محاضرة، وقد وضعت ما بين المعكوفتين ليتضح المقصود.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي ٦٨- ٦٩ - نقلاً عن شريط مسجل .

ليستجيب لهم، وحدّثهم عن قربه منهم بحيث يسمع كلامهم وإن كان بمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور، وذلك قوله تعالى: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)) [البقرة:١٨٦] وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾))[ق:١٦]"(١) .

ثالثاً: ثمن الشفاعة.

يرى محمد حسين فضل الله بأن طريق الحصول على شفاعة أولياء الله تكون بالتزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وليس بأن يعصي المسلم ربه ثم يريد شفاعة الشافعين بمجرد حب علي بن أبي طالب أو غيره من الأولياء أو بتقديم النذور والذبائح لأضرحتهم(٢).

كما يبين محمد حسين فضل الله أن من الخطأ أن **يتقرّب المسلم للأنبياء والأولياء ليحصل النّاس على شفاعتهم**، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً ، بل اللّه هو المالك لذلك كلّه على جميع المستويات، فهو الذي يأذن لهم بذلك ولمن شاء فقط، يقول فضل الله :"الأمر الذي يفرض التقرّب إلى اللّه في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له، أو الطلب إليهم أن يسألوا اللّه في الإذن لهم بالشفاعة لطالبها منهم(٣).

---

(١)تفسيرمن وحي القرآن- الفاتحة- موقع بينات
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٢) انظر: في رحاب دعاء كميل ٩٣

(٣) من الممكن أن يكون طلب المسلم من الولي طريقا للحصول على الشفاعة إذا كان الطلب في حال حياته، وأما بعد وفاته فلا،لأن طلب الدعاء من الحي جائز عند جمع من أهل العلم، ومستحب عند آخرين، ويدل عليه إرشاد الرسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ أن يطلب من أويس القرني رضي الله عنهماأن يدعو له، ويكون شأنه شأن الدعاء قد يستجاب أو لا يستجيب. أما طلب الدعاء من الأموات فإنه هذا يخالف قوله تعالى:((إنك لا تسمع الموتى..))الآية. انظر حليةا**لأولياء ٨٢/٢**، وانظر: الرد على شبهات المستعينين بغير الله لأحمد بن عيسى ٣٧

كيف يفسر النصوص التي يتمسك بها المخالفون؟

ومما يؤكد لنا موقف محمد حسين فضل الله في مسألة الشفاعة تفسيره لواحد من أشهر النصوص التي يتعلق بها كثير ممن يرى التوسل بالصالحين وهو قوله جل وعلا : ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ)) [المائدة:٣٥] فقد ذكر أن معنى الوسيلة في الآية هي " التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه المسكنة والفقر إلى جنابه تعالى فهذه هي الوسيلة الرابطة"، وهذا يخالف تفسير المجيزين للتوسل بالأنبياء والأولياء .

كما أن السيد محمد حسين فضل الله حاول الجمع بين القولين بقوله : ويمكن أن نجمع بين الاثنين [أي القولين] بأن يكون الأولياء هم الذين يقربون الناس إلى الله برسالتهم وتعاليمهم ويدلونهم على الطريق إليه ومواقع القرب منه"(١).

ويكون دور شخصية الولي في عملية التوسل – من خلال هذا المعنى الذي يختاره محمد فضل الله للآية – هو" أن يقرب العباد إلى الله بالدعوة و الموعظة والتسليم والتزكية والاتجاه بالإنسان إلى الصراط المستقيم، ليكون التقرب إلى الله به بالعمل على طاعته"(٢)

ونحن وإن اتفقنا مع فضل الله على أن المعنى الذي ذكره في الجمع بين القولين صحيح ، إلا أن أصل الجمع بين قولين أحدهما شركي خطأ لأن هذا أشد أنواع التضاد التي لا تقبل الجمع، والجمع بين المتضادين غير مقبول في التفسير، والله أعلم.

---

(١) الندوة ٢/٣١١ . ونحن وإن قلنا بأن المعنى الذي ذكره في الجمع بين القولين صحيح ، إلا أن أصل الجمع بين قولين أحدهما شرك خطأ لأنه هذا أشد أنواع التضاد التي لا تقبل الجمع في التفسير، والله أعلم.

(٢) تفسيرمن وحي القرآن- المائدة /٣٥- موقع بينات

http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm.

وبهذا يتضح لنا أن محمد حسين فضل الله يرى بأن:-

١. الشفاعة بيد الله وحده.

٢. أن الله – وحده – هو الذي يُشفّع من يشاء من خلقه.

٣. أن جميع الشفعاء لا يشفعون لأحد إلا لمن يرتضيه الله فيجب على المؤمن أن يرضي الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه ليشفعهم الله .

٤. يجب على المؤمن أن يطلب الشفاعة من الله بأن يسأله أن يشّفع أولياءه فيه.

٥. التقرب إلى الصالحين بتقديم النذور لأضرحتهم لا ينفع صاحبه في شفاعة الولي.

وأخيرا فإن نظرة محمد حسين فضل الله إلى الشفاعة والتوسل-كما سبق عرض معالمها- نظرة معتدلة ومتوسطة بين الغلاة الذين ألبسوها لباساً بدعياً أو شركياً،وبين الجفاة الذين أنكروا الشفاعة أصلاً-كما هو حال الخوارج والمعتزلة. والله أعلم

زيارة قبور الأولياء وما يصحبها

أولا: الغرض من الزيارة

يتفق محمد حسين فضل الله مع سائر المسلمين على أن زيارة القبور من الأعمال المشروعة، وأن الغرض الشرعي منها واضح وهو العبرة والعظة

وقد اتجه محمد حسين فضل الله اتجاهاً سلوكياً تربوياً واضحاً في نظرته لفائدة الزيارة فهو يؤكد على أننا عندما نزور قبور الصالحين فإننا " لا نحاول أن نزور أجسادهم وإنما نحاول أن نعيش في أجوائهم عند الوقوف أمام قبورهم حتى نستفيد ونعتبر بذلك "(١) .

ويؤكد على أن فائدة زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هي أن نتذكر سيرته العطرة حين نقف عند قبره ومواضع حركته في مسجده حيث يدعو الناس إلى الله

---

(١) حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ثلاث الآف سؤال وجواب ٢٩٧

ويبشرهم برحمة منه ورضوان وينذرهم بعذابه، ويوجههم إلى السلامة في الدنيا والآخرة ويقودهم إلى صراط العزيز الحميد(١) .

والقاعدة التي جعلت فضل الله يقف عند هذا الحد في زيارة قبور الأولياء، ولا يتجاوزه إلى بعض الممارسات المنحرفة، هو تحديده لطبيعة العلاقة بين المسلم والرسل والأئمة وغيرهم من الشخصيات القريبة من الله بأنها ليست علاقة بالذوات الميتة، ولكنها علاقة بالرسالات التي تمثلوها في حياتهم وأقوالهم ، ولذا نجده يقول:

" فلا يكون – في زيارتنا له – مجرد جسد ميت نتوجه إليه بل يكون حياة رسالية نتمثلها في الذاكرة لنحركها في الواقع " (٢)

وما ذكره محمد حسين فضل الله من فائدة الزيارة صحيح لا إشكال فيه، لأنه داخل في عموم العبرة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله- في حديث أبي سعيد-: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها فإن فيها عبرة)(٣).

ثانياً : مخالفات الزيارة.

يرى محمد حسين فضل الله بأن الإشكال الذي يدور حوله الجدل لا يتعلق بأصل الزيارة، ولكن ببعض الممارسات التي يفعلها بعض الزائرين، ولهذا يقول: "المشكلة التي تثير الجدل الفكري في المسألة التوحيدية في هذا المجال، ليست مشكلة المبدأ في الزيارة للقبور، بل هي مشكلة الممارسات التي تتحول فيها المسألة إلى ما يشبه الطقوس العبادية للقبر ولصاحبه ، بحيث يغفل الإنسان عن الله ليستغرق في الشخص، ليكون السؤال له،

---

(١) آفاق الروح ٦٠٨

(٢) المرجع السابق ٦٠٨

(٣) رواه أحمد ٣/٣٨و٦٣و٦٦. ورواه الحاكم.وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي١/٣٧٤-٣٧٥. وقال الهيتمي عن رواية أحمد رجاله رجال الصحيح.(مجمع الزوائد٣/٥٨) وكذا المنذري في (الترغيب٦/١٥٣)

والطلب منه، والخضوع له، والسجود له – ولو من ناحية الشكل – مما يبعث في الذهن بعض الإيحاءات الغريبة عن وحي التوحيد الإلهي .." (١) .

فمن خلال النص السابق يتضح لنا أن محمد حسين فضل الله ينكر أموراً يرى بأنها من صور العبادات التي لا تُصرف إلا لله وهي – كما نص عليها- :-

١. سؤال غير الله ، والطلب منه.
٢. الخضوع له [وهو بلا شك يقصد خضوع العبادة]
٣. السجود لصاحب القبر.

كما يضع محمد حسين فضل الله ضابطاً مهماً في كل زيارة لقبور الصالحين حينما يبين أن المحبة و"الاستغراق العاطفي" ينبغي أن لا توصلنا إلى أي لون من ألوان عبادة الشخصية، ليبقى ما يسميه فضل الله (الصفاء العقيدي) بعيداً عن كل انحراف عن الاستقامة(٢).

---

(١) المرجع السابق ٦٠٩

(٢) تفسير من وحي القرآن- الفاتحة- موقع بينات
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm.

(٣) انظر حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ٢٩٩ –٣٠٠ وسيأتي مناقشة رأيه في فصل الملاحظات على تحولاته.

والخلاصة هي أن محمد حسين فضل الله يرى بأن زيارة القبور أمر مشروع وأن الزائر يجب عليه أن يستفيد فوائد من أبرزها تذكر سير الصالحين، كما ينبه إلى أهمية الاحتراز من أن تأخذ الزائر عاطفة الحب أو الإجلال فتجعله يوجه شيء من أشكال العبادة كالسجود ونحوه للمَزور.

المطلب الثالث:
موقفه من القول بتحريف القرآن

أولا: عدم تحريف القرآن الكريم

يرى محمد حسين فضل الله بأن القرآن الكريم ثابت محفوظ من التحريف أو الزيادة أو النقص، وأن هذا هو ما دل عليه القرآن وكلام الأئمة والعقل.

ومن أدلة القرآن التي يستدل بها محمد حسين فضل الله: قوله تعالى((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝)) [الحجر ٩](١).

وقوله تعالى: ((لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ)) [فصلت ٤٢]، يقول " وهذه الكلمة [يعني الآية الماضية] تشير إلى أن القرآن لا يمكن أن ينسب إليه التحريف سواء من حيث الزيادة أو النقصان"(٢).

ويقول:" القرآن هو مصدر عقيدة المسلمين ، وهو المصدر المعصوم لأنه الكتاب الذي تكفل الله بحفظه ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝)) فلا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى

---

(١) انظر آفاق الروح ٢/٤٢

(٢) الندوة ٤/٢٨٩

هدد الله النبي -وهو فوق ذلك(١)- ، وإنما أراد أن يعطي الناس درساً من خلال النبي ((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ))[الحاقة:٤٤] زاد حرفا أو كلمة أو نقص كلمة ((لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ)) [الحاقة٤٥-٤٦] فكلام الله لا يمكن لأحد أن يزيد فيه شيئاً.."(٢)

ثانيا: ضعف الروايات القائلة بالتحريف

وصف محمد حسين فضل الله الروايات التي اعتمد عليها القائلون بالتحريف بالضعف، فقد وقف عند قول الطوسي: " إسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها، ودلت الأخبار على وجود مصحف غير هذا المشهور بين الناس، وهو موجود عند أهله.."(٣).

وهنا يقول محمد حسين فضل الله : "ولكننا نلاحظ على هذا الكلام أن الروايات التي ذكرها الطوسي هي روايات ضعيفة في السند وضعيفة في الدلالة على القول المذكور"(٤).

---

(١) يعني فضل الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن أن يتقول على الله.

(٢) الندوة ٢/٣٥٩، وانظر تفسير من وحي القرآن/ موقع بينات:

http://www.bayynat.org/books/quran/alhijr٠٢.htm

(٣) وانظر التبيان ٣/١

(٤) انظر آفاق الروح ٢/٣١٩.

ثالثا: كتم القرآن مما لا تحتمله التقية

يرى محمد حسين فضل الله أن القول بأن الأئمة قد كتموا القرآن تقية غير صحيح لأن مسألة القرآن مما لا تحتمل التقية لاسيما زمن خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

يقول وفقه الله :" والحديث عن وجود مصحف آخر عند أهله[يعني الأئمة] لا يثبت أمام النقد لأن مسألة القرآن من المسائل التي لا تحتمل التقية لاسيما من أمير المؤمنين عليه السلام.

فليس من الطبيعي أن لا يعمل بكل ما عنده من طاقة لإخراج ما عنده من القرآن إلى الناس، والدفاع عن أية شبهة لاسيما أيام خلافته"(١).

رابعا: مخالفة القول بالتحريف للأمر بقراءته.

يقف فضل الله عند نقطة لها دلالة مهمة، ألا وهي: الأمر بقراءة القران -الوارد في القرآن والسنة وحتى في كلام الأئمة- والنهي عن الزيادة عليه في القراءة ، وهو ما لا ينسجم معه إطلاقاً القول بالتحريف.

يقول- وفقه الله- :" الأمر بقراءة ما في القرآن وعدم جواز الزيادة ليس ناشئاً عن عنوان ثانوي يوجب ذلك، بل هو ناشئ من أن القرآن هو الموجود بين الدفتين"(٢).

خامسا: مخالفة القول بالتحريف لكلام الأئمة.

يستدل فضل الله على بطلان القول بالتحريف بما ورد عن الأئمة من الأقوال التي تدل دلالةً واضحةً على عدم تحريف القرآن، وأشهر ذلك أنهم ورد عنهم بكثرة الأمر برد أي رواية تبلغ الناس عنهم إذا خالفت القرآن كقول الباقر رحمه الله (وانظروا أمرنا

---

(١) آفاق الروح١/ ٣١٩

(٢) آفاق الروح ٢/٣١٩.

وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به وإن لم تجدوه موافقا فردوه)(١)، أو كقول الصادق رحمه الله: (اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّه)(٢)

و يرى فضل الله أن القرآن لو لم يكن هو الموجود بين الناس لما جعل مقياسا لمعرفة صحة الأحاديث.

يقول : "ولذلك جعله الأئمة عليهم السلام مقياساً للحكم بصحة الحديث وعدم صحته، مما يوحي بأنه لا نقصان فيه ولا زيادة، لأن ذلك [أي التحريف] لو كان ثابتا لما جاز أن يكون مقياسا بالنحو المذكور، لإمكان أن يكون الحديث المرفوض-مثلا- موافقا لما خفي من القرآن"(٣).

سادسا: القول بالتحريف مخالف لإجماع المسلمين

يرى محمد حسين بأن القول بتحريف القرآن لم يأخذ به إلا من شذ عن إجماع المسلمين، فيقول: " وهذا ما نلاحظه في إجماع المسلمين، إلا شاذاً منهم، على أن النص القرآني في وعي المسلمين هو كل ما أنزله الله على رسوله دون زيادة أو نقصان، وأن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه"(٤).

والخلاصة هي أن فضل الله يرى بأن القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم محفوظ من التحريف، وأن القول بكتمان الأئمة على وجه التقية بعيد لا سيما زمن خلافة الأمير علي رضي الله عنه وأرضاه، وأن ذلك يخالف أقوال الأئمة.

---

(١) الأمالي للطوسي ٢٣٧/١.

(٢) الكافي ٨/١

(٣) آفاق الروح ٣١٩/٢.

(٤) تفسير من وحي القرآن – سورة الحجر- آية ٩ /موقع بينات:
http://www.bayynat.org/books/quran/alhijr٠٢.htm

وأخيرا: فإن مما يميز تقرير محمد حسين فضل الله لإثباته للقرآن بدون تحريف، أنه لم ينفي عن عموم الطائفة نسبة التحريف، ولكنه ذكر قول أحد رموزها وهو الطوسي، ثم رد عليه، وهو ما ينم عن صدق ونزاهة في النقاش، وبعد عن روح العصبية التي لا تصلح فيمن يتبنى الوحدة والتقريب(١).

المطلب الرابع:
موقفه من الخرافة

مما يميز طريقة فضل الله وأسلوبه؛ بُعدُه عن الخرافة، بل ومحاربته لها، فعند تصفح كتبه ومقالاته لا تجد الآراء والروايات الخرافية التي يعتمدها خصومه من الإمامية في تقرير اعتقادهم سواء في التفسير أو الكتب الأخرى.

بل يرى فضل الله أن تخلف كثير من المجتمعات الإسلامية هو الذي يساهم في توسيع المجال للمتخلفين والخرافيين(٢).

وفي بيان لشدّة معارضة محمد حسين فضل الله لشدّة أثر هذه القضية في خلافه مع تيارات أخرى في المذهب، نجد بأنه يصرح بأن المعركة بينه وبينهم هي معركة: "**بين الوعي والتخلف، أو بين الخرافة والحقيقة**"(٣)

---

(١) خلافا لكثير ممن يدافع عن مذهب الأمامية بنفي نسبة التحريف إطلاقا ولا حتى إلى من ألف كتابا سماه ((فتح رب الأرباب في إثبات تحريف آي الكتاب)). وهو ما ينم إما عن جهل بأقول المذهب-إن أحسنا الظن-، أو تعصب أو تقية.

(٢) الندوة٩/٤١٧

(٣) انظر لقاء معه في قناة الجزيرة (الأحد ٢٩/٤/١٤٢٤هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠٣م) . وهو مكتوب في موقع القناة:

http://www.aljazeera.net/programs/no_limits/articles/٢٠٠٣/٦/٦-٢٩-١.htm#L٤ . كما وصف فضل الله خصومه الذين يحاولون إسقاطه بأنهم " من

كما بيّن بأنه لن يجامل الخرافيين والمتخلفين الذين يشيعون البغضاء ويؤسسون الأحقاد، لأنه كما يقول:" أريد-أيها الأحبة أن أقدم خط أهل البيت للعالم بطريقة حضارية، لا بطريقة خرافية، ولا بطريقة المتخلفين، أريد أن أقدم تراث أهل البيت عليهم السلام وهو التراث الأصيل للغرب والشرق، ليعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من أهل بيته عليهم السلام هم الذين يصنعون الحضارة بعيدا عن كل الذين يركزون على الـــخرافة والتخلف والعصبية والحقد والبغضاء.." (١).

وقد عرّض فضل الله بهؤلاء الخرافيين في أحد خطبه بقوله:" وقد تحدّث الله عن الناس الذين يتخذون من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، هؤلاء الذين استغرقوا في حبهم للناس، بحيث أنهم أخذوا بأسباب الغلو، فساووا بين الله وبين خلقه، والله يقول لهم، إنه مهما كانت عظمة المخلوق، ليكن نبياً ليكن إماماً، ليكن ولياً، فهو عبد لله، لا تساووا الله بأحدٍ من خلقه، لا تقتربوا بأحد من خلقه إلى مقامه ((وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا))[الجن ١٨] . هذا التوحيد في الحب هو التوحيد في العقيدة، هو التوحيد الذي يعيش في الإنسان التوازن ليعطي كل ذي حقٍّ حقه، فلا ينـــزل أحداً عن حق، ولا يرفع أحداً عن حقه"(٢).

وهكذا فإن الخرافيين من المعاصرين الإماميين هم الذين يقف محمد فضل الله أمامهم كخصم-من داخل المذهب- ليهدد خرافتهم التي يـــبتزّون بها أموال الناس، فهم في نظر

قوى التخلف والخرافة والتعصب انظر حواره مع قناة"mbc"الفضائية في موقع http://www.bayynat.org/www/arabic/nachatat/mbc٢٤٠١٢٠٠٣.htm ، وجريدة الحياة العدد١٤٥٥٢.

(١) من خطبة له كان(يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٣هـــ).

(٢) انظر خطبته في موقع (بينات):
http://www.bayynat.org/www/arabic/khotbat/kh٣١٠١٢٠٠٣.htm

فضل الله الصنفُ الذي ذكره أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما أثر عنه: "إن شيعتنا على أصناف: صنف يأكلون بنا...." وقد فسر ذلك فضل الله بأنهم الذين"يستغلون محبة الناس لأهل البيت عليهم السلام، وربما يكذبون عليهم لغرض استغلال الموقع الذي للأئمة عليهم السلام في قلوب الناس لاجتذابهم والحصول على الأموال والجاه فهم يتاجرون بالأئمة عليهم السلام، وهو ما نشهده في الذين يأتون بالخرافات حتى يوحوا للناس بأنهم مخلصون لأهل البيت عليهم السلام لأن المهم عندهم هو أن يحصلوا على المال"(١).

المطلب الخامس:
رأيه في الصحابة

يرى محمد حسين فضل الله بأنّ الصحابة ليسوا كفاراً ولا مرتدين، ويقول: نحن لا نؤمن بعصمتهم ولا بعدالتهم جميعاً، ولكن نحترمهم لأن الله تعالى تحدّث عنهم بقوله : ((محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم..))الآية، وقال عنهم ((والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم ..)) وقال تعالى : ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة..))الآية.

وقد سألت محمد حسين فضل الله عن الروايات التي تذكر في كتب الإمامية والتي تصرّح بأن الناس ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفراً يسيراً، فذكر لي بأنها إن صحت بأنه تكون بمعنى ارتدوا عن إمامة علي وليس عن الإسلام.

كما سألته عن من رجع عن القول بالإمامة- كحال الصحابة في نظره- بعد علمه بالنص فقال: " ليس كافراً، أنا أقول أصول الدين التي يكون بها الإنسان مسلماً وبإنكار واحدة منها يكون كافراً هي : التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر، وأما الإمامة فهي من النظريات وليس من البديهيات، ولهذا اختلف فيها المسلمون"(٢).

---

(١) الندوة ٥٨٧/٩

(٢) المرجع: لقاء خاص يوم الأربعاء ١٤٢٥/١/٢٦هـــ.

كما بين لي محمد حسين فضل الله بأنه تحفّظ على كثير من الروايات التي تسمي بعض الصحابة بالكفر والردة، كما أنه قال : قضية اللعن والسب أنا لا أومن بها، والزيارات(١) التي تتضمن ذلك لا أومن بها، والاستفتاءات التي تأتين في حكم زيارة عاشوراء(٢) أجبنا بأنه دعاء غير موثق... ومثله دعاء صنمي قريش دعاء لا أساس له(٣).

المطلب السادس
مسائل في الإمامة

مع أن محمد حسين فضل الله يقول بالإمامة إلا أن له اجتهادات مهمة في مسألة الإمامة يجب الوقوف عندها من أجل المعرفة الدقيقة لمنهجه، ومع أن هذه الاجتهادات لم تخرجه من كونه إمامياً إلا أنها آراء لها أثر كبير في التفريق بينهم وبين خصومه.

ومن أهم هذه الآراء:

١. أن الإمامة ليست من الضروريات.

يرى محمد حسين فضل الله بأن اعتقاد الإمامة لا يدخل ضمن الضروريات، بل في إطار النظريات التي تفتقر إلى النظر والاستدلال، وبالتالي فإن عدم الإيمان بها لا يعد خروجاً من ضروريات الدين.

وقد ثار جدل كبير جداً في أوساط علماء الشيعة عام ١٤١٤هـ عندما صرّح فضل الله بأن الإمامة من المتحول(٤) الذي يخضع للتوثيق والتضعيف. وليس من

---

(١) ويشر السيد فضل الله إلى كتب أدعية الزيات الكثيرة لدى الشيعة.

(٢) وهو دعاء يرى كثير من الشيعة استحباب قراءته في يوم عاشوراء فيه لعنات كثيرة.

(٣) المرجع لقاء خاص يوم الأربعاء ٢٦/١/١٤٢٥هـ. وقد سبق الحديث عن دعاء صنمي قريش في التمهيد ص ٢٥

(٤) المتحول والمتغير أي ما يقابلان الثابت، والمتغير: هو ما كان من الظنيات وموارد الاجتهاد. انظر: الثوابت والمتغيرات للصاوي ص٣

الثابت(١)، وقد تلقى فضل الله على إثر هذا الموقف ردّة فعل عنيفة من قبل بعض الأطراف الإمامية(٢).

٢. أن الأئمة ليسوا أفضل من الأنبياء.

إذ لم يتردد محمد حسين فضل الله في وصف القائلين بأن الذين يجعلون الأئمة أفضل من الأنبياء من الغلاة، وقد تعجب من درجة الغلو التي وصلت بالبعض إلى القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الله في يوم من الأيام فلم يستجب له حتى قالت فاطمة الزهراء آمين فاستجاب الله بتأمينها(٣).

٢. أن الأئمة لا يتلقون وحياً، بل يعلم كل إمام من بعده، مع توفيق الله تعالى(٤).

المطلب السابع:
رأيه في عصمة الأئمة

سبق أن مر معنا في المقدمة اعتقاد عامة الإمامية بعصمة الأئمة، ومحمد حسن فضل الله لم يخالف الإمامية في إثبات العصمة، ولكنه خالف في تفاصيل العصمة، وسيرى القارئ الكريم أن فضل الله يتبنى عصمة أخف غلواً من مخالفيه، وليس هذا بمستغرب على توجهاته المتعقلة.

---

(١) ذكر لي محمد حسين فضل الله بأنه يرى بأن الإمامة من النظريات وليس من البديهيات- الضروريات- وقال : "هذا اختلف فيها المسلمون، فهناك أناس قطعوا بها، وأناس لم يقطعوا بها، وهذا أمر كتبت فيه آلاف الكتب ولا يزال المسلمون في جدل حوله". المرجع: لقاء خاص يوم الأربعاء ٢٦/ ١/ ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر هذا الموقف فيما يأتي ص ٥٥١

(٣) انظر: الندوة ٩/٥٩٤-٥٩٥

(٤) انظر الندوة ٢/٣٩٢

إثباته لعصمة الأنبياء والأئمة:

يرى محمد حسين فضل الله بأن الأنبياء والأئمة معصومون في التبليغ ومعصومون من الذنوب(1)، فهو بهذا لم يخرج عن قول الإمامية بالجملة في إثبات العصمة للأنبياء والأئمة.

ويرى بأن هذه العصمة تكون بفيض من الله على نفس المعصوم بحيث يمتنع الانحراف وصدور الباطل منه(2).

العصمة بين فضل الله وبين الغلاة من الإمامية.

١. يرى فضل الله بأن القول بالعصمة ليس من ضروريات الدين، وأن من لم يقر بها فهو مسلم، وهو يعد العصمة من ضروريات المذهب الإمامي فقط(3).

٢. يرى بأن المعصوم قد يخطئ في الأمور الحياتية أو ينسى بعض الأشياء العادية، كما يرى بأنه قد يسهو في الآيات ثم يصحح له(4).

وهذا ما ذهب إليه بعض فقهاء الشيعة المتقدمين كالصدوق الذي كان يعد أن أول علامة من علامات الغلو هو نفي السهو عن الأئمة(1)، أو كالخوئي-من المتأخرين- حيث يقول بجواز السهو على النبي أو الإمام في غير التبليغ(2).

---

(١) انظر الندوة٢/ ٦١و٣٧٠ و٣٨٤، فقه الحياة٢٦٧-٢٦٨،(١٠٠سؤال وجواب٣/٢٧)، مسائل عقدية٧٨-٨١.

(٢) انظر فقه الحياة ٢٧٠

(٣) انظر فقه الحياة ٢٧٤-٢٦٧. ومثله في هذه المسألة آية الله تقي القمي انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف/ملحق الوثائق الجديدة/١

(٤)انظر: من لا يحضره الفقيه ١/٢٣٤.

وفي مقابل هذا يقف بعض المراجع المعاصرين لينفوا جواز السهو والنسيان عن الأنبياء والأئمة عقلا -فضلا عن وقوعه-، ومن هؤلاء الشاهرودي حيث قال:"نحن نعتقد أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كما هم معصومون من المعصية كذلك معصومون من الخطأ والنسيان.."(٣)، وكذلك محمد تقي بهجت(٤) الذي قال:"عصمة الأنبياء والأوصياء ثابتة في علم الكلام من غير فرق بين العصمة في الخطأ والخطيئة.."(٥)، ومن المراجع المعاصرين الذين نفوا الذنب والخطأ والنسيان عن المعصومين أيضا: محمد الحسيني الشيرازي(٦)، ومحمد الحسيني الوحيدي التبريزي(٧)، ومهدي المرعشي(٨)، وغيرهم.

٣. يرى فضل الله بأن النبي قد يصدر عنه الخطأ الذي لم يعتقد كونه خطأ.

مثل إذن النبي لمن أذن لهم من المتخلفين عن غزوة تبوك، والذين قال الله لنبيه في شأنهم: (عفى الله عنك لما أذنت لهم) ، حيث يرى فضل الله بأن "مثل هذه الكلمة تستعمل في مقام العتاب الخفيف الذي يكشف عن طبيعة الخطأ غير المقصود للتصرّف، كما أن الحادثة لا تحمل في داخلها أيّة حالةٍ من حالات الذنب"

---

(١) راجع في ص ٢١

(٢) انظر فقه الحياة ٢٦٨، مسائل عقدية٧٨.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/وثيقة ٢٨/ص٢٣٥

(٤) ولد الشيخ بهجت أواخر عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م في مدينة فومن. وبدأ تعلمه فيها ثم هاجر إلى قم سنة ١٣٤٨هـ، درس فيها على علماء من أبرزهم ابو القاسم الخوئي -أيام وجوده في قم-، و الحاج (الأقا) ضياء العراقي والميرزا النائيني و الشيخ محمد حسين الغروي الاصفهاني (المشهور بالكمباني) وغيرهم، وهو من أبرز علماء الشيعة المتأخرين، إلا أنه لم يظهر لأيثاره التدريس في بيته. انظر: http://www.al-shia.com/html/ara/ser/ola-behj_h.htm.

(٥) المرجع السابق/ص٢٤٥

(٦) الشيعة والتشيع للشيرازي٦٧

(٧) المرجع السابق/ص٢٥٦

(٨) المرجع السابق/ص٢٨٦

ويقول:"ليس في ذلك انتقاصٌ من عصمته وانسجامه مع الخطّ الذي يريد الله له أن يسير فيه، فقد ترك الله للنبي(ص) مساحةً يملك فيها حريّة الحركة من خلال ما يدبِّر به أمر الأمة بالوسائل العادية المألوفة التي قد تخطيء في بعض مجالاتها، لا بالوسائل الغيبيّة التي لا يملكها بطريقةٍ ذاتيّة، لم يكشفها الله له بشكلٍ مطلق، تماماً كما هي الحال في ممارسته القضاء بين الناس حيث قال: (١)«إنما أقضي بينكم بالأيمان والبيّنات»"(٢)

٤. يرى بأن النبي والأئمة بشر من البشر، بحيث تأتيهم النزعات النفسية الخاطئة ولكن الله تعالى يعصمهم بفضله بحيث يوجد لهم ما يشاء من الحواجز التي تردهم عن ذلك.

وفي نظر فضل الله أن ما حدث ليوسف عليه السلام، الذي قال الله عنه: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) هو من هذا القبيل، فهو يرى بأن الأنبياء بشر من البشر، وأن عصمتهم لا تتنافي مع وجود نزعات نفسية وغريزية، أو تأثر طبيعي، ولكن هذا التأثر لا يتجاوز أن يكون خطرات يحميه الله من الوقوع في دواعيها السيئة (٣).

والخلاصة هي أن محمد حسين فضل الله يثبت العصمة للأنبياء والأئمة، ولكن العصمة التي يتبناها تمتاز بمَعْلَمَين أساسيين ،وهما:

أولا: أن العصمة لا تخالف وقوع أخطاء غير مقصودة.

ثانيا: أنها لا تخالف وجود النوازع البشرية والخطرات الداخلية.

---

(١) الحديث في الكافي للكليني :٧/٤١٤،ح:١ .

(٢) تفسير من وحي القرآن:
http://www.bayynat.org/books/quran/Youssef٠٦.htm

(٣) تفسير من وحي القرآن:
http://www.bayynat.org/books/quran/Youssef٠٦.htm . وانظر
مسائل عقائدية ٨٤

وإذا كان المقام مقام مفاضلة، فإن قول فضل الله لاشك بأنه أقرب بكثر إلى المنطق والدليل، حيث استطاع فضل الله أن يثبت عصمة لا تخالف وقوع خطأ غير مقصود، وكل خطأ تذكره الأدلة عن الأنبياء بلا شك فإنه سيكون من هذا القبيل.

كما أن اعترافه بوجود خطرات ونوازع قد تخطر ببال المعصوم لا شك بأنه ليس بمستغرب إذا عرفنا أنه لا يغلو في نظرته للأنبياء وغيرهم -كما مر معنا سابقا-.

وعلى العموم فإن قول فضل الله أقرب من قول من ينفي السهو والنسيان، ويثبت العصمة المطلقة، والخلاف معه سيكون أقرب إلى أن يكون لفظياً وليس حقيقياً في الأنبياء والرسل فقط، أما الأئمة الاثني عشر فإن ذلك خلاف آخر ، إذ أن النصوص لا تسعفنا بأن نقول فيهم ما نقول في الأنبياء عليهم السلام إطلاقاً(١).

---

(١) انظر مناقشة أدلة العصمة ١١٣-١١٥، ٢٨٣-٢٨٦

المبحث الثالث:

موقف الإمامية المعاصرين من فضل الله

انقسم الشيعة الإمامية المعاصرون في موقفهم من المرجع محمد حسين فضل الله إلى فريقين:

الفريق الأول: المخالفون لفضل الله.

رفض أفكار المرجع الشيعي محمد فضل الله طائفة كبيرة من المراجع المعاصرين، وآخرون ممن ينتسبون العلم الشرعي من مدرسي وطلاب الحوزات العلمية، وشارك في الرد عليه مجموعة، من أبرز هؤلاء:

آية الله علي السيستاني، آية الله الميرزا جواد التبريزي، آية الله الشيخ الوحيد الخراساني، آية الله السيد محمد الروحاني، آية الله الشيخ فاضل اللنكراني، آية الله الشيخ محمد تقي بهجت، السيد علي البهشتي، الشيخ لطف الله الصافي، آية الله السيد محمد الشاهرودي، آية الله السيد محمد سعيد الحكيم، السيد محمد الوحيدي التبريزي، آية الله السيد صادق الروحاني، آية الله السيد مهدي المرعشي، آية الله السيد محمد الصدر، الشيخ محمد أمين زين الدين، الميرزا علي الغروي، السيد حسن القمي، آية الله السيد تقي القمي، الشيخ محمد الهاجري، السيد محمد الشيرازي، الميرزا حسن الإحقاقي، الشيخ محمد تقي الفقيه، السيد علي مكي العاملي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الشيخ محمد تقي الإيرواني، السيد الكوكبي، الشيخ الفلسفي، السيد مصباح، الشيخ مرواريد، الشيخ حسن زادة الآملي، الشيخ جوادي الآملي، السيد موسى الزنجاني، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيرهم(١).

---

(١) انظر فتنة فضل الله لمحمد باقر الصافي

.htm١http://www.geocities.com/alshia_d/alshia

بعض أقوالهم فيه:

ووصف آية الله العظمى الوحيد الخرساني أقوال فضل الله بأنها "إضلال عن سبيل الله وإفساد في الطريقة الحقة"(١). كما وصف فضل الله بأنه "ضال مضل"، وصرح في مجلسه العلمي بقوله: "يجب على جميع المؤمنين، كل بحسب وسعه وقدرته **إسقاط فضل الله**"! وعندما سأله أحد الحضور: هـــل نقتله؟! أجابه: "كلا"، **ثم يعقب بمـــا يكشف بأن ذلك ليس لحرمة دمه**، فيقول: "لأنه إذا قتل فستصبح أفكاره أكثر شهرة ورواجاً، والواجب هو القضاء على أفكاره ومنع انتشارها"(٢).

وأما جواد التبريزي فقد وصف أقواله بأنها"خلاف المسلمات بل ضروريات المذهب الحق، وقائلها خارج عن طريقة المذهب الاثني عشري، وأن فضل الله ومن يساهم في نشر أقواله يدخلون في عنوان: من يشري مرضاة أعدائنا بسخط الخالق"(٣).

وانظر بيانات هؤلاء وغيرهم في كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي. وقد صدرت مجموعة كتب من بعضهم في قم كالشيخ جواد التبريزي الذي كتب (اعتقاداتنا) والشيخ الوحيد الخراساني الذي كتب (مقتطفات ولائية) والشيخ محمد تقي بهجت الذي كتب (البرهان القاطع) والسيد جعفر مرتضى العاملي الذي كتب (مأساة الزهراء) ثم أعقبه بكتاب آخر (لماذا مأساة الزهراء؟)، وكتاب آخر (خلفيات مأساة الزهراء)، والسيد محمد علي الهاشمي المشهدي الذي أصدر (الحوزة العلمية تدين الانحراف)، والسيد ياسين الموسوي الذي كتب (ملاحظات)،والشيخ نجيب مروة الذي كتب (حتى لا تكون فتنة)، والسيد محمد محمود مرتضى الذي كتب (الفضيحة.. محاكمة كتاب هوامش نقدية) . وللمزيد انظر مجلة الشراع مقال: (فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه) للسماوي ١٩٩٨م ص٢٤ . وموقع أحمد الكاتب:
http://www.alkatib.co.uk/m٣٠.htm .

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف- القسم الثالث/وثيقة (١١).

(٢) فتنة فضل الله/فصل الموقف من الفتنة.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف- القسم الثالث/وثيقة١٢

وأما محمد تقي بهجت فقد صرح "بأن فضل الله **مشروع وهابي** ينخر في كيان التشيع من داخله"(١).

واعتبر اللنكراني شراء أو بيع أو قراءة كتب فضل الله غير جائز إلا لمن يريد الجواب والرد(٢).

كما اعتبر (علي السيد حسين يوسف مكي) بأن فضلَ الله "يشكل خطراً كبيراً على التشيع وعلى الفكر الشيعي وعلى أسسه وقواعده وعقائده وشرائعه وتاريخه"(٣).

واعتبر محمد الصدر فضل الله يحمل "مشروعا خطرا"، حقيقته: "تغيير الشخصية الشيعية باستبدال عقيدتها الأصلية بعقيدة مزيفة"(٤).

وفي بيان الحوزة في قم اعتبروا أقواله"ضلال وإضلال" و "إنكار لضروريات المذهب"(٥).

كما أصدرت الحوزة العلمية في أصفهان بياناً جاء في عنوانه:"انحرافات الضال المضل فضل الله"(٦).

أما محمد باقر الصافي -مؤلف كتاب فتنة فضل الله- فقد أوغل في ذم فضل الله فسماه "معاوية العصر" ووصفه بأنه "صاحب فتنة"، وأنه صاحب"دور خبيث". وأنّ جريمة تلك المرأة الإيرانية -التي حكم عليها الخميني بالإعدام لأنها عدّت الزهراء ليست قدوة للنساء في عصرنا الحاضر- تعادل عُشر جريمة فضل الله كمّاً وكيفاً.

كما وصف أفكار فضل الله قائلاً :"فما هي إلا إشكالات ابن تيمية وابن حجر

---

(١) فتنة فضل الله / فصل الموقف من الفتنة.

(٢) الحوزة العلمية تدين الانحراف- القسم الثالث/وثيقة(١٨).

(٣) المرجع السابق / انظر رسالته للتبريزي والخرساني ،ص١٧٥و١٧٦/ وثيقة(٢٠و٢١)

(٤) ردود المرجع الديني السيد محمد الصدر على الشبهات البيروتية ص٣/دار الملاك الأصيل- بيروت(مصور ضمن ملاحق كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف)

(٥) الحوزة العلمية تدين الانحراف- القسم الثالث١٧٩-١٨١

(٦) الحوزة العلمية تدين الانحراف- القسم الثالث ١٦٩

ومبغض الدين الخطيب(١) والآلوسي(٢) وجار الشيطـــان(٣)، من مقالات "التحفة الاثني عشرية" و"الصواعق" و"المنهاج" وأضرابها، مع تقديم وتأخير، وحذف واختصار هنا وإضافة وإطناب هناك، اجترها الرجل في طرح من "داخل البيت"، لم يختلف عن الطرح الوهابي إلا في الحذر والجبن الذي لم يسمِّ الأشياء بأسمائها... فهاجم التوسل والشفاعة وتنكر لها ونقضها دون أن ينعتهـــا بالشرك، وطعن في المعجزة ونال من الكرامة ومن مقامات الأولياء دون أن يسميها بالكفر والغلو... وهكذا".

وأما محمد علي المشهدي فقد عقد مقارنة بين فضل الله وبين ابن تيمية فقال:" ثم تبين لنا أنه وبالمقارنة بين أرائه الموجودة في كتبه وغيرها، وبين آراء ابن تيمية في كتابه(منهاج السنة) أنهما يلتقيان في كثير من القضايا والمعتقدات،مسألة العصمة، ومسألة الشفاعة، ومسألة إقامة المآتم، ومسألة آية المباهلة"، ثم أخذ يبين مشابهة دور ابن تيمية في وسط أهل السنة ودور فضل الله، فقال: "وأيضا فقد تبين من المقارنة بين أساليبهما في البحوث أن لصاحبنا داعية التجديد في المذهب الشيعي، كما كان لابن تيمية داعية التجديد في الاسلام، فكان عاقبة ذلك أن ضلله علماء المذاهب الاربعة، وعاقبة هذا أن ضلله علماء المذهب الإمامي.." (٤) .

(١) يقصد محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر الخطيب، له كتاب الخطوط العريضة المتوفى سنة ١٣٨٩هـــ، الأعلام للزركلي ٢٨٢/٥.

(٢) يقصد محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الألوسي البغدادي ، له كتاب مختصر التحفة الاثني عشرية. المتوفى سنة ١٣٤٢هـــ.الأعلام ١٧٢/٧.

(٣) يقصد موسى جار الله بن فاطمة مؤلف كتاب الوشيعة في نقض عقائد الشيعة.

(٤) الحوزة العلمية تدين الانحراف٧

وَبَعْدُ: فمن خلال هذه الأقوال التي نقلناها عن خصوم فضل الله يتضح أن الخلاف بين هذا الفريق وبين فضل الله وصل لشدّته إلى درجة التضليل، بل وإلى الإشارة بحل دمه عند البعض(١).

كما يتبين لنا أن هذا الفريق يدرك تماما أن فضل الله يتبنى مشروعا يهدد (غلوهم وخرافاقم)التي يعتبروها التشيع، بينما يعتبرها فضل الله انحرافاً عن التشيع الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة والعقل السليم من الخرافات.

كما يتضح لنا بجلاء أن هؤلاء يعرفون بأن فضل الله يتبنى مذهبا شيعيا اقرب إلى الوحدة مع بقية المسلمين، مما جعلهم يقارنون بينه وبين بعض رموز أهل السنة كابن تيمية والدهلوي والآلوسي وغيرهم، وهو ما يوحي بطائفية بعيدة كل البعد عن النظرة الموضوعية العلمية، فضلا عن بعده عن النظرة (الوحدوية) التي يتغنى بها هؤلاء، وهم أبعد ما يكونوا عن تطبيقها فعليا.

أبـرز مآخذ الرافضين:

إنّ الأمور التي اعتبرها المخالفون لفضل الله مما يوجب إسقاطه ، واعتباره خطر على التشيع؛ تعود إلى مسائل علمية أو مسائل منهجية. وهي كالتالي:

أولا: المسائل العلمية:

١. تشكيكه في بعض ما يعتبرونه من الضروريات.

فقد عدّه كثير ممن خالفه بأنه يشكك في بعض "الضرورات"(٢)، سواء ضرورات الدين أو ضرورات المذهب الإمامي، ومن تلك الضرورات- في نظرهم-:

---

(١)إن صدق الصافي في نقله الذي سبق عن المرجع الخرساني.

(٢) الضروري: هو ما يحصل بدون فكر ونظر في دليل.(معجم لغة الفقهاء- لقلعجي وقيني-٢٨٤ دار النفائس-بيروت-ط٢-١٤٠٨هـ.

أ. إنكاره كسر ضلع فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وقتل جنينها.

وحقيقة موقف فضل الله يتضح في أمرين:

الأول: أنه شكك في صحة الروايات التي ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتحم بيت علي وكسر بابه أو أحرقه مما أدى إلى كسر ضلع فاطمة رضي الله عنها وإسقاط جنينها الذي في بطنها وهو المسمى بـ"محسن"، ولم يتعد فضل الله في كلامه مترلة التشكيك إلى النفي القاطع أبداً.

الثاني: أنه استبعد وقوع هذا الحدث لأنه يقول بأن محبة المسلمين لفاطمة رضي الله عنها كانت أكثر من محبتهم لعلي-بحسب اعتقاد فضل الله-، وأن هذا يقتضي عدم إقدام أحد ممن يبيت لهم سوءاً خوفاً من تهييج الرأي العام(١).

ومع أن هذه جزئية تاريخية إلا أن كثيراً من الذين ردّوا على فضل الله اعتبروها من الضرورات التي لا يسوغ إنكارها، بحيث حكم عليه بعضهم بالخروج من المذهب بمجرد تشكيكه فيها(٢).

ب. قوله بأن الإمامية من المتحول.

سبق وأن ذكرنا أن فضل الله يرى بأن الإمامة ليست من ضرورات الدين التي توجب الخروج من الإسلام، وأن الإمامة من المتحول الذي يدور في فلك التوثيق والتضعيف.

وبسبب ذلك فقد اعتبره بعض خصومه(٣) ممن يشكك في القطعيات،وقد علا آية الله الخرساني في ردّه إلى درجة بعيدة حين قال في معرض ردّه: "إلقاء الشك فيها [يعني الإمامة] نقض للغرض من الخلقة والبعثة"(١).

---

(١) انظر محمد حسين فضل الله امة في رجل للجزائري٢١٩.

(٢) الحوزة العلمية تدين الانحراف٢٦. وممن صرح بذلك: محمد الحسيني الوحيدي التبريزي. انظر وثيقة ص٢٥٩ في نفس المرجع.

(٣) ذهب بعض الذين ردوا على فضل الله-ومنهم المرجع الشيعي مهدي المرعشي- إلى أن فضل الله مادام يعتقد بالإمامة فهو من الإمامية وإن لم يثبت عنده الدليل القطعي. فهو لم يعتبر قوله بأنها من المتحول كافياً للخروج من المذهب. انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/ وثيقة

ت. **قوله في الشفاعة.**

مر معنا فيما سبق الموقف المتوسط لفضل الله في موضوع الشفاعة بين المنكرين لها وبين المفرطين في إثباتها، وهو موقف لم يرق لبعض من يغلو فيها من خصومه، فقد رد آية الله تقي القمي قولَ فضل الله بنفي الحاجة للوسطاء بين الله وخلقه في طلب الحاجات، وعدّ كون الأئمة وسطاء في طلب الحاجات من ضروريات الدين، فقال:"وأما جعل الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء وسطاء إلى الله لقضاء الحوائج، فمما لا إشكال فيه ثبوتاً، كما أن الأدلة كافية لإثبات المُدْعَى، والسيرة بين المسلمين جارية على المنوال المذكور، **وكل من ينكر هذا الأمر فقد أنكر ضرورة من ضروريات المذهب بل الدين**"(٢).

وما ذكره القمي هنا غاية في الغلو، حيث يقتضي كلامه كفر من قال لا إله إلا الله ولو قام بجميع فرائض الإسلام، مادام لم يقر بكون الأنبياء والأئمة وسطاء في طلب الحاجات لأنه في نظره أنكر ضروري من ضروريات الدين.

وفي موقف آخر –يمكن تصنيفه بأنه أخف غلواً– فقد عدّ آية الله محمد تقي بهجت "إنكار الوسطاء ليس من الدين" ولكنه لم يذكره بأنه الضروريات(٣).

ث. **إنكاره الولاية التكوينية.**

لم يقبل كثير من علماء الشيعة المعاصرين قول محمد حسين فضل الله حين أنكر الولاية التكوينية ولذا رد ذلك محمد بهجت(٤)، ومحمد الشاهرودي(٥)، وتقي

ص٢٦٧

(١) انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف /القسم الثالث ص١٤٧/ وثيقة١١

(٢) الحوزة العلمية تدين الانحراف (ملحق الوثائق الجديد ص٧)

(٣) المرجع السابق/القسم الثالث/ ٢٤٩

(٤) المرجع السابق/القسم الثالث٢٤٩-٢٥٠

(٥) المرجع السابق/القسم الثالث/٢٤٢

القمي(١)، وألف في إثباتها والإجابة على أدلة من أنكرها هشام شري العاملي كتاباً سمّاه "الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة" وغير ذلك.

ج. قوله بأن العصمة ليست اختيارية محضة.

اختار محمد حسين فضل الله القول القائل بأن العصمة تكون بفيض من الله على نفس المعصوم بحيث يمتنع الانحراف وصدور الباطل منه(٢).

يقول محمد حسين فضل الله "المعصوم ينطلق بإرادته نحو الطاعة، ولكنه إذا أراد أن يعصي فإن الله يعصمه في ذلك عندما تتوفر له ظروف المعصية فإن الله يخلق له حواجز تصدّه عن هذه المعصية"(٣).

و فضل الله يحاول بتقريره هذا جعل العصمة وسط بين الاختيار وبين الجبر، بحيث يكون الأصل في الأئمة الاختيار "ولكنه عندما يواجه الضعف البشري في نفسه فإن الله يتدخل، كما في قوله: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا))[يوسف ٢٤] "(٤).

وسبب اتجاه فضل الله لهذا الرأي في مسألة العصمة هو محاولة التوفيق بين كون النبي أو الإمام–في نظره– معصوماً بعد البعثة أو الإمامة، وبين كونه عاش قبلها فترة طفولة طبيعية، ولهذا يقول: "إننا نتساءل إنه إذا كانت العصمة تنطلق من حالة اختيارية ذاتية فكيف يمكن أن يكون معصوما في بداية الطفولة؟"(٥).

ولعل فضل الله لم يكن هو الوحيد في هذا الرأي، فقد نُسب هذا القول لـ(الصدر) و(المفيد)(٦).

---

(١) المرجع السابق/ملحق الوثائق الجديدة٧-٨

(٢) انظر فقه الحياة ٢٧٠

(٣) فقه الحياة ٢٧٢

(٤) فقه الحياة ٢٧٢

(٥) فقه الحياة ٢٧٣

(٦) انظر مرجعية المرحلة وغبار التغيير للشاخوري ٢٠٤.

وقد وقف لفضل الله طائفة من علماء الإمامية ليردوا عليه بإثبات أن الإمام معصوم عصمة اختيارية كجواد التبريزي(١)، والشاهرودي(٢)، وبهجت(٣)، والمرعشي(٤)، وتقي القمي(٥)، وغيرهم.

وقد بنى هؤلاء ردّهم على ما ورد في السؤال- الذي عرض عليهم بنفس الصيغة- وفيه أن فضل الله يريد إثبات العصمة الجبرية، ولكن بالنظر إلى ما قاله محمد حسين فضل الله نجد أنه -كما نقلنا عنه- يقول بالجبر في ناحية منها، والله أعلم(٦).

والخلاف بين الطرفين في هذه المسألة فرع عن إثبات العصمة للأئمة، وهي مسألة سبق بيان مخالفتها لظواهر كثير من النصوص القرآنية.

ثانيا: مسائل منهجية.

وأعني بها منهجية آية الله محمد حسين فضل الله في التعاطي مع الموروث العلمي، والتعامل مع الأتباع والمخالفين، وباختصار "المنهجية العلمية والعملية".

وبالوقوف على الصراع الذي دار بين محمد حسين فضل الله ومخالفيه، نجد أن حقيقة الخلاف تعود -وبدرجة كبيرة - إلى شكل المرجعية الجديدة التي ظهر بها فضل الله -والتي لم يخرج بها عن إطار الإمامية في الحقيقة-ولكنها أصبحت تهدد كثيراً من المرجعيات التي بدأت تشعر بخطورة توجّه فضل الله المؤثر والمقبول لاسيما في أوساط المثقفين الشيعة.

---

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/ص١٥٠

(٢) المرجع السابق/القسم الثالث/ص٢٣٨

(٣) المرجع السابق/القسم الثالث/٢٤٧-٢٤٨

(٤) المرجع السابق/الفسم الثالث/٢٧٠

(٥) المرجع السابق/ ملحق الوثائق الجديدة/ص٤

(٦)ثمة أموراً أخرى يخالف فيه السيد فضل الله. راجع فيها كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف. أوموقع (ضلال نت)http://www.zalaal.net/

وقد تميزت مرجعية فضل الله بميزات جعلتها مقبولة بشكل أكثر في الوسط الشيعي ومنها:

١. مرجعية مقنعة

قدم فضل الله نفسه بصورة المرجعية المقنعة للجمهور الشيعي، وذلك يرجع لأسباب منها:

أ. آرائه المتعقلة.

فهو يرى أن الأساس الذي اعتمده الأنبياء في خطابهم ودعوتهم هو خطاب العقل وليس المعجزات(١)، ولهذا اعتمد فضل الله هذا الأسلوب الناجح في مخاطبته وإقناعه للجمهور، خلافا لكثير ممن يعتمدون على ترداد الروايات الخرافية الباطلة.

ومن جهة أخرى يرى فضل الله بأن الأنبياء كانوا لا يمنعون النقاش أو طرح الأسئلة المعارضة، بخلاف -من يسميهم فضل الله- المتخلفين الذين "يمنعون الناس من أن يناقشوا أو يعترضوا، فإذا اعترض معترض فالفتوى بالتكفير والتضليل تأتي من كل مكان"(٢).

ولهذا نجد فضل الله يناقش القضايا بصورة أقرب للعقل، بخلاف كثير من خصومه الذين يصرّون على إعمال الخرافة والمناقشة الفلسفية التي لا يقتنع بها عامة الناس.

فعلى سبيل المثال: لم يتحرج فضل الله من التشكيك في النصوص القائلة بأن نور فاطمة رضي الله عنها خلق قبل خلق السماء والأرض وذلك لضعف أسانيدها، ولم يجد هو في هذا الموقف طعناً في مكانة الزهراء رضي الله عنها الثابتة بدون هذه الميزة الخرافية.

ولكن خصومه جعلوا ذلك من الأمور الثابتة التي لا تقبل الجدل ، بل غلا بعضهم فجعلها متواترة، ومن ثم لجؤوا إلى تفسير ذلك بالعقلية الخرافية -التي لا يقبلها العقل السليم- بأن الذي خلق قبل السماء والأرض هو "أشباح" النبي صلى الله عليه وسلم والزهراء والأئمة!! (٣). ولست أعلم ما فائدة خلقهم أشباحاً في تلك الفترة.

---

(١) الندوة ٤؟١٤٩٤

(٢) الندوة٩/١١٧.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف انظر فتوى كل من(التبريزي١٥٦) و (الشاهرودي- وقد صرح

ب. **موقفه من الخرافة والخرافين**(1).

ج. **كثرة مشاريعه الخيرية.**

فقد قام فضل الله بإنفاق كثير من الأموال التي تقدم له- من الأخماس- في مشاريع يراها الناس ماثلة أمامهم، مما عزز ثقتهم به و بنواياه الإصلاحية(2).

وبالعموم فإننا نقول : إن عقلانية فضل الله وبُعده عن الخرافة، وكثرة مشاريعه الخيرية، ساهمت في استقطاب الكثيرين من الشيعة إليه، خصوصا فئة الشباب والمثقفين، الذين يتطلعون إلى التجديد والمعاصرة والخروج من العزلة، ويأملون بصيغة فكرية وعقدية تحقق الوحدة الإسلامية وتسهم في التخلص من الأفكار الدخيلة والخرافات والأساطير التي مزقت المسلمين وباعدت بينهم(3).

٢. القبول الإعلامي له.

استطاع فضل الله أن يحقق نجاحاً إعلامياً واضحاً، لاسيما في السنوات الأخيرة، ولعل هذا مما زاد خصومه حنقاً وغيظاً.

ومما يبن ذلك قول أحد خصومه- بلهجة ينبع منها الحسد- : "كيف يعيش جهابذة العلم وأساطين الفكر في قم والنجف وملؤهم الحسرة على طباعة مؤلفاتهم القيمة ونشرها ليستفيد منها الناس، بينما تجد الأوراق والصحائف تسوّد بالترهات والسخافات والغث والحشو الذي يحرق به فضل الله أوقات الناس أسبوعيا، بتغطية إعلامية تلفزيونية وإذاعية وصحفية لكل كلمة وهمسة يشطط بها لسانه الآثم؟؟!..."(4).

بالتواتر-٢٤٣) و(تقي القمي-ملحق الوثائق الجديدة-٩ وفيها صرح بالتواتر).

(1) سبق عرض موقفه ، انظر ٥٣٧-٥٣٩

(2) انظر موقع المبرات والمكتب الخيري التابع للسيد محمد حسين فضل الله :

http://www.fadlullah.org

http://www.mabarrat.org.lb/arabic/index.shtml

(3) انظر : http://www.alkatib.co.uk/m٣٠.htm

(4) فتنة فضل الله لمحمد باقر الصافي(فصل الإسناد الإعلامي)

وبلا شك فإن السر الذي لا يدركه هذا الكاتب وأمثاله، هو أن الإعلام لن يخرج نفسه بإخراج مراجع يرددون خرافاقم على شاشاته أو في صحف، خاصة في هذا العصر الذي لا يحتمل فيه كثير من الناس أمثال هؤلاء، أعني الذين يبدأون أحاديثهم باللعنات للمخالفين؛ وهي لهجة تعزز الطائفية والأحقاد بين المسلمين.

٣. أفكاره الإصلاحية الجريئة.

فقد طرح فضل الله وبشجاعة فكرة إصلاحية جريئة وهي نقد تراث المذهب-خلا البديهيات والضروريات- فقال:" إن التراث الفقهي والكلامي والفلسفي نتاج المجتهدين والفقهاء والمفكرين ، وهو لا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة ، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة ، وبالتالي فان الفكر الإسلامي ما عدا البديهيات هو فكر بشري قد يخطيء فيه البشر وقد يصيبونه" ويقول: " **لا بد من الخروج من أقبية الذات والخصوصيات والحسابات الضيقة ، وعلينا أن نواجه قضايانا وأفكارنا وحتى عقيدتنا بالنقد والشجاعة والجرأة قبل أن ينقدها الآخرون ، لأننا نملك كما غير قليل من الموروث الذي تركه لنا الأقدمون ، والذي ينبغي النظر إليه بعين النقد والتحليل حتى لا نكون مصداقا للآية الكريمة : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)**" ويقول: " إن الحرية المطروحة هنا وهناك هي حرية مناقشة الآخر . أما أن نناقش في فكرنا في عملية نقد علمي فهذا ليس وارداً، بل قد نجد هنا وهناك إرهاباً فكرياً. **ولذا فاني اعتقد أن علينا أن ندرس ما عندهم وأن عليهم أن يدرسوا ما عندنا ، بطريقة علمية موضوعية بعيداً عما إذا كانت هذه المفردات الفكرية أو الفقهية أو المفهومية مما التزم به المتقدمون ، أو مما لم يلتزموا به**"(١).

---

(١) انظر: جريدة الحياة ٢٥/١/١٩٩٩م مقال:(فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكوى الإرهاب الفكري) .

وهذا المبدأ الذي يدعو له فضل الله يدل على فكر نير ، وعلى تجرد واضح، بعيد عن العصبية التي هي سمة لكثير من خصومه، كما أن هذا المبدأ هو من أخطر ما يطرحه محمد حسين فضل الله في وجه التيار التقليدي.

٤. القدرة المالية الكبيرة.

فالذي يعرف المشاريع التي يقوم فضل الله بالإنفاق عليها يعلم أنه يتمتع بقدرة مالية عالية. و"يقول بعض المراقبين إن الذي أشعل المعركة الإعلامية ودفع المحافظين للهجوم على السيد فضل الله واتهامه بالانحراف والضلال والخروج على ضرورات التشيع هو خبر تقديم تاجر كويتي مبلغ ١٢٠ مليون دينار كخمس وزكاة ، في حين يعاني المراجع التقليديون أزمة مالية خانقة بسبب إحجام الناس عن إخراج الخمس و إعطائها لهم ، أو مطالبتهم بموارد صرفه"(١).

هل نجح خصوم فضل الله في إسقاطه!

على رغم عِظَم الحملة التي قامت بها طائفة كبيرة من رموز الشيعة الإمامية والتي اشتدت في سنة ١٤١٨هـ ولا تزال، حتى صرّح من جرائها فضل الله أكثر من مرة بأنه"يتعرض لمحاولة اغتيال معنوي" من خلال البيانات التي تنسب له كذباً وزوراً يراد من خلاله إعلان أنه ضد عقيدة التشيع وضد خط آل البيت"(٢).

إلا أن محمد حسين فضل الله لا يزال يحقق نجاحاً بارزاً أمام الجميع بازدياد شعبيته ونفوذه، ولذا فان الحملة الإعلامية التي قامت بها المرجعيات التقليدية لم تلق آذاناً صاغية

(١) المرجع السابق.

(٢) انظرمقال:(الصراع على المرجعية الشيعية يخرج إلى العلن) جريدة الحياة/ عدد ١٤٥٥٢.

وانظر لقائه من قناة mbc يوم (٢١ شوال ١٤٢٣هـ الموافق ٢٤-١-٢٠٠٣)، ولقائه في قناة الجزيرة (الأحد ٢٩/٤/١٤٢٤هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠٣م).

بالشكل الذي كانوا يريدون، وذهبت أدراج الرياح ، لأنها عزفت على أوتار بالية وقضايا تاريخية ميتة.

وعلى رغم وجود فتاوى أو آراء خاصة لفضل الله قابلة للنقاش والرفض أو التأييد، فان الملاحظ أن الحملة الإعلامية المضادة له، الصادرة من الحوزة في قم ، تحاول سد باب الاجتهاد في المسائل التي فتحها والحيلولة دون الاقتراب من مناقشة القضايا الموروثة حتى إذا لم تكن أساسية في مجال التاريخ كقضية كسر ضلع الزهراء ، والاحتماء بسلاح الفتاوى خوفاً من فتح ملفات أخرى أساسية في الفكر الشيعي(١).

الفريق الثاني: المؤيدون.

يؤيد أفكار محمد حسين فضل الله في أوساط الشيعة طائفة لابأس بها، سواء في المنتسبين إلى العلم، أو المثقفين وهم الشريحة الأكبر من المؤيدين، بل وحتى عامة الشيعة.

ومن أبرز هؤلاء المؤيدين: عبد الله الغريفي، وحسن نوري، و شفيق الموسوي ، ومهدي العطار، وجعفر الشاخوري ، وجواد الخالصي، ويحيى محمد علي، وحسين الخشن، وإبراهيم الأشيقر الجعفري، ومصطفى الحاج علي، ونجيب نور الدين ، وعادل القاضي ، وباقر الناصري، وحسين شحادة، وسليم الحسني ، علي المؤمن، وأبوجعفر العلاق، فؤاد ابراهيم ، وسيد عبد الله العلي (قطر) وغيرهم(٢).

---

(١) انظر مقال أحمد الكاتب فضل الله يشكو من الإرهاب الفكري: صحيفة الحياة٢٥/١/١٩٩٩م.

(٢) وقد أصدر بعض هؤلاء كتب ومقالات تؤيد محمد حسين فضل الله منها: هوامش نقدية لمحمد الحسني، ومأساة الزهراء لنجيب نور الدين، ومرجعية المرحلة وغبار التغيير لجعفر الشاخوري، وحركة العقل الاجتهادي للشاخوري، وآية الله السيد فضل الله يدحض الشائعة، وأمة في رجل لمحمد الجزائري، وكتب جلال حسين شريم عدّة مقالات في الصحف والمجلات، انظر فتنة فضل الله، ومجلة الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام.www.alwaha.com/issuel/is٠١sb١٣.htm

وقد تعالت أصوات هؤلاء وغيرهم في مناصرة محمد حسين فضل الله مع ما ينطوي على ذلك من خطورة، قد تصل إلى درجات بعيدة لاسيما على يد أتباع خصومه الذين يشحنون أتباعهم بالغيظ على فضل الله وخطورته على مذهب الأئمة.

وقد كتب عدد من المثقفين مقالات تدل على الشعبية التي يلقاها فضل الله في أوساطهم، ومن ذلك أن منتظر الموسوي- وهو كاتب مقيم في سويسرا- سجل رؤيته قائلا:" وصل ببعض ما تسمى بالمرجعيات القابعة في سراديب قم بإطلاق فتاوى التضليل والتي دافعها الحقد والحسد والخبث والبغضاء والمنافسة الغير شريفة، بعد أن لمع اسم سماحة السيد وطرح مرجعيته الواسعة المنفتحة.." كما يرى بأن هذه "**الحملة المسعورة لم تنجح، بل على العكس فقد أوجدت تياراً قوياً ضدهم**(١).

كما شارك كل من محمد باقر شري(٢)، وعلي حسين حمود (٣)، وأحمد الكاتب(٤)بمقالات توضح موقفهم المؤيد لأفكار فضل الله الاصطلاحية.

لكن اللافت للنظر هو أننا لم نجد في قسم المؤيدين لفضل الله اسم أحد المراجع، إلا اسماً واحداً وهو (آية الله نوري الهمداني) ، الذي كان أيّد محمد حسين فضل الله بشدّة في أول الأمر، ولكنه سرعان ما رجع عن ذلك، والسبب في ذلك يعود إلى مقاطعة العلماء والطلبة وانصراف الناس عن تقليده في همدان مما سبب له ضائقة مالية، جعلته

---

(١) موقع كتابات:www.kitabat.com. وانظر مقال رضوان عقيل في جريدة النهار الصادرة في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٣م بعنوان "شريط مؤلف يستهدف فضل الله يوزع في قم ولبنان ويشغل الشيعة" حيث صرح فيه بأن عدد الذين يقلدون فضل الله ويلتزمون فتاواه قد زاد وأن بينهم عدداً لا بأس به في حركة أمل.

(٢)(٢) انظر مقال: آية الله فضل الله ومعاناة المرجعية"وإذا كانت النفوس كبارا.."/صحيفة الديار ٢٦/كانون الثاني ٢٠٠٣م.

(٣) انظر مقال: المرجعية الشيعية من الجاذبية إلى التجاذب السياسي/ صحيفة السفير١/شباط ٢٠٠٣م.

(٤) انظر مقال: فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو من الإرهاب. صحيفة الحياة٢٥/١/١٩٩٩م.

ينقلب على فضل الله ويصرح ببعض الاتهامات المكذوبة التي وصلت في بعضها إلى عرض فضل الله، وكل هذا من أجل أن تعود له أخماس المقلدين، نسأل الله السلامة(١).

ولعل حادثة تأييد الهمداني ثم نكوصه تكشف أحد الأسباب الحقيقية لعدم تأييد بعض الجهات لفضل الله، وأعني بالتحديد خوف بعضهم من الحصار المالي، الذي قد يلقاه نتيجة ذلك.

وعلى العموم فإن أنصار فضل الله المنتسبين إلى العلم هم في الغالب من الذين لم يرتبطوا بمصالح مالية مع التيار التقليدي ، وهو ما يجعلهم أكثر حرية في الرد والمناصرة لفضل الله، كما أن القسم الأكبر في مؤيديه هم المثقفون والعامة العقلاء الذين لم تستحوذ عليهم الخرافة وإلغاء العقل(٢).

---

(١) انظر مقال: "فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه" للسماوي /مجلة الشراع ١٩٩٨م.

(٢) هذا ما ظهر لي حتى لحظة كتابة هذا الفصل، ولا أدري إلى ما سيؤول إليه حال فضل الله ولا أتباعه، وهل سيكون أمرهم أكثر انتشاراً بين الشيعة فيما نستقبل من الأيام -كما نتمنى- أو العكس؟ هذا مما لا يعلمه الله تعالى.

المبحث الرابع:
أبرز الملاحظات على محمد حسين فضل الله

أولا:موقفه من الآيات التي تخالف العصمة

سبق أن مرّ معنا أن فضل الله لم يخرج من القول بعصمة الأئمة، ولكنه يخالف الإمامية في تفاصيل العصمة، فهو يريد أن يثبت عصمة لا تنافي بشرية الرسل والأئمة، ولذا قال بأن العصمة لا تنافي وجود نوازع نفسيه تطرأ على نفس المعصوم كما وقع ليوسف عليه السلام، كما أنّ العصمة لديه لا تنافي وقوع السهو أو الخطأ غير المقصود، وأنها ليست جبرية بإطلاق.

والملاحظة هي أن العصمة التي يتبناها السيد محمد حسين فضل الله وإن كانت ليست هي العصمة التي يقررها عامة مراجع الإمامية، إلا أنها في النتيجة ستتفق معهم في قضية وهي أن جميع ما صح من أقوال الإمام فهو حق لا يعتريه خطأ، وهذا هو القدر المشترك بين رأي فضل الله وغيره، وقد ذكرنا فيما مضى أن نصوص القرآن لا تسعف القول بالعصمة، بل هي تدل على وقوع الخطأ من الرسل والأنبياء عليهم السلام-على وجه عدم قصد الخطأ، وعدم الاستمرار بل سرعة المبادرة للتوبة والأوبة إلى الله تعالى، فصاروا عليهم السلام أئمة لنا في فعل الخير، وأئمة لنا في المسارعة إلى الاستغفار والتوبة حتى من أصغر الأخطاء التي لم يقصدها، كما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام لما طلب من الله الشفاعة لابنه فعاتبه الله تعالى قائلا: ((يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ)) فكان نوح عليه السلام إمام في الأوبة حين بادر بقوله: ((قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ))[هود٤٦-٤٧].

كما أن داود عليه السلام ضرب مثلا رائعا في سرعة المبادرة بالرجوع والاستغفار حين أخطأ عن غير قصد ((وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ))[سورة ص٢٤-٢٥].

والآثار والمواقف الواردة عن أئمة آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين تدل دلالة واضحة على أنهم لم يكونوا يتبنوا القول بعصمة أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم(١).

كيف يوجه فضل الله النصوص التي تخالف العصمة؟

حاول محمد حسين فضل الله توجيه جميع الآيات أو الآثار التي تشير إلى ما يخالف العصمة، بحيث تتفق مع قوله بعدم وقوع الخطأ.

فإذا وقف على كلام لأحد الأئمة يذكر فيه ذنوبه أو استغفاره لربه، يقوم بتوجيهها بأن الإنسان يتحدث عن الإنسان عموماً وليس عن نفسه، فإذا قال يا رب قد أسرفت ..ونحوها من العبارات، يقول إنما يريد واقع الإنسان وليس واقع نفسه(٢).

وإذا وقف محمد حسين فضل الله على قوله تعالى: ((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب وما تأخر)) [الفتح:٢] يوجّه الآية بأن المغفرة هنا تعني الرضوان والمحبة والرحمة(٣).

كما يرى فضل الله بأن أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها؛ ليست معصية حقيقية بل هو كان أمراً إرشادياً، والأمر كما يقول بمثابة الدورة التدريبية التي يتعلم منها هو وذريته أن ثمة من يكيد لهم(٤).

ومن أغرب التأويلات التي ذهب إليها السيد محمد حسين فضل الله أنه لما وقف على الآيات التي تذكر رمي موسى الألواح، ثم جرّه لهارون من لحيته، قال "لم يكن ما

---

(١) انظر هذه الآثار فيما سبق ص ٦٤

(٢) انظر:حوار مع السيد محمد حسين فضل الله (٣٠٠٠سؤال وجواب) ص ٣٠٢

(٣) انظر الندوة ٩/٥٦-٥٦١.

(٤) انظر الندوة ٤/٤٢٢-٤٢٣

قام به تصرّفاً عصبياً ناشئاً من حالة انفعالية غير عقلانية، بل قد يكون الأمـــر في أغلـــب الظن أن موسى (ع) أراد أن يوحي إلى قومه بأنه يواجه حالـــة التمـــرد وعـــدم القيـــام بالمسؤولية بالشكل الذي يجب، حتى بالنسبة إلى أخيه، يعني أراد أن يمتص الجـــوّ ويـــأتي من مركز القوّة ويواجه أخاه هارون بهذه الطريقة حتى يستطيع أن يحتوي الجوّ ..إلى أخر ما قال(١).

هذه نماذج تمثل طريقة توجيه محمد حسين فضل الله للنصوص التي تخالف العـــصمة، وهي كما يرى القارئ الكريم تأويلات متكلفة جدّاً، لا تقبل من الخرافيين فـــضلاً عـــن قبولها من مثل السيد محمد حسين فضل الله المعروف ببعده عـــن التفـــسيرات المتكلفـــة، البعيدة عن ظاهر النص.

نعم نتفق مع السيد محمد حسين فضل الله عندما يوجّه بعض الآيات التي تذكر نهـــي النبي عن طاعة الكافرين وخوف الرسول من عذاب الله وتهديد النبي صلى الله عليه وآلـــه وسلم بأنه لو أشرك لحبط عمله بأن النبي قد برأه الله تعالى من أن يقع في ذلـــك، وبأنها وردت على سبيل التهديد لمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الناس.

ولكن هل ورد ما يدل على عصمة غيره، وهل ورد ما يبرئ غيره صـــلى الله عليـــه وسلم؟

ثم لماذا لا يكون مبدأ النقاش بين المثبتين والنافي للعصمة: هل وقوع الخطـــأ الـــصغير من الرسل أو الأنبياء ثم رجوعهم عنه يعدّ نقصاً ملازماً لهم، أم أنهـــم يجـــسّدون بـــذلك القدوة الحية لكل البشر في مسارعتهم إلى العودة إلى الله والاستغفار؟.

والواقع أن هذه الأدلة تدل على أن الأنبياء والرسل فضلاً عـــن غيرهـــم معرضـــين للخطأ، فلماذا نعرض عن هذا إلى التأويلات المتكلفة، ونجتهد في إثبات صـــور خياليـــة ومثالية لبشر مثلنا بنص كتاب الله تعالى.

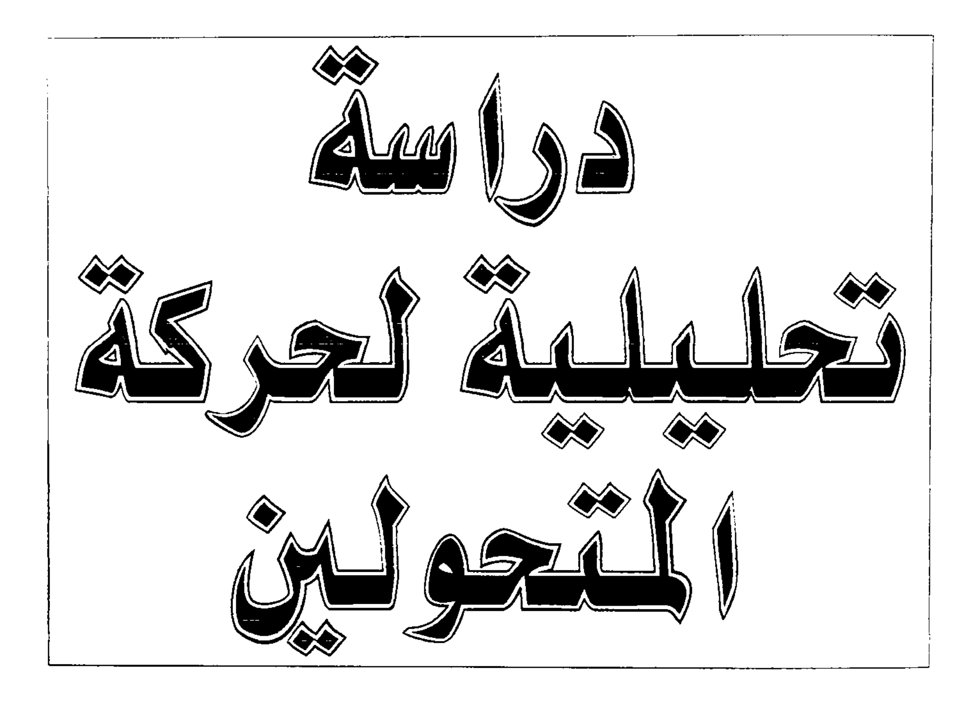
وأخيراً : نحن وإن تفهمنا أن كثيراً من الـــذين يجتهـــدون في نفـــي الخطـــأ عـــن المعصومين-ومنهم سماحة السيد محمد حسين فضل الله- يريدون تتريه الشريعة، وحمايـــة مترلة أئمة الدين من النبيين أو من يعتقدون أنهم أوصـــياء إلا أن هـــذا لا يعـــني تجـــاوز

---

(١)انظر:حوار مع السيد محمد حسين فضل الله (٣٠٠٠سؤال وجواب) ص ٣٢١

النصوص والواقع التاريخي، بل وأكثر ممن ذلك تصريح أولئك الأئمة بنفي العصمة، ولعل تجاوز كل هذا سيكون من قبيل تجاوز كثير من الأمم التي قدّست فضلائها ورفعتهم فوق ما ينبغي لهم بقصد ودافع طيب، **والقصد الحسن وإن كان موجباً لمغفرة الله في بعض الصور إلا أنه لا يوجب تصويب ذات الرأي عند دراسته ما دام يخالف النصوص**، والله أعلم.

الباب الثالث



إن حركة التحول بين المذاهب والأديان ظاهرة طبيعة مستمرة، وليست طفرة مؤقتة في فترة محددة بوقت أو بمكان أو بمذهب معين، كما أنها تعد مخزونا من التجارب يحوي في طياته الكثير من الدلالات والفوائد التي ينبغي أن لا يُفرط في النظر فيها والاستفادة منها، حتى وإن كانت تحولات عكسية مذمومة-في عرف المذهب المُتَحول عنه-.

وحتى يستفاد من التحولات العقدية الكبرى سواء بين الأديان أو بين الفرق في الدين الواحد، أو حتى داخل الفرقة الواحدة، يجب أولاً أن تدرس بموضوعية تامة، بعيداً عن العواطف والرغبات الجامحة في إعلاء أصحاب كل مذهب لمذهبهم، بل ينظر إليها بعين النقد الموضوعي العلمي ولو كانت تحولات مذمومة في عرف الناظر إليها، وكم من الفوائد تضيع عندما يُنظر إلى التحول المذموم بعين الحنق والتحذير دون دراسة متجردة من العواطف لأسباب وخلفيات ذلك.

وقد علّمنا الله تعالى في كتابه هذا الأمر؛ لما حكى لنا صوراً كثيرةً من التحول، مبيناً أولا واقع ذلك التحول ثم الحُكم عليه ثم الدعوة إلى الاستفادة من تلك الحادثة، وعلى سبيل المثال: لو تأملنا قوله تعالى: ((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ))[الأعراف١٧٥-١٧٦].

فلو تأملنا الآيات السابقة؛ لوجدنا فيها ما يلي:

أولا: أن الله تعالى ذكر حالة من حالات التحول المذمومة.

الثاني: أن الله أمر بذكرها وعدم كتمانها في أول الآيات وآخرها :((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ))، ((فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ))

الثالث: أن الله وصَف حال المتحول قبل تحوله: بالعلم النافع((ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا)).

الرابع: أنه جل وعلا وصَف حال المتحول بعد التحول بأنه أصبح ((فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ))، وأن الشيطان قد تسلط عليه ((فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ))، وأن قلبه أصبح لا يكفيه من الدنيا شيءٌ ((إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث)).

الخامس: أن الله تعالى ذكر أسباب تحوله، وهو إخلاده إلى الشهوات والمقاصد الدنيوية، واتباع الهوى، وهما مما يوجب الخذلان الذي لا يجتمع مع التوفيق ((وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ)).

السادس: الأمر بأخذ العبرة منها ((فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)).

وفي حالة أخرى مقابلة نجد أنه تعالى قد ذكر في كتابه حالات كثيرة من حالات التحولات المحمودة، مثل قصة إسلام سحرة فرعون، وإيمان بعض رهبان النصارى، وإسلام بعض الجن لما سمعوا الآيات، وفي كل موضع نجد الآيات تنوّه بذكر شيء من أسباب التحول المحمود، مثل وجود الأرضية الطيبة في مثل حالة الرهبان الذين وصفهم سبحانه بعلمهم النافع لبعض الحق ((وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ))[المائدة ٨٣]، أو كونهم ممن لا يرفض النقد والحوار ويتقبل الأفكار، كما قال تعالى: ((وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝))[المائدة ٨٢]، أو تأثير جمال الحق وروعته ((فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ)) [الجن ١-٢] وغيرها من الأسباب التي ذكرها الله تعالى في كتاب العزيز.

وفي القرآن مواضع كثيرة يذكر الله تعالى فيها التحولات المحمودة والمذمومة، وينبه على شيء من أسبابها، من أجل أن تؤخذ الفوائد والعبر، **وهو ما يؤكد أهمية الدراسة الموضوعية للتحولات، بعيداً عن روح التشفي والشماتة في ما يعد تحولاً مذموماً، وبعيداً عن روح الانتصار والاستقواء بالمتحولين الجدد فيما يعد من التحولات**

المحمودة؛ لأن الحق لا ينصره كثرة المتحولين إليه، ولا يدحره تخلي بعضهم عنه، فتبقى الدراسة الموضوعية نفعا لأهل الحق أولاً، وللمنصفين من مخالفيهم ثانياً.

واللافت في أغلب المواضع التي ذكر الله تعالى فيها بعض المتحولين؛ هو أنه سبحانه لم يذكر أسمائهم، فلم يذكر سبحانه اسم المؤمن من آل فرعون ولا أسماء السحرة، ولا أسماء القُسُس الذين أسلموا وفاضت أعينهم من الدمع ونحوهم، ولعل الفائدة من ذلك: **هو ألا نهتم بالأسماء ولا بذات التحولات، بقدر ما يهمّنا أخذ الفوائد من تلك جميعاً سواء التحولات، المحمودة أو المذمومة.**

ولهذا جاء هذا الباب الأخير. ليكون خلاصة البحث، والمقصود الأهم.ونسأله جل وعلا أن يوفق كل مؤمن للخير والسعادة.

الفصل الأول:
دراسة لأبرز أسباب التحولات المحمودة

إن دراسة أسباب التحولات أمر مهم للغاية بالنسبة للمتحَول إليهم والمتحَول عنهم، إذ من المهم أن يجيب كلا الطريفين عن سؤالٍ محددٍ، ألا وهو: **لماذا غيّر هؤلاء قناعاتهم في أخص وأخطر ثقافة يملكها الإنسان؟**.

تكمن أهمية الإجابة على هذا السؤال في أنها تعين على تخطي كثير من التجارب الفاشلة في بيان الحق، وتكشف عن جوانب الضعف ومكامن القوة في العقائد وعوامل الجذب في الثقافات المُتَحَول إليها عموماً، كما أن دراسةَ أسباب التحول يرشد في كثير من الأحيان إلى الخلل والنقص في أسلوب الدعوة، أو الانتباه إلى الجوانب المهملة في ما نقدم للناس.

ولعلّ دراسة أسباب التحولات المذمومة لا تقل أهمية -لكل من يرى نفسه من أهل الحق- من التحولات المحمودة، والقرآن أكبر دليل على هذا، حيث بيّن سبحانه لنا أسباب هداية الناس كالموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وأسلوب الخطاب العقلي وغيرها، كما بيّن لنا كذلك كثيراً من أسباب الغواية والضلال كالشبهات والشهوات، وسيطرة التقليد الأعمى ونحوها.

والعجيب أن بعض أهل الحق يتعجب من إقبال الناس على من يعدّهم قاصرين أو منحرفين، وقد يعزو ذلك إلى انحراف داخلي لدى الناس (أهواء أو شهوات)،ولو نظر بعين ناقدة لربما رأى خللاً أو نقصاً في أسلوبه، أو مفردات خطابه، جعل الناس ينفرون منه إلى الآخر، وعلى سبيل المثال فإن إقبال فئة من الناس على الاتجاه الصوفي يكشف في بعض الأحيان عن تقصير بعض الأطراف الأخرى في ملء الجانب الروحي لدى عامة الناس.

وفيما يلي سيتم إلقاء الضوء على **أبرز أسباب التحولات المحمودة** التي مرت معنا في الفصول السابق، وعلى القاريء الكريم أن يعلم أن أسباب التحولات المحمودة كثيرة، ولكنني سأكتفي بالعناية بأهم ما يتعلق بالشخصيات التي سبق الحديث عنها.

السبب الأول: الأثر القرآني.

لعل من أكبر أسباب التحولات المحمودة على الأفراد والجماعات الإسلامية هو التفكر في القرآن الكريم، فالقرآن كما وصفه سبحانه سببٌ لحصول الهداية والتوفيق إلى أحسن الأحوال في كل شيء، قال تعالى: ((إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))[الإسراء:٩]

قال المفسر السعدي رحمه الله تعالى: ((يهدي للتي هي أقوم)) "أي أعدل وأعلى، من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن، كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"(١).

ولهذا كان من جدّ واجتهد في تدبر كلام الله تعالى، انفتح له الباب العظيم إلى أحسن الخيرات في كل باب، واستغنى به عن كثير من الطرق والبحوث المتكلفة(٢).

وكشاهد على ذلك فإن أبا الفضل البرقعي رحمه الله تعالى لم يكن سبب تغيير قناعاته حوارٌ، ولا مناظرة أحد، وإنما كانت بسبب الإقبال على القرآن الكريم. فها هو يصرح بقوله: "ببركة التدبر لكتاب الله صحوت قليلاً قليلاً وفهمت أن الروحانيين (مشايخ الطائفة) وأهل الطوائف بدّلوا الإسلام ونبذوا الإسلام الأصيل باسم المذهب".

ويقول العلامة الخوئيني في بعض الأبيات:

كتبت قبل أربعين سنة شرحاً على منظومة ملا هادي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٥٤.وانظر بدائع التفسير لابن القيم ٣/٧٢.

(٢) راجع القاعدة الاولى في كتاب القواعد الحسان للسعدي/١٣.(ضمن المجموعة الكاملةلمئلفات السعدي-جزء٨)

أظن طريقتهم على الهداية وأرى اللحاق بهم

اهتديت بسبب القرآن والإسلام وفهمت معنى آيات القرآن والإسلام

.. إلى آخر ما قال رحمه الله(١).

كما أن أكثر المتحولين تجد من خلال ما مضى شدّة تعلقهم بالقرآن، وكثرة استشهادهم به.

فلو أحسن أهل الحق دعوة الناس عموماً إلى التفكر في آيات الله تعالى، وعلّموا الناس طرق التفكر في القرآن، وكيفية تدبر معانيه، لقطعوا بذلك شوطاً كبيراً، وأراحوا أنفسهم من كثير من البحوث الخارجة التي لا تنتهي بين الفرق والمذاهب أخذاً ورداً.والله أعلم

السبب الثاني: التجرد للحق والصدق مع الله.

من أعظم الأسباب القائدة إلى التوفيق والرشاد أن يكون العبد صادقاً مع ربه تعالى، لأن الله تعالى يعامل عبدَه بصدقه، كما قال: ((ليجزي الصادقين بصدقهم)) [الأحزاب٢٤]، فمن صَدَق في طلب رضوان الله واتباع الهدى، وفقّه الله تعالى إلى الهداية، كما قال رسول الله صلى الله وسلم : (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة..))الحديث(٢).

وقد يخطئ البعض فيظن أنّ كل من كان صاحب بدعة، فهو قاصد لاتّباع أهوائه وشهواته، وأنهم جميعا ممن يشملهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب(٣) بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا

---

(١) النص مترجم . والأبيات في القسم الأول من الموسوعة القرآنية.

(٢) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (سبق تخريجه ص٤٤٩)

(٣) الكَلَب: داء يعرض للإنسان من عضّ الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحداً إلا كَلِب، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٥/٤.

مفصل إلا دخله)([1]) ولعل إطلاق هذا على كل صاحب بدعة فيه نظر، فقد خالف الشاطبي رحمه الله تعالى مَنْ زعم أن جميع أهل البدع هم ممن تتجارى بهم الأهواء وأنهم لا ينفع معهم حوار، وذَكَر أن الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الأمة ستفترق "من غير إشعار بإشراب أو عدمه[يعني للبدعة]، ثم بين[يعني النبي صلى الله عليه وسلم] أن في أمته المفترقين عن الجماعة من يُشرب تلك الأهواء، فدل أن فيهم من لا يُشربها، وإن كان من أهلها"([2])، وقد استدل الشاطبي على ذلك برجوع جماعة من الخوارج بعد حوارهم مع ابن عباس رضي الله عنه وغيرهم ممن رجع عن بدعته التي كان مناصراً لها، موضحاً أن هذا مما يبين أنهم كانوا ملبساً عليهم وليسوا أهل أهواء أي يعرفون الحق ويتبعون أهوائهم، وعليه بنى الشاطبي رحمه الله مسألةً أخرى وهي أن عودتهم للحق أمرٌ واردٌ سواءً في ذلك أهل الفرق أو أصحاب البدع الجزئية([3]).

وبعض هؤلاء الذين مرّ معنا شيء من الحديث عنهم في البحث أكبر شاهد، إذ ما الذي يدعو البرقعي أن يضحي بمنزلة كبيرة في مذهبه ويتحمل في سبيل ذلك الكثير، بل فصول حياته تشهد-والعلم عند الله- أنه كان صادقاً في نصرة الدين والملة منذ أن كان شيعياً إمامياً، وكشاهد آخر ما الذي يدعو العلامة خوئيني إلى التخلي عن طريق الزعامة ويؤثر الطريق الوعر وقلة المال وهجر الأقارب، كما أن إصرار السيد محمد حسين فضل الله على التصحيح داخل المذهب مع تحمله خطورة التهديدات، وصدّ الناس عنه بالتضليل والتسفيه والطعن بما يصل إلى العِرض شاهد على الصدق في قصد الحق-ولا نزكي على الله أحداً-،كما أن إقبال أحمد الكاتب وغيرهم ممن سبق الحديث عنهم في البحث على معارضة الخرافات والغلو شواهد لا يمكن تجوازها دونما وقوف على دلالات ذلك.

([1])رواه أحمد (١٠٢/٤) وأبو داود (٤٥٩٧) وابن ابي عاصم في السنة(٢/١ رقم ١) عن معاوية رضي الله عنه.وصححه الألباني.

([2]) الاعتصام ٧٨٣/٢

([3])الاعتصام٧٩٤/٢

إن ما سبق يعد من أكبر الشواهد على وجود صدق في طلب الحق لدى بعض من قد نعدّهم مخالفين، وهذا يحتم علينا أن نبدأ حوارنا معهم ومخاطبتهم من زاوية صدقهم وحبهم للحق، فإن الله تعالى أمر بالقول الحسن والمجادلة بالتي هي أحسن مع عموم الناس،ولم يستثن إلا الظالمين المعاندين للحق، فلزم أن لا نبدأ حوارنا أو بياننا لهؤلاء وأمثالهم بالقول الفض الذي يعزز نزعة الفرقة والتعصب للموروثات ما لم يتبن لنا أنهم معاندون.

السبب الثالث: حمل همّ الأمة والسعي الصادق إلى الوحدة الإسلامية.

من أحسن صفات المسلم أن يكون ممن يحمل همّ الأمة الإسلامية جمعاء، ويسعى في النصح الصادق لها، إذ أن هذا الشعور يقود إلى محاسن كثيرة، ويفتح أفاقا جليلة في طرق الدعوة وأساليب البيان، ويعرّف صاحبه بالأولويات والكليات التي ينبغي أن يوازن بينها، كما أن إقبال المسلم ولو كان من أهل الحق على شؤون طائفته فقط هو من أكبر أسباب ضعف المسلمين، وتعزيز الفرقة ونزعات الهوى حتى عند أهل الحق.

ومن خلال دراسة أحوال بعض الذين غيّروا قناعاتهم وأقبلوا على التصحيح سواء في أوساط أهل السنة والجماعة أو غيرها من الفرق؛ نجد أن الدافع لبعضهم هو شعورهم بالأسى والحزن على أحوال المسلمين وضعفهم، وتسلط أعدائهم عليهم، مما دفَعَهم إلى البحث عن الحل لهذه الأمة المكلومة المنكوبة، والتفتيش عن السبيل إلى الحل، وهو بطبيعة الحال مما يفتح آفاقَ المراجعة والتنقيب في أسباب تشرذم الأمة.

وقد ترجم البرقعي رحمه الله عن هذه الحالة بقوله" ومنذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين وذلّهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن

تجار الدين والمنتفعين به هم أكبر عثرة في طريق رقي المسلمين وتقدمهم..."إلى آخر ما قال(١).

كما أن لهجة السيد محمد حسين فضل الله واضحة في تبنيه لقضايا الأمة بصدق، وسعيه في فكرة الوحدة عمليّاً شيء مؤثر بلا ريب في توجهه الإمامي المعتدل.

كشاهد آخر فإن الياسري الذي تخلى عن الإمامة كان أعظم أمانيه قبل أن يغير قناعاته وحدة المسلمين(٢)، وهكذا الدكتور موسى الموسوي يذكر بأنه كان يتألم على واقع المسلمين بسبب الخلاف الطاحن بين السنة والشيعة(٣).

ومن أهم ما يجب أن نستفيده من هؤلاء جميعا أن تعزيز هذه الصفة المحمودة-أعني الاهتمام بأمر المسلمين- هي من أحسن الأمور لجمع كلمة الأمة، لأن وجود الألم المشترك، يقود إلى طلب الاتفاق الاعتقادي والثقافي، والبعد عن الغلو الخرافات والأخبار والتحليلات التاريخية المغلوطة التي لم تجمع، بل عززت الفرقة والأحقاد.

السبب الرابع: الحوار الناجح.

لقد أمر الإسلام بالحوار والجدال بالحسنى مع الغير حتى ولو كان كافراً، وذلك لما للقول الحسن من الدور الإيجابي في بيان الحق، قال تعالى: ((ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ))[النحل ١٢٥]، ولم يستثن منهم إلا المعاندين، قال تعالى: ((وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ))[العنكبوت ٤٦]

---

(١) كسر الصنم ٢٧

(٢) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ٥

(٣) انظر: الشيعة والتصحيح ٥

ولا شك بأن طوائف المسلمين أولى بأن يسلكوا مسلك الحوار والمجادلة بالقول الحسن لأنه أقرب الطرق إلى المفاهيم والوصول إلى الأرضية المشتركة.

وبالإساس فإن علاقة المسلم بالمسلم ينبغي أن تكون مبنية على أساس النصح الصادق، ومحبة الخير له، إذ ما من مسلم-وإن كان في تقييمنا متلبساً ببعض البدع- إلا وهو داخل في عموم حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الدين النصيحة ثلاثاً)) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))(١)، قال الخطابي: "النصيحة كلمة يُعَبّر بها عن جملة **هي إرادة الخير للمنصوح له**، قال: وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل: إذا خلّصته من الشمع"، وقال محمد بن نصر رحمه الله: "قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هو **عناية القلب للمنصوح له مَنْ كان**.." (٢).

والحوار القائم على أسس صحيحة في التعامل مع الطرف الآخر، المنضبط بالأدب، وتقديم الأولويات هو من أهم الأسس التي ينبغي أن يؤكد عليها هنا.

وقد رأينا مثالا حيّاً للحوار الناجح في قصة الياسري مع صاحبه محمد بن حجي كريم، حيث اتسم الحوار بالاحترام، والاحتفاء بالآخر، والانطلاق من الهم المشترك، والبدء بالأولويات "الاتفاق على مصدر التلقي-القرآن-"، وآتى اللقاء ثمراته، ولله الحمد.

والبعض قد يرى أن الخطاب والتعامل مع المخالف يجب أن لا يلين بأي حال من الأحوال، ولا يفرق بين كون المخالف شخصاً واحداً أو مائة مليون شخص، وينسى أن ابن عباس رضي الله عنه لما خرج ثمانية آلاف- وقيل أربعة آلاف- من المسلمين على جماعة المسلمين أرسله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليحاورهم، فجاءهم بحلة جميلة، وبين لهم الحق عبر حوار هادئ فرجع نصفهم(٣).

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٥) وابن حبان (٤٥٧٦).

(٢) جامع العلوم والحكم ٢١٩-٢٢٠

(٣) انظر مناظرة ابن عباس رضي الله عنه في جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/١٢٦-١٢٨(دار الفكر -بيروت-بون رقم ط ولا تاريخ)

السبب الخامس: أثر القدوة.

في كثيرٍ من الأحيان تكون التغيرات المحمودة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات حركة تتكامل شيئاً فشيئاً، فقد يعيش أحد المذاهب أو المجتمعات مرحلة يغطّيها سحاب كثيف من الجمود والانحرافات التي أصبحت تقليدا موروثا يصعب تخطيه، فيكون الناقد الأول صاحب الفضل في فتح باب الإصلاح لكثير ممن يأتي بعده.

وفي هذا البحث يجد القارئ الكريم أن البرقعي دُفع إلى التجديد من خلال آية الله الكاشاني، كما نجد محمد الخالصي قد تأثر بقوة والده، كما يلاحظ أيضاً أنّ الدكتور موسى الموسوي يستند بشكل كبير على بعض المواقف الجريئة لجدّه، ويرى بأن مشروعه امتداداً لإصلاحات جدّه، كما أن السيد محمد حسين فضل الله ومحبيه يسلّون أنفسهم بما لحق محسن الأمين العاملي من الاتهام بالزندقة(١)، كما يسلون أنفسهم بما لقي بعض المتأخرين من الاتهامات لمجرد اجتهادات(٢).

كما أن اتجاه المثقفين المتدينين الإيرانيين الذي كان له دور بارز في المحافظة على كثير من الشباب الإيراني من العلمنة والشيوعية والإلحاد هو في الحقيقة سلسلة متتالية، فالدكتور علي شريعتي رمز سابق في هذا التيار، واليوم تعيش الساحة الإمامية في إيران نماذج متعددة مشابه لشريعتي، ولعل الاتجاه الطلابي الرافض لكثير من الأدبيات الإمامية هو وليد لهذا التيار.

كل هذا يؤكد حقيقةً مهمة في فلسفة التحولات المحمودة في كل المذاهب، وهي أن الناقد الأول سيبقى رصيدا وينبوعا يغذّي ويروي عطش الناقد الثاني، وقد لا يكون الأول ممن حظي بنقد مسائل كبيرة أصلية، ولكن خطوته عظيمة في وقتها، فالأول له

---

(١) سبق بيان سبب اتهامه بالزندقة في هذا البحث ص ٢٩٤

(٢) انظر كتاب مرجعية المرحلة وغبار التغيير ٢٠-٢٣.

حَظوة السبق وفتح باب التصحيح، والتالي له حَظْوة التقدم في الإصلاح، و((وَكُلاً وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ))[الحديد ١٠]

السبب السادس: تسلّط أهل المذهب.

من الأسباب التي تدفع كثيراً من الناس إلى التحرر من ربقة التبعة والتقليد لمذهب أو تيار ما، تسلط بعض الرموز باسم ذلك المذهب أو التيار، فالإنسان جُبِل على حب الحرية والأنفة من الاستعباد، ولذا كان التسلط والاضطهاد باسم الدين من أكبر أسباب النفور والتحول.

ولعل تاريخ النصرانية الحديث أكبر شاهد على أحد أكبر التحولات الثقافية التي كان سببها واضح وهو التسلط باسم الدين، حيث ظهر المذهب العلماني(بقصد الانفلات من القيود الدينية الزائفة).

والأمر نفسه يتكرر في كثير من الأحيان على صعيد الأفراد، حين يجد بعضهم نفسه مقيدا بقيودٍ باطلة، أُلبست لَبُوس الدين، سواء كانت قيوداً ثقافية تمنع النظر واتخاذ الآراء المقبولة، أو كانت تسلطاً على الأموال والأنفس والبلدان يمنع زينة الحياة والدنيا التي جعلها الله مكفولة للإنسان.

ولعل مما جرّأ بعض المتحولين على الجهر بآرائهم والمناضلة من أجل نشرها، محاولة مصادَرةَ تفكيرهم، وسعي بعض المتسلطين باسم المذهب إلى التضييق عليهم، مما دفعهم إلى الصمود ورفع أصواتهم بالدعوة جهارا.

وكمثال واضح على ذلك، فإن محمد حسين فضل الله صرّح في أوائل الهجمة التي ثارت ضدّه بأنه يتعرض لمحاولة اغتيال معنوية–وهو اعتراف بشدّة الهجمة عليه–، وقد سعى جادّا لتهدئة الفتنة التي أثيرت عليه، ولكنّ المتسلطين وأصحاب الإرهاب الفكري ذهبوا قُدُما في تضليله وتكفيره، ونشطوا طمعاً في القضاء على مرجعيته، مما دفعه نحو بيان أفكاره وآراءه بشكل أوضح من ذي قبل، فكانت الفتنة خيراً لكثير ممن لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً، فأصبح أتباعه ومحبّوه أكثر، كما فاز بالقبول الإعلامي بشكل أعظم،

وكما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[1]

وأظن بأن الحملة التي قامت في وجه الدكتور موسى الموسوي كانت من أكبر الأسباب التي جرّأته على النقد أيضاً، وفي تجربة الأستاذ أحمد الكاتب نجد أنه لم يُرد الخروج من عباءة الإمامة أولاً، ولكنّ تجاهلهم لأفكاره، رفضهم لمناقشتها، ثم البدء بالهجوم عليه، جرّأه على النقد العلمي.

والدرس الذي ينبغي أن يَعرفه كل صاحب حق، **هو أن التسلط على الحريات المكفولة شرعا، وفرض القناعات ولو كانت صحيحة خطأٌ شرعاً وعقلاً**[2]، لأن الشرع لم يفرض على الناس أعظم الضرورات وهو الدخول في الدين، بل علّم المسلمين أن يسلكوا أحسنَ السبل لإقناع الناس به ، وجعل في الساحة الإسلامية رحابة تكفل لكل فرد دخله أن ينظر ويتأمل ويناقش.

وللأسف فإننا نجد في النافرين عن حياض أهل السنة والجماعة شريحة تشهد على أن بعض المنتسبين إلى الحق قد يخطئون عندما يسلكون سبيل الإقصاء وفرض الآراء، وعدم مناقشة المعترضين عليهم من أهل السنة فضلاً عن غيرهم، بل إعطاء جميع المخالفين لهم حُكماً واحداً في التعامل ولو كانت المخالفة في الآراء الفقيه، مما يولد تحولات لا يرتضيها إلا المتربّصون.

---

(١) قاله أبو تمام الطائي (٢٣١هـ). انظر:طبقات الشعراء ٢٨٣، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٧٧/٢ . تاريخ الأدب العربي لفروخ ٣٥١/٢ . تاريخ بغداد٢٤٨/٨. البداية والنهاية١٠/٢٩٩.

(٢) والحديث هنا لا يتعلق بالسلوك فإن كل مجتمع أو دين أو مذهب يضع ضوابط لا بد منها لحفظ المجتمع.

السبب السابع: البحث المتجرد.

ومن أسباب التحولات المحمودة؛ الإقبال على البحث والمطالعة المتجردة من التقليد في مسائل الاعتقاد، فقد بين البرقعي أن إقباله على البحث والمطالعة كان سبباً كبيراً في إرشاده إلى كثير من الآراء التي اقتنع بها أخيراً(١).

كما أن الأستاذ أحمد الكاتب استطاع من خلال البحث والاطلاع الوصول إلى نتائج لم يكن يظن أنه سيصل إليها يوما ما، وهكذا الياسري كما سبق، وهذا يؤكد أن فتح آفاق البحث والاطلاع في مجال الاعتقاد بالذات فتح باب البحث فيه يؤدي إلى نتائج محمودة ، لا سيّما وأنه باتفاق الجميع مما يحرم فيه التقليد، ، والله أعلم.

هذه أبرز الأسباب التي يمكن استخراجها من التحولات التي سبق إلقاء الضوء عليها في الباب السابق.

---

(١) راجع ص ٩٨

الفصل الثاني:
دراسة أساليب نقد المتحولين.

لماذا ندرس أساليب المتحولين؟

اختلفت أساليب المتحولين في نقدهم وتقريرهم لآرائهم، ولعل إلقاء الضوء على أنواع أساليبهم يكشف لنا جانبا مهما يثري التجربة الإسلامية في الحوار مع الآخرين، بحثا عن أحسن الأساليب وأقواها في الحوار والإقناع للتمسك بها، وأضعف الأساليب وأرداها لعدم تكرارها.

تقويم أساليب المتحولين النقدية:

أولاً: أسلوب أحمد الكسروي.

سبق أن عرضنا أفكار الكسروي، ومآخذه على المذهب الإمامي، كما بينا أهم الملاحظات العلمية عليه، وأما عن أسلوب الكسروي؛ فإنه تميز بطابع الثورة كما سبق، ولكن السؤال المهم: كيف استطاع الكسروي أن يؤثر على شريحة كبيرة من الشباب بهذا الأسلوب مع ما جمع من ملاحظات كبيرة؟

وقبل الإجابة يجب أن نستحضر الفترة الزمنية التي عاش فيها أحمد الكسروي وهي من سنة ١٢٦٧هـ حتى ١٣٢٤هـ، فقد شهدت إيران في هذه الفترة زيادة في النفوذ الغربي وبروزا لحركات جديدة هدامة كالشيخية والبهائية والكشفية، كما شهدت إيران بدايات الحركة التغريبية التي أخذ يدعو إليها ناصر الدين شاه(١٢٦٠هـ-١٣٠٨هـ) وهو أول حاكم إيراني يزور الدول الغربية، والذي اصطدم بمعارضة جمال الدين الأفغاني

الذي أرغم على مغادرة فارس، وأخيرا اغتيل ناصر الدين ثم سار على نهجه ابنه مظفر الدين[1].

وبلا شك فإن ظهور صوت الكسروي في هذه الفترة الحالكة مطالبا بالخروج عن قيود الغلو والخرافة التي كبلت عقول الناس في فترة سادت فيها الخرافة، سيلقى صدى في أوساط الجيل الجديد (الشباب)، كما أن كشف الكسروي عن مفاهيم تاريخية ودينية فرقت الأمة وهي مفاهيم غائبة أو مغيبة عن الناس سيلقى صدىً مهما كان.

والخلاصة هي أن الذي ساعد الكسروي في نشر أفكاره الفترة الزمنية الحالكة، والهجوم الثوري الذي استقطب الشباب الناقم على التيارات الدينية التي لم تُوجد حلاً، بل بين الكسروي لأولئك الشباب أن هذه المرجعيات من أسباب المعضلة الإسلامية.

كما أن الكسروي لم يستطع التأثير على قطاع التيارات العلمية الشيعية، وانحصر أثره في الشباب، لأنه ظهر بصورة الناقد الحاد من خارج المذهب، ثم إن خصومه من التيار الديني خدمتهم الأخطاء العلمية التي وقع فيها لاسيما نظرته القاتمة نحو جعفر الصادق رحمه الله -كما مر من قبل-، وهي نظرة سيخالفه فيها أهل السنة والشيعة جميعا، ولعل هذا هو السبب في تقلص نفوذ ثورة الكسروي وعدم استناد المتأخرين عليها، فقد غدا ينتقده الآن حتى المثقفين المطالبين بالإصلاح الديني، ولا يرضون بأن ينسبوا إليه.

والحكمة التي ينبغي أن يعرفها من يريد جَمْع كلمة المسلمين على الهدى والنور؛ **هي أن النقد العلمي المنصف أرسخ قدما لفترة أطول، وأعظم أثراً لشريحة أكبر، وأما النقد الثوري الغاضب المندفع فإنه يجمع الحانقين في لحظته فقط، ثم سرعان ما ينطفيء نوره.**

---

(١) انظر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١/ ٢٣٨-٣٢٩

ثانياً: أسلوب البرقعي

تميز أسلوب البرقعي رحمه الله تعالى بأنه كان علمياً بدرجة كبيرة، والسبب يرجع إلى ما يلي:

١. أنه كان ذا رتبة علمة.

٢. أن تحوله كان بنظر وتأمل.

وهذا ما جعل البرقعي يتجه إلى الأسلوب العلمي بعيدا عن كل أسلوب عاطفي أو غيره.

والملاحظ أن البرقعي رحمه الله أخذ ينتقد آراء أساسية في مذهب الإمامية باسم الإسلام، وليس باسم أهل السنة ولا غيرهم، لأنه صرح بأنه ترك المذهب، وأنه اقتنع بأن الإسلام هو في الأساس بعيدا عن كل الأسماء والألقاب.

كما أنه اعتمد بشكل كبير في مناقشاته على القرآن، والأسلوب العقلي، فهو يعتمد على الاستشهاد بالقرآن على القبول أو الرد بدرجة كبيرة، كما يعتمد على الأسئلة العقلية الاستفزازية، ولعل قصده أن يربأ القارئ بنفسه عن الدخول في دائرة هذا القول المنحرف، نحو قوله:

"إذن ما الفائدة من جمع هذه الروايات المخالفة للقرآن؟ ولماذا يسيئون إلى الأئمة ويظهرونهم بمظهر الجهل من جراء هذه الأخبار؟"(١).

كما أنه يتعمد التهكم من القول الضعيف المخالف للقرآن فيقول مثلا: "يبدوا أن الراوي أراد أن يظهر الإمام جاهلا بالقرآن"(٢).

---

(١) كسر الصنم ١٦٦. وانظرأيضا: ١٦٢، ١٣٣، ١٨٨

(٢) كسر الصنم ١٧٣

كما يعتمد البرقعي على الرد المنطقي أمام كثير من الخرافات، فيعلق على أحد أحاديث الكافي فيقول: "يقول الإمام وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة(١)..وإذا كان لرسول الله عالم كهذا لماذا لم يضعه في غزوة أحد وسائر غزواته كي لا يقتل المسلمون أو يصيبهم سهم؟"(٢).

كما يعتمد البرقعي بشكل كبير على رد الروايات بعرض بعضها على بعض وبيان تناقضها، فضلا عن تناقضها مع القرآن(٣)أو اللغة(٤)أو التاريخ(٥)، علاوة على أنه يبدأ تعليقه على الأحاديث بنقد رواتها ونقل تضعيف المجلسي في أغلب الأحيان.

والمقصود أن البرقعي تميز بنقد علمي واضح، وهو ما أعطى نقده وزنا أكبر.

ويبقى السؤال المهم: هل وُفّق البرقعي إلى الأسلوب الأمثل؟ أو أن اتخاذه أسلوب الصدمة والإثارة قلل من حظه؟

وقبل الإجابة يجب أن نستحضر ما مضى من انزعاج البرقعي من الخرافات التي غيبت عقول الناس في وقته، وما حصل له في مدينة آباده(٦)، وقصة الناقة التي دخلت صحن الرضا في خراسان(٧) من أكبر الشواهد على مدى سيطرة الخرافة على أذهان الناس. وهذا ما يجعلنا نعتبر طريقة البرقعي أسلوبا طبيعيا ومناسبا لإيقاظ العقول النائمة في ذلك الوقت.

---

(١) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني بأن الصادق قال: "وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله سلم إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة..". الكافي ١/٢٣٣.

(٢) كسر الصنم١٨٣- ١٨٤

(٣) انظر: كسر الصنم ١٨٥، ١٨٦، ٢٠١، ٢٣٦، ٣٢٥.

(٤) انظر: كسر الصنم ١٨٢

(٥) انظر: كسر الصنم ١٨٣، ١٨٤

(٦) راجع القصة ص ١١٩

(٧) راجع القصة ص ٢٠٠

وفي دليل على أثر أسلوبه فقد أخبرني أحد الذين حضروا درس التفسير للبرقعي عندما كان يقدّمه في مسجده في طهران قبيل الثورة الإيرانية أنّ طلابه كانوا زهاء المائتين، وهو عدد كبير لاسيما إذا لاحظنا أمرين مهمين:

أن الاعتناء بالتفسير وقتها لم يكن كبيراً في الوسط العلمي الإمامي في إيران(١).

أن البرقعي لا يربطه مع طلابه عطايا من الأخماس، لأنه كان قد رجع عن أخذ الخمس وأعاد ما عنده للناس قبل هذا بفترة طويلة.

وهذا كله مما يؤكد أن الطلاب الذين اختاروا البرقعي معلماً لهم يأتونه عن قناعة بما يطرحه فقط، والله أعلم.

ثالثاً: أسلوب الخالصي.

السياسة التي انتهجها الخالصي رحمه الله في نقده لبعض الانحرافات في المذهب الإمامي، تقوم على القناعة بأن المذهب الإمامي صحيح ولكن الغلاة هم الذين أفسدوه، ولكن الخالصي ارتكب خطأً علميا عندما ركز على أن الذين يدعون إلى القول بتحريف القرآن، وبالاستغاثة بغير الله تعالى والقول بأن الأئمة يتصرفون بالكون، هم محصورون في كلام الخالصي في صنفين: الأول: الرواة الغلاة كأبي الخطاب والمغيرة بن سعيد وغيرهم ممن سبقوا. والصنف الثاني: الفرقة المعاصرة المسماة بالشيخية.

ولعل هذا الحصر هو من أكبر المآخذ التي انتقده فيها المـلاح، لأن كثيراً مما أنكره الخالصي هو مما يقول به كثير من أعلام المذهب المتقدمين والمتأخرين.

والسؤال: لماذا اختار الخالصي أن يظهر المذهب في صورة البراءة من هذه المآخذ؟

والجواب إما أن يكون الخالصي أراد أن يطعن في هذه الأمور التي يعلم براءة الأئمة منها، من غير أن يدخل في صراع مع جميع الأطراف الأمامية، أو أن يكون الخالصي خشي من

---

(١) وهذا ما اعترف به آية الله العظمى الخامنئي كما سبق . انظر ص ١٧٤

أن يؤدي طعنه في كثير من رموز المذهب إلى التنفير من المذهب الذي يعتقده، فمارس نوعاً من التدليس لغرض يراه مشروعاً.والله أعلم.

رابعاً: أسلوب الخوئيني.

غلب على أسلوب إسماعيل آل إسحاق الخوئيني أسلوب المناقشة من خلال القرآن، فهو ينطلق من خلال آيات القرآن إلى كثير من آرائه، ولهذا ألف موسوعته القرآنية.
كما أن الخوئيني يقترب كثيرا من أسلوب البرقعي في النقد العلمي من حيث دراسة المتون والأسانيد، ولكنه لا يمارس أسلوب البرقعي في إثارة القارئ والتهكم من الأقوال الشاذة.
كما أن الخوئيني يتفق مع البرقعي في الهجوم بقوّة على كثير من الانحرافات التي دخلت المذهب باسم آل البيت، إلا أنه يدعوا إلى إلغاء كل المذاهب والرجوع إلى الإسلام فقط بلا مذاهب، وبلا ألقاب، ويركّز كثيرا على الدعوة إلى الوحدة الإسلامية التي ضاعت بسبب الانحرافات والمذاهب التي فرقت المسلمين.

خامساً: أسلوب موسى الموسوي.

يختلف الدكتور الموسوي رحمه الله عن سابقيه في الأسلوب لأنه تبنى نقد المذهب بأسلوب لا يميزه العلمية الدقيقة. ولا الإثارة والصدمة. ولكن يميزه تبني الدفاع عن التشيع الحقيقي، فهو يتحدث بلسان الأئمة وباسم التشيع الذي لعبت فيه أيادي أهل الأغراض والمنافع من الشيعة وغيرهم، ومن هنا فإن الموسوي أصبح مدافعاً ومهاجماً في آن واحد، يدافع عن الأئمة وعن التشيع الخالص من الغلو الانحرافات الشركية والسياسية التي أدخلت في المذهب، ومهاجماً لما يسميه البدع والتجاويف التي لحقت بالمذهب بعد عصر الأئمة.

كما أن الموسوي تميز بأنه حاول أن يطرح صيغة منسجمة بين موقف الأمة التي يسميها (الأكثرية)، وبين موقف الشيعة الأوائل الذين يسميهم (المعارضة) ، وذلك حينما ذكر بأن الشيعة الأوائل كانوا يطالبون بالعودة إلى مباديء عهد الخلفاء الراشدين العادلة.

وقد انتقد الموسوي بعض المناضلين الذين يريدون الإصلاح وهم كما يقول "لم يعرفوا وحتى هذا اليوم لغة التخاطب مع الشيعة في إيران، وغير إيران، وبذلك لم تستطع المعارضة تكوين رأي عام .."، وقد اعترض الموسوي على بعض من يحارب النظام الإيراني بحجة أن النظام الإيراني ضد الإسلام، والأجدر في تصور الموسوي أن يُبَيْن أن هذا ضد المبادئ الشيعية الأصيلة التي كان عليها الإمام علي رضي الله عنه وذريته([1])، لكن الملاحظة الواضحة هي أن الموسوي دخل في خصومات شخصية مع بعض رموز الإمامية المعاصرين لاسيما الممثلين للنظام الإيراني بعد الثورة، فأخذ يكتب في ذكر بعض ما يعتبره فضائح ومخازي ومن نظر في كتابه "الاستاذ الخميني في الميزان" يرى شيئاً كثيراً من هذا القبيل، فقد ملأه بما يعرف من تلك الفضائح. ولعل انتهاج الموسوي لهذا الأسلوب –في الفترة التي كان الشيعة يستنشقون نشوة الفرحة بتمكّن الشيعة وتصدير التشيع للعالم، كان من أكبر أسباب نفرة الجمهور الشيعي عن أفكار الموسوي، لا سيما وأن مجرد صدور الحكم بالكذب من قبل المراجع كفيل بإسقاط جميع طعونه، وبالتالي فقدان الموسوي مصداقيته لدى الجمهور–وهو ما وقع فعلاً–، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يكفي في تحويل المشكلة من كونها مشكلة فكرية عقدية إلى مشكلة شخصية. وفي نظري بأن هذا فخ وقع فيه الموسوي، فلو ترك الناقد هذه الطريقة، والتزم الجميع بالنقد الموضوعي–بعيداً عن الأشخاص–، لكان ذلك أكثر قبولاً وأحسن لإدارة حوار ناجح بدلا من خلط ذلك بالطعن في الذوات.

---

(١) انظر: يا شيعة العالم استيقظوا ٣٧

سادساً: أسلوب محمد حسين فضل الله.

بلا تردد أستطيع القول بأنه محمد حسين فضل الله يتميز بأنه استطاع أن يصحّح أمـــوراً مهمةً دون أن يخسر مكانته كمرجع إمامي له حضوره في الساحة الشيعية المعاصرة، بـــل الذي يراه الناس أنه يزداد شهرةً وكثرةً في الأتباع مع مرور الأيام.

ولعل مما يُلاحظ بشكل واضح في أسلوب محمد حسين فضل الله تجنبه المصادمة مع بقيـــة المراجع الإمامية، فمع أنه برز إعلامياً، إلا أنه لم يستخدم الإعـــلام للانتـــصار علـــيهم والاقتصاص منهم، وقد سألت محمد حسين فضل الله عن سبب هذا الاعتـــراض ذلـــك فأخبرني بأنه لم يرد أن تتحول الخصومة إلى خصومة شخصية([1]).

كما أنه لم يستخدم الإعلام لصالح كثير من الأفكار الأساسية التي ضُـــلّل بـــسببها، إذ لا نراه استخدم القنوات ولا الصحف والمجلات التي تتنافس في استـــضافته في طـــرح ردوده على مضلليه في مسألة الولاية التكوينية ومسألة الشفاعة ودعاء غـــير الله ونحوهـــا مـــن المسائل، وفي أقصى الأحوال يكتفي بإشارات عامة مثل أنه يحارب الخرافة والخرافيين، أو التخلف والمتخفين ، أو أنه ضد إثارة الأحقاد أو الفهم الخاطئ للتاريخ، ونحو ذلك فقط.

ولعل اتخاذ هذا الموقف الحذر مما يزعج بعض الأطراف من أهل السنة والشيعة، وذلـــك أن هذا الموقف يدعوا بعض أهل السنة إلى الريبة والتساؤل عن كون الخلاف بين فـــضل الله وخصومه حقيقي أو لا؟. وأما بعض الأطراف الشيعية المحاربين له، فإنها تشتد حنَقـــاً لأن إعراضه عنهم يكون على وزان:

يزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً.

كما أن مما يلاحظ على أسلوب محمد حسين فضل الله اللين في عبـــارات الإنكـــار ورد الأقوال، وهو أمر يُغضب بعض أهل السنة وبعض الشيعة أيضاً، وكما يقول عنـــه أحـــد الغاضبين عليه من الإمامية : " لم يسمِّ الأشياء بأسمائها... فهـــاجم التوســـل والـــشفاعة

---

(١) المرجع لقاء خاص يوم الأربعاء ٢٦/١/١٤٢٥هـــ.

وتنكر لها ونقضها دون أن ينعتها بالشرك، وطعن في المعجزة ونال من الكرامة ومن مقامات الأولياء[يقصد تصرف الأئمة بالكون]دون أن يسميها بالكفر والغلو... وهكذا"(١).

والحقيقة هي أننا يمكن أن نعتذر لمحمد حسين فضل الله بأنه يراعي تحقيق الإصلاح بأقل مفاسد عامة، لأنه لا يريد أن تتحول صراعات المسلمين إلى الداخل بقدر الإمكان،لأنها في نظره ستؤخر الإصلاح و ستمكّن العدو الخارجي وإذا صحت النية فهذا مما يسوغ فيه الاجتهاد، والله أعلم.

سابعاً: أسلوب الياسري.

اتخذ الياسري أسلوباً قريباً من أسلوب الموسوي، فهو يحاول أن يبين أن توحيد الأئمة يخلو من كثير من البدع التي يفعلها الغلاة. كما أنه يركز على أن مظاهر الغلو تخالف نهج الأئمة.

وقد اعتمد الياسري على القرآن بشكل كبير من أجل أن يميز الروايات التي يجب أن تقبل، كما أنه لما تحدث عن مسألة تحريف القرآن اتهم بعض أعلام المذهب بطريقة علمية موضوعية ومؤدبة، فهو يذكر كل عالم بلقبه ورتبته في المذهب.

ولشدّة اهتمام الياسري بالقرآن فقد ألّف كتاباً سماه "المنهاج"، لم يذكر فيه إلا العناوين والآيات فقط-عدا مواضع يسيرة-، وهي في نظر الياسري تكفي لجمع كلمة المسلمين على الاعتقاد الصحيح.

فالياسري باختصار اعتمد بشكل كبير على القرآن في الاستدلال على تمييز الصحيح من روايات الأئمة.

ثامنا: أحمد الكاتب.

من خلال ما مضى في فصل أحمد الكاتب يتبين أنه اتخذ أسلوب البحث العلمي في استخراج النتائج، وتظهر قوة المعلومات التي استخرجها في اعتماده على مصادر المذهب

---

(١) انظر فتنة فضل الله للصافي (سبق عنوان الكتاب على الأنترنت)

الإمامي والاهتمام بدلالة التاريخ بدرجة كبيرة، ومن النادر أن يستشهد بمصادر الحـــديث عند أهل السنة، كما أن مما يميز أسلوب الكاتب أنه تدرج في دراسة النظريـــة الإماميـــة، متتبعا تطورها وأقوال فتاوى علماء الإمامية في كل مرحلة.

والكاتب يكتب بنفس موضوعي، بمعنى أنه لم يجرح أحداً من علماء المذهب، ومن انتقده من الرواة أو الرجال المتقدمين فهو يحيل في نقده لمن سبقه في ذلك.

كما أن من أحسن ما يميز كتاب "التطور" للكاتب طول نفسه في بحث المسألة، وعلى سبيل المثال تناول قضية المهدي من نواحي متعددة، وفي كل ناحية منها يحاول تكميل كل جوانبها بحيث خرج البحث في صورة متكاملة.

والكاتب في بحوثه ومقالاته يلتزم الأدب حتى مع مخالفيه الذين يتعمدون إساءة الأدب معه، كما أنه يركز كثيراً على الأسلوب العقلي في بيان فساد القول.

ومع هذا لا يزال الكاتب يكتب ويتحدث من جهة كونه شيعياً ، وينتسب إلى الشيعة، ويرى بأنه يتبع المنهج الصحيح لآل البيت، إلا أنه لا يرضى بأن يقال له الإمامي أو الاثنى عشري، لعدم إيمانه بهذه النظرية.

الفصل الثالث:
التحولات العامة في صفوف الإمامية

نظرة على التحولات العامة.

سبق وأن ذكرنا بأن المذهب الإمامي أخذ في التطور حتى تكاملت عقيدة النص الإمامية، ثم أخذ يتطور من السلبية الاجتماعية والسياسية إلى الإيجابية شيئاً فشيئاً، ابتداء من فتوى إمكانية إقامة بعض الحدود مرورا بفتح باب الاجتهاد، حتى المرحلة المعاصرة التي ظهر فيها صِيَغ كثيرة للمشاركة السياسية.

ولعل الجانب السياسي سيبقى هو الدافع الأساسي إلى التطور-سلباً وإيجاباً- بمرور الوقت، لأن المتأمل يرى أن أساس المذهب نشأ من موقف سياسي، ثم دفعه إلى التطور التعامل الأموي السياسي، ثم إن موقف زيد بن علي كشف عن أحد النظريات السرية(١)، كما أن الدولة البويهية دفعت المذهب في مظاهر الأحزان والمآتم-من جهة-، والمواجهة مع أهل السنة-من جهة أخرى-، كما أن جميع النظريات السياسية دعى إلى فتحها الظروف السياسية، فنظرية النيابة العامة التي أسس لها الكركي دعا إليها وجود الدولة(الصفوية) التي كانت تطالب المراجع بالبحث عن صيغة تضفي عليها الشرعية، فقام الكركي باستخراج هذه الصيغة.

والمشاركة الجهادية التي قام بها الشيعة في ثورة العشرين بقيادة مراجع شرعية وجدت لها صيغة شرعية لم تكن موجودة قبل ذلك، أهمها الدافع الخارجي أعني سياسة المستعمر الأجنبي.

وإقامة الدولة التي يسوسها العالم (الولي الفقيه) وجَدَت لها صيغةً شرعية بشكل متدرج بعد أن كانت محرمة، وصلت إلى طورها الأخير على يد الخميني إلى الولاية المطلقة(٢).

---

(١) أعني ظهور نظرية البراءة إلى العلن. انظر ص ٥٦-٥٨

(٢) انظر ما سبق ص ٣٤٩

كما أن من أكبر أسباب بروز التيار الرافض لبعض النظريات الإمامية يعـود إلى عوامـل سياسية، حيث إن تراجع أحمد الكاتب مثلاً كان نتيجة لموقف سياسي، وموقف الطلبـة الذي كان أحد شعاراته "لا ولاية إلا لله" هو بسبب الاستبداد السياسي.

وحتى المرجعية النجفية العليا التي عارضت المشاركة السياسية آل أمرها إلى تـبني نظريـة سياسية تتيح المشاركة السياسية، هي نظرية قريبة من نظرية ولاية الأمة على نفسها([1]).

([1])وقد تولى طرح هذه النظرية آية الله محمد مهدي شمس الدين، ونظريته في الحقيقة تـستحق بأن توصف بأنها تحتوى على أفكار جديدة على النمط الإمامي كما يقول الناقـد المثقـف محـسن كديفر في كتابه نظريات الحكم في الفقه الشيعي.

ويكمن تلخيص هذه النظرية بما يلي:

١. لا يوجد في الشريعة أحكام ثابتة فيما يتعلق بشكل النظام السياسي.

بل إن الأحكام التي تتكفل بتنظيم العلاقات الاجتماعية المختلفـة، الاقتـصادية والـسياسية. والعلاقات الدولية، أحكام متغيرة ومرتبطة بالزمان، تتغير بتغير المصلحة الاجتماعية وينتهي مفعولها. وهي أحكام ناشئة من إرادة المجتمع في تنظيم أمور نفسه، وهي أحكام شرعية. ويطلـق في الفقـه على أحكام كهذه تعبير تبريرات، ويقولون: "إن التبريرات حتى إذا ذكرت في الفقه فإنّهـا ليـست بأحكام شرعية، وإنّ كثيراً من المسائل غير الفقهية تبحث في الفقه".

٢. دور الفقهاء في زمن الغيبة متعلق بالقضاء والإفتاء والإصلاح الدعوي، وكونه خبيراً فيما تحتاج فيه الدولة إلى تنقيح الحكم الشرعي.

فلم يثبت أي دور خاص للفقهاء في مجال السلطة السياسية أو الحاكمية، كما لم تثبت الولايـة العامة للفقهاء، ولا يعتبر الفقهاء نواب الإمام المعصوم في إدارة الأمور السياسية، ولا ولاية لفقيـه على الأمة.

٣. في زمن الغيبة تملك الأمة الولاية على مقدراتها في إطار الشريعة الإسلامية.

٤. لا أساس لفكرة الدولة الإسلامية العالمية في زمن الغيبة.

٥. لا يملك الفقهاء أي امتياز سياسي في زمن الغيبة، ولا ولاية شرعية لهم على إدارة الأمور السياسية.

٦. مسؤوليات الدولة الإسلامية تقوم على الشورى والانتخاب.

٧. تتحقق إسلامية الدولة بإسلامية القوانين وانسجام النظام مع الدين ومتابعة أهداف الدين.

ولا شك بأن هذه التطورات لها أثر كبير على جوانب أخرى في المذهب، إذ أن نظرية النيابة التي طبقها الكركي مع الدولة الصفوية قادت التشيع إلى مستوى من الطائفية والخرافة أخذ يتهرب منه كثير من المتأخرين(١)، كما أن الولاية المطلقة للولي جعلت بعض المنتسبين للإمامية يراجعون بعض جوانب المذهب(٢).

والأهم من هذا وذاك أن فشل النظرية على أرض الواقع سيؤدي إلى تحولات محمودة أخرى على مستوى أفراد الإمامية حيث بدأت تتعالى أصوات الرافضين لفكرة الولاية المطلقة(٣)، مما أدى إلى تحول آخر على مستوى القيادة الشرعية حيث صرّح آية الله العظمى الخامنئي بأن ولايته ليست مطلقة(٤).

هذه هي نظرية الفقيه اللبناني محمد مهدي شمس الدين، وهي نظرية تلقى رواجا كبيراً، لاسيما في ظل فشل نظرية ولاية الفقيه في تحقيق الرفاه والحريات للناس، كما أن مجموعة شيعية عراقية نسبت هذه النظرية إلى الخوئي برئاسة رجل الدين الشاعر العراقي الراحل الدكتور مصطفى جمال الدين مع السيد مجيد الخوئي والسيد محمد بحر العلوم وآخرين ، وقدمتها إلى الإدارة الأمريكية عام١٩٩١ باسم المرجعية الدينية الشيعية في العراق (وخصوصا المرجع الراحل الإمام السيد أبو القاسم الخوني).

انظر: كتاب نظريات الحكم في الفقه الشيعي لمحسن كديفر، ومقال سالم مشكور عن وثيقة بعنوان (شيعة العراق يؤمنون بـ"سيادة الشعب" لا بـ"ولاية الفقيه")- في صحيفة النهار اللبنانية/الاربعاء ٢٣/١٠/٢٠٠٢.

(١) ألّف الدكتور شريعتي كتابا سمّاه: "التشيع الصفوي والتشيع العلوي"، عارض فيه كثير من مظاهر الغلو والخرافة والطائفية في التيار الذي يعتبره امتدادا للفكر الصفوي المعاصر.

(٢) انظر تراجع أحمد الكاتب ص ٣٢٦، وتراجع صبحي الطفيلي في برنامج(بلا رقيب) على قناة nwetv يوم ٥/٨/١٤٢٤هـ.

(٣) انظر خطاب الطلبة في صحيفة الشرق الأوسط. مقال هدى الحسيني، بعنوان: (يرفضون خدعة الانقسام بين المتشددين والإصلاحيين).يوم ٢٦يونيو ٢٠٠٣م.

(٤) انظر صحيفة الحياة ١٨/١٢/٢٠٠٣م . مقال محمد نون بعنوان: (خامنئي: ولاية الفقيه لا تعني اطلاق يده بلا حسيب أو رقيب).

ومن أهم التحولات الهامة التي شهدها الساحة الإمامية في الربع الأخير من القرن المنصرم؛ هو أن الحوزة أصبحت بيد القادة في إيران، فبينما كان الشيعة يفخرون سابقا بأن الحوزة لم تكن تخضع لحكومة عبر التاريخ إذ بها تقاد من قبل تيار إمامي واحد وهو تيار ولاية الفقيه، والسؤال المهم هنا: ما أثر هذه الخطوة على التيار العلمي الإمامي؟

للإجابة على هذا نعود إلى تصريح آية الله العظمى حسين المنتظري-الذي أقيل بعد أن كان نائباً للخميني- حيث طالب فيه الحكومة بفصل المدارس الدينية عن الحكومية، موضحا أن العلماء الذين يعملون في هذه المدارس بأموال الحكومة ليس أمامهم إلا السير في خطها(١).

وهذا التصريح من المنتظري يبين أن السلطة قد وجهت تيار الحوزة العلمي إلى اتجاه واحد، وأقصت بعض التيارات العلمية التي تخالفها، ولا شك بأن التحكم في قيادة الحوزة وعطاياها سيؤثر كثيرا في الاتجاه العام.

ومن أهم النواحي في التحولات العامة، هو أن المذهب الإمامي مرشح لتحولات محمودة في مسألة القرآن، لأن الضغط الإسلامي الذي برز إعلاميا في رفض وتكفير من قال بتحريف القرآن، أوجد ثقافة عامة لدى قطاع كبير من العامة والمثقفين تؤيد عدم التحريف، ولا أعني أنهم تراجعوا، أو أنهم كانوا يعرفون بأن أعلام المذهب المتقدمين يقولون بالتحريف، بل أجزم بأن كثيرا منهم لم يكن يعلم بهذا القول أصلاً،كما أن عدم علم الياسري به -كما سبق- مما يؤكد ذلك ، وقد اخترت الاستدلال بهذه الشريحة حتى تنتفي شبهة التقية.

ولعل هذا التحول المحمود مما يجب أن يدركه أهل السنة، لأن الكثير لا يزالون يظنون أن جميع الإمامية المعاصرين يقولون بالتحريف، وهو ما يؤدي إلى قناعة ذلك القطاع

---

(١) انظر: خبر " منتظري ينتقد المؤسسة الحاكمة في طهران" في موقع الجزيرة http://www.aljazeera.net/news/asia/٢٠٠٣/٩/٩-١٨-١.htm

الإمامي الذي لا يقر بهذا المبدأ أصلاً، بأن المهاجمين من أهـــل الـــسنة لا يقـــصدون إلا الكذب والتشويش ومحاربة مذهب آل البيت، والنتيجة هي عـــدم الإصـــلاح وزيـــادة القطيعة والإيغال في الطائفية، وتعزيز القناعة لدى الآخر بأننا مفسدون لا مصلحون.

والواجب هو مراعاة العدل والإنصاف، وطرح الخطـــاب "التعميمـــي"، واســـتبداله بخطاب منصف ودقيق في الحكم على الناس، وهذا ما يتطلب قـــراءة واقعيـــة لفكـــر الآخرين، بدلا من الاعتماد المطلق على كلام المتقدمين.

الفصل الرابع:
موقف أهل السنة والجماعة من حركة التحول.

المبحث الأول: شهادة العلماء على المتحولين.

إن الله تعالى شرف هذه الأمة المحمدية بأن جعلها شاهدة على الناس قال تعالى: ((وكذلك جعلناكم أمة وسط لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً))[البقرة١٤٣]، وخواصّ الأمة هم العلماء فهم أحق الناس بأن يقوموا بهذا الواجب.

يقول ابن القيم: "والشاهد المقبول عند الله هوالذي يشهد بعلم وصدق، فيخبر بالحق مستنداً إلى علمه به، كما قال تعالى: ((إلا من شهد بالحق وهو يعلمون))[الزخرف٨٦].

فقد يخبر الإنسان بالحق اتفاقاً من غير علمه به، وقد يعلمه ولا يخبر به، فالشاهد المقبول عند الله هو الذي يخبر به عن علم.."(١).

وهذه الشهادة التي شرف الله بها أمة محمد تتناول ما هو مذموم ومحمود(٢)، فهم شهود على الناس يوم القيامة بأن رُسلهم قد بلغتهم حجة الله عليهم، كما أنهم شهود على أهل الدنيا في الدنيا على صلاحهم أو فسادهم كما في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مُرّ عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال: "وجبت"، مُرّ عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال"وجبت"، فقيل: يا رسول الله ما قولك وجبت؟، قال: "هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً، فقلت : وجبت لها الجنة. وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار. أنتم شهداء الله في الأرض"(٣).

---

(١) إعلام الموقعين٤/١٦٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ٨/٣٤٧

(٣) صحيح البخاري رقم ١٣٦٧،و صحيح مسلم ٢/٦٥٥-٦٥٦ رقم ٩٤٩

وقد ورد ما يدل على أن شهادة بعض العدول من العلماء لها حظ عند الله تعالى، كما في رواية أبي الأسود الدؤلي عن عمر : ((أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا: وثلاثة؟ قال: "وثلاثة". فقلنا: واثنين، قال: "واثنين" و لم نسأله عن الواحد.رواه البخاري([1]).

ونحوه ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الأدْنَين أنهم لا يعلمون عنه إلا خيرا، إلا قال اللّه جل وعلا: قد قبلت علمكم فيه وغفرت له ما لا يعلمون) رواه أحمد وابن حبان ([2]).

وقد نقل الحافظ عن الداوودي([3]) رحمه الله تعالى قوله: "المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلَهم، ولا مَن بينه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تقبل"([4]).

والذي ينبغي أن نخلص به من هذه المقدمة فيما يتعلق بموضوعنا: هو أن موقف العلماء من أحد المتحولين، قد يكون محمودا عند عامة أهل العدل والفضل، وإما أن يختلفوا فيه.

فإن كان الأول فيُرجى له من الخير في الدنيا والآخرة ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:"وجبت" وقوله:" انتم شهداء الله في الأرض"، وإن اختلف العدول فيه فيجب أن لا يهمل قول أحد في تقييمه، لأن الله وهو الحَكَم العدل قد أمضى شهادة الأربعة والثلاثة والاثنين كما في رواية أنس وأبي الأسود السابقة، **وأما العلماء الساكتون–في مسألة– فلا حجة في سكوتهم على أحد لأن الساكت لا حكم له**، والله أعلم.

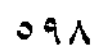
---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣٦٨

(٢)المسند ٢/٢٤٢. ابن حبان ٣٧٨/٧ وقال محقق صحيح ابن حبان(الأرنؤوط) صحيح بشواهده.

(٣)هو أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد الداوودي ولد ٣٧٤هـ وتوفي ٤٦٧هـ.انظر سير أعلام النبلاء١٨/٢٢٢-٢٢٦

(٤) نقله ابن حجر في الفتح ٢٧٣/٣



المبحث الثاني: المتحول بين التقية الحقيقة.

من النقاط التي تجعل الكثير من أهل السنة يستشكلون التعامل مع المنتسب إلى الطائفية الإمامية، قضية التقية، إذ أنها تؤثر في قبول أي تقرير له يخالف المتعارف عليه من مذهبهم، ولأهمية هذه النقطة في التعامل مع المتحولين أو التحولات العامة، لا بد أن نبين ما يلي:

أولا: وجوب قبول الظاهر.

الواجب في التعامل مع الناس قبول الظاهر منهم دون التنقيب عن بواطنهم، وهذه القاعدة قد دلّ عليها أدلة كثيرة من أبرزها:-

١. حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا لإله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله) متفق عليه(١).

٢. حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بعث علي بين أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفيه: (إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم).متفق عليه.

قال النووي رحمه الله: "معناه: أني أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر"(٢).

وقال البغوي رحمه الله : "إن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين، أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلاد المسلمين حكم بإسلامه"(٣).

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣٩٩. صحيح مسلم رقم ٢١

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٨/٧

(٣) شرح السنة ٧٠/١

وقال الشاطبي رحمه الله: "أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً أيضاً، فإن سيد البشر صلى الله عليه وسلم مع إعلامه بالوحي، يُجري الأمور على ظاهرها في المنافقين وغيرهم، وإن عَلِم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمُخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه"(١).

وعليه فإن المفترض في المسلم أن يقبل قول كل من أظهر الحق، ويحكم عليه ظاهرا بهذا، ويكل سريرته إلى الله تعالى، لأن الحكم بأنه يمارس التقية والحالة هذه يكون ظناً، والله تعالى يقول: ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) [الإسراء ٣٦]،والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)رواه البخاري ومسلم(٢).

وعلى القارئ الكريم أن يعلم أن ما ذُكر ضابطٌ في الحكم على الأفراد، وليس في الحكم على الفِرَق، لأن الفِرَق إنما يقرر قولها مؤسسوها وأعلامها في الجملة وليس العالم الواحد.

فمن قال من الخوارج بأنه لا يكفر صاحب الكبيرة قبلنا قوله في نفسه، وأما أن يقرر أن هذا هو مذهب الخوارج جميعاً، فهو غير مقبول.

ومن قال من الإمامية بأنه لا يقول بالعصمة مثلاً، فينبغي أن يقبل ذلك منه، ولا يقال له بأنك تكذب أو تتقي في هذه المسألة، ولكن إن قال بأن المذهب لا يقول بذلك، فينبغي أن لا يتهم بالكذب لاحتمال عدم العلم ، بل يعـرّف أولا بأقوال أعلام المذهب، فإن ظهر منه المراوغة فهو يمارس التقية.

ولعل هذا النهج أسلم للديانة في التعاطي مع أقوال الناس، من اللجوء إلى الاتهام المباشر بالتقية والكذب من دون دليل.

---

(١) الموافقات ٢/٢٧١

(٢) صحيح البخاري رقم ٦٠٦٤. صحيح مسلم رقم ٢٥٦٣

ثانيا: قبول الظاهر لا يعني عدم الحذر.

من المهم أن نفرق بين وجوب قبول الظاهر من الناس، وبين الحذر من الأطراف التي يُظن إبطانها غير ما تظهر، فإن الحذر ممن هو مظنة للريبة يعد من الحزم الذي دل عليه العمل النبوي، فمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتش عن بواطن المنافقين، إلا أنه لم يُعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولّى أحد المنافقين، كما أن أبا بكر الصديق لما أسلم كثيرٌ من المرتدين قَبِلَ منهم ذلك و لم يمنعهم من المشاركة في الجهاد، إلا أنه أمر رؤساء الأجناد في العراق والشام ألا يولّوا أحدهم(١).

وقد قال ابن حزم رحمه الله تعالى: "وأما سوء الظن فيعدّه قوم عيباً على الإطلاق، وليس كذلك، إلا إذا أدى صاحبه إلى ما لا يحل في الديانة، أو إلى ما يقبح في المعاملة، وإلا فهو حزم والحزم فضيلة"(٢).

لكن هذا الظن والحذر يجب أن لا يقود إلى ما هو محرّم ، كالغيبة أو إلقاء التهم علنا بناء على الظن، بل الأمر يشبه تماما ما إذا ظن رجل بأحدهم أنه لص لأمارة ظهرت عليه، فله أن يحذَرَه ولكن ليس له أن يطعن به في الظاهر.

ثالثا: المواقف والآراء التي لا تحتمل التقية (الكذب).

يتوقف بعض أهل السنة في حالات ومواقف هي والله أعلم مما لا تحتمل الحكم بالتقية، مثل أن يكون الرجل ممن له تراجع بيّن، أو يتبنى مواقف واضحة ويدافع عنها، وقد يدخل بسببها في صراع يعرفه القريب والبعيد مع أتباع المذهب، فلا معنى للقول بأن عمله تقية.

ومن هذا القبيل ما لقيه الدكتور موسى الموسوي رحمه الله تعالى، حيث كتب في نقد المذهب الإمامي بشكل واضح، ووزعت كتبه على نطاق عالمي، وألف في الرد عليه من قبل بعض الإمامية، ومع ذلك لقي اتهاماً بالتقية من بعض أهل السنة.

وقد يقول قائل هل في العلماء من تعامل مع بعض أقوال الإمامية بمثل هذه القاعدة؟

---

(١)انظر البداية والنهاية ٦/٣١٨

(٢) الأخلاق والسير ٣٤

وللإجابة على هذا نذكر موقف ابن حزم رحمه الله تعالى وهو من أشهر من ألف في الفرق، فقد سبق أن نقلنا استثناءه الشريفَ المرتضى وصاحباه من القول بتحريف القرآن من غلاة الإمامية في وقته، كما ذكر رحمه الله أنه أدرك فقيهين، هما: علي بن محمد بن الحسين بن القاسم ين إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، والثاني: محمد بن عبد الرحمن بن يحي بن محمد بن أحمد بن مروان بن سليمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان، الأول بأفريقيا وهو يصرح بتفضيل عثمان على علي بلا تقية، والثاني بقرطبة يصرح بتفضيل علي على عثمان بلا تقية([1]).

فنسبة ابن حزم هذه الأقوال إلى هؤلاء واعتبارها لا تحمل على التقية، لا بد أن تؤخذ على أنها كانت لأسباب واضحة وهي اشتهار هذا القول عنهم وردّه على المخالفين له ونحوها من الحالات التي لا تحتمل التقية والله أعلم.

رابعا: بعض المواقف لا تحتمل إلا التقية (الكذب) أو الجهل.

وعلى عكس الحالات التي لا تحتمل التقية، ثمة حالات لا يمكن حملها إلا على التقية أو الجهل، كأن ينكر الرجل نسبة أمور إلى المذهب، والحال أنها من المذهب بتصريح أعلام المذهب وأعلام مخالفيه، فإما أن يقال بأن هذا جاهل أو هو يمارس التقية والمراوغة.

---

(١) رسائل ابن حزم ١١٢/٢

المبحث الثالث: طُرق تعامل أهل السنة مع المتحولين.

فيما يلي سألقي الضوء على أبرز طرق علماء أهل السنة ورموزهم في التعامل مع أصحاب التحولات المحمودة، سواء كانت كلية أو جزئية.

ولن أتخذ أسلوب عرض مواقف جميع العلماء، لأن حصرها يكتنفه مشقة، كما أن كثيراً من علماء أهل السنة ليس لهم موقف واضح أصلا تجاه هذه القضية المهمة، **وإن كان سكوت بعضهم يشكل في النهاية موقفا لتيار موجود.**

الموقف الأول: موقف الساكتين.

وهذا الموقف هو الذي يمثل موقف التيار الصامت عن جميع المتحولين، بحيث لا تجد أي لون من التأييد أو المعارضة، أو التقويم أو شيئاً من هذا القبيل.

وأسباب هذا الموقف تعود إلى أحد الأسباب الآتية:

١. الشك المطلق في كل ما يصدر عن أي إمامي بأنه تقية.

٢. القناعة بأن جميع علماء الإمامية لا يمكن أن يرجعوا عن الخرافات و الغلو.

٣. الموقف الحذر من الثناء أو الإقرار بأي مزية لأي مخالف ولو تراجع عن كثير من البدع، وإن جاهد في سبيل ذلك ما دام متلبساً ببعض الانحرافات.

وبالجملة فإن هذا الموقف إن لم يكن عن عدم علم بالمتحولين فإنه مبني على أساس قناعات يغلب عيها الحذر في التعامل مع المبتدع.

ويمكن أن نجد العذر لسكوت كثير من أهل هذا الفريق عن التحولات المحمودة عندما يكون الساكت منشغلاً بأعمال لا تعلق لها بالتعاطي مع الشيعة كالفتوى والتعليم وغيرها من المصالح إلا أن هذا لا يعني عذر الكل في التقصير في التعامل مع هذه الظاهرة.

الموقف الثاني: الموقف الإيجابي.

وأعني بالإيجابية هنا عدم الإعراض عن المتحولين، بل النظر في تراجعاتهم ونقدها بالسلب أو الإيجاب، وهو ما يعني إيجابية في تقدير أهمية هؤلاء وأثرهم في الأمة، في مقابل الموقف السلبي غير المتفاعل.

وقد اختلف أصحاب هذا التوجه في نظرتهم وتقييمهم للمتحولين، وبطبيعة الحال فإن الخلاف سيبرز في تقييم أصحاب التراجعات المحمودة الجزئية، لما جمعوه من موجبات المدح والقدح، وأما التحولات الكلية فلا أظن بأن أحداً يعرف عنها إلا ويتقبلها.

و فيما يلي صورتين للتعامل مع أحد المتحولين الذين شملهم البحث، وهو آية الله محمد الخالصي، حيث عاش في زمنه اثنان من أهل السنة في العراق، هما: محمود الملاح([1]) ، وعبد العزيز البدري([2])، وقد اختلفت طريقة كل واحد منهما في تقييم

---

(١) هو محمود الملاح، أديب وشاعر عراقي، من أهل السنة في الموصل، درس المذهب الحنفي، وتعلم على أيدي بعض المشايخ في الطرق الصوفية-كما يصرح-، وقد مال بعد ذلك عن التصوف، واختار ترك التعصب والتقليد، وقد كانت له ميول قومية ولكنه أراد أن يجعلها منضبطة بأربعة خطوط أساسية هي التاريخ والأدب والتفسير والحديث، توفي في أواخر الخمسينيات. المراجع: مقدمة الآراء الصريحة ٩-١٠. ولقاء خاص بمحمد الآلوسي وتوفيق البدري٢٨/١١/١٤٢٤.

(٢) هوالشيخ عبد العزيز البدري من أسرة سامرائية يعود نسبها إلى آل البيت، ولد سنة ١٩٣٢م، وكان والده من العلماء، وقد اختار التوجه لطلب العلم بنفسه في فترة قل فيها هذا التوجه لدى شبان أهل السنة في العراق، وتعلم على أبرز علماء العراق وهم: أمجد الزهاوي الحنفي، وفؤاد الآلوسي، وعبد القادر الخطيب، والقزلشي الكردي، وقاسم القيسي وغيرهم، وقد منحه هؤلاء الاجازة العلمية في أوئل الخمسين أي بعد أن جاوز العشرين، عرف عنه حرقته عنى الإسلام، وزهده وشجاعته في الحق، وقد انضم إلى حزب التحرير وعين رئيسا له في العراق، ولكنه اصطدم معهم لما طلب الاهتمام بالنواحي العبادية والشرعية لدى أفراده، ثم أسس تكتل سياسي ساهم في إسقاط الشيوعيين، ونتيجة لجهوده فقد أعدمه البعثيون عام ١٩٦٩م. انظر: (كتاب الشيخ عبد العزيز البدري لمحة من السيرة الذاتية الجهادية/تأليف: محمد الآلوسي).

الخالصي، وفي أسلوب التعامل مع شخصيته، ولعل هذين النموذجين يمثلان مدرستين في التعامل مع أهل التحولات الجزئية، ولذا سأكتفي بعرض هذين النموذجين لأنبه بهما على أمثالهما.

وأرجو أن لا يملّ القارئ الكريم من طول النفس في التقييم الآتي، لأن تمحيص الموقف الصحيح ينبغي أن لا يكون عابراً، كما أن التفصيل عادة ما يخرج نتائج مهمة في مثل هذه الموضوعات.

أولاً : طريقة الملاح في تقييم الخالصي.

فترة الملاح

عاصر الملاح فترة عصيبة في تاريخ المسلمين، فقد شهدت هذه الفترة خروج حركات هدامة كالقاديانية والبهائية ونحوها، كما غزا العالم كثير من التيارات المنحرفة كالشيوعية واللادينية والعلمانية وغيرها، وأعظم من هذا فقد تصدر كثير من المفكرين الذين شككوا في صلاحية الإسلام لهذا العصر ، فأخذوا يدعون إلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية ، وقد تألم لهذه الحالة كثير من أبناء الأمة، فأخذ كل واحد يتلمس الخلل ويسعى في توصيف العلاج، وهو ما يبرر خروج كثير من التيارات المختلفة في نظرتها لماهية الخلل وطريق العلاج.

والملاح رحمه الله تعالى كان من هؤلاء الذين أدركوا شدّة الهجمة على الإسلام من كل ناحية، فكان يؤلمه الهزيمة الداخلية أكثر من الهزيمة الخارجية، وهذا ما يبرر استنفار الملاح لما يسمّيه النضال عن الإسلام في كل مجال-كما سيأتي-، ومن الواضح أن الملاح قد اقتحم باب الإصلاح بقوة وشجاعة، ولكن هل نجح الملاح في ذلك؟

قبل أن نجيب على هذا يجب أن نؤكد على أمر مهم، هو: أن نقد موقف الملاح يجب أن يخضع للموضوعية العلمية وفق منهج أهل السنة والجماعة، وليس بناء على العصبية لكونه من أهل السنة، كما أن الإشارة إلى تخطئة أسلوبه أو بعض أفكاره، لا يعني الحديث عن ذاته، لأن الرجل قد يدافع عن الدين وهو صالح تقي، كما أنه قد ينفع الله هذا الدين

بالفاجر الشقي، ولهذا لن نتحدث عما يثار من قبل بعض محبيه أو مخالفيه تجاه مـــا يتعلـــق بذاته(١).

هدف الملاح:

صرح الملاح بأن هدفه النضال في عدّة جبهات دفاعاً عن الإسلام الذي تكالب عليـــه أعداؤه، ويقول: "ليس دفاعي محصوراً في بقعة معينة.. بل دفاع عام عـــن مـــصلحة الإسلام في أي بقعة"(٢).

وقد بيّن الملاح أنه يسعى إلى الوحدة بين المسلمين(٣)، وأنـــه يـــسعى إلى تـــصفية الأجواء بين السنة والشيعة(٤).

عن ماذا يدافع الملاح!

أهم المبادىء التي دافع عنها الملاح، ما يلي:

١. الردُّ على كثير من المزاعم التي تريد تشويه التاريخ الاسلامي ورجاله(٥).

٢. فضح كثير من التيارات المنحرفة كالقاديانية، والإسماعيلية، والبهائية(٦).

٣. السعي في كشف المخططات التي ترمي إلى تلميـــع بعـــض الفتـــرات التاريخيـــة السوداء، مثل فترة الحكم الفاطمي(٧).

---

(١) وجدت بعض المعارضين لطريقة الملاح من أهل السنة يتناقلون أشياء من هـــذا القبيـــل، كقولهم بأنه كان ضعيف العبادة ونحوه، ولعلَّ هذا مما لا يعتد به في نقد الأفكار والمناهج.والله أعلم

(٢) المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة٢/٢٩٢).

(٣) الوحدة الاسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة٢/ ٣١٠-٣١١، ٣١٥).

(٤) الرزيّة في القصيدة الأزرية(ضمن مجموع السنة١/١٤٣).

(٥) انظر كتاب تاريخنا القومي. (ضمن مجموع السنة/ج١)

(٦) انظر: مجموع السنة ١/٢٩٢، ٢/١٢٨، ٢٧٤، ٢٧٨

(٧) الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد (مجموع السنة ٢/٣١٧)

٤ . محاولة إسقاط الخالصي بالذات-كما سيأتي-.

أبرز ملامح الملاح النقدية

من أبرز ما اتسم به نقد الملاح للفرق الأخرى، ما يلي:

١ . يختار الملاح ما يسميه منهج التعبئة والبت والبتر مع الشيعة(١).

فهو يرى بأن الأجدى بأهل السنة أن يسلكوا منهج التعبئة ضد الشيعة وغيرهم من الفرق(٢)، بحيث ينتقد الملاح أي لون من ألوان اللين مع الخصم، أو الإقرار بشيء من الأدلة التي عندهم، بل يتبنى إسقاطهم جملة وتفصيلاً.

ويذكر الملاح أن مثله الأعلى في هذا المقام هو ابن حزم رحمه الله تعالى فهو يصفه بأنه "مجدد بحق" وأنه "أول من أخذ بالحزم في الرد على المبطلين"(٣).

ويبالغ الملاح في منهج التعبئة حتى أنه طعن في عمر بن العزيز رحمه الله بأنه كان "حجراً رخواً في صرح الدولة الأمويةً"(٤)، لأن العدل –في نظره-لا ينفع مع المصريّن على عقائدهم.

كما أنه يصف صاحب "كتاب التحفة الاثنى عشرية"ولي الدين الدهلوي بأنه من "المتميعين" الذين يصفهم بأهم أصحاب "نزعة عجائزية هرمة"(٥)، وينعتهم بـ"ملتمسي البركات"(٦) ويعني بهم الذين يلطفون عباراتهم مع خصومهم، ويذكرون أدلتهم ويحاولون إقناعهم من الحق بأسلوب لين.

---

(١)الاراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٣٣٣).

(٢) تاريخنا القومي (ضمن مجموع السنة١/٣٣٤).

(٣) الآراء الصريحة ٧٤(ضمن مجموع السنة٢/٧٤).

(٤) وإن كان الملاح يقول بأن رأيه هذا لا يخرجه من كونه أعجوبة من أعاجيب بني أمية.الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٩٤-٩٥).

(٥) الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٧٤-٧٥).

(٦) المرجع السابق ٦٥، ٢/٧٤

٢. ترك الموضوعية مع الخصم.

يدعو الملاح إلى مبدأ غريب في الحوار مع المخالف، حيث يرى عدم الاعتراف بأي دليل يكون للخصم فيه تعلق أو طرف من حجة(١)، فأحاديث الفضائل التي يتعلق بها الشيعة هي في نظره "أحاديث مائعة"(٢)، ويذكر بأن ما يُروى عن الشافعي من الأبيات التي يقول فيها "إن كان حب محمد .."(٣) هو من الشعر المائع، ويعيب على الدهلوي إيرادَه لها في كتابه، كل هذا بحجة"تضييق الدائرة على الخصم"(٤).

ويعيب الملاح كثيراً من أهل السنة الذين رووا أحاديث الفضائل كحديث المنزلة والمباهلة لأنها في نظره "أحاديث مائعة" فتحت باب التفضيل ثم الطعن والغلو عند الشيعة(٥).

ومن صور عدم الموضوعية في نقد الملاح؛ أنه لما ذكر تراجع الخالصي عن الشهادة الثالثة في الأذان، لم يثن عليه فيها، بل لجأ إلى تعييره بأبيه، حيث قال: "مع أن أباه لم يدرك فسادها، بل مات عليها كما ولد عليها"(٦).

٣. تقديس التاريخ.

من الواضح أن الملاح يعتز بتاريخ الإسلام اعتزازا كبيرا؛ يصل إلى درجة الشطط والإفراط، فهو يرى بأن التاريخ الإسلامي هو القومية التي يجب الدفاع عنها.

---

(١) المرجع السابق ٢/٧٠

(٢) المرجع السابق ٢/٦٣، ٧٠

(٣) الإشارة إلى الأبيات التي تروى عن الشافعي رحمه الله وهي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى	واهتف بقاعد خيفنا والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى	فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد	فليشهد الثقلان أني رافضي

انظر: مناقب الشافعي للبيهقي٢/٧١، ومناقب الشافعي للرازي ٥١

(٤) المرجع السابق٢/٦٢.

(٥) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٥٤، ١٥٦. ٢/٧٢-٧٣)

٦) الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/١٣١).

ويؤسس الملاح لفكرة مفادها: أن للتاريخ محكمة عرفية لا شرعية، وأن السياسة اعتزلت الدين منذ قُتل عثمان، وإنْ ظلت حامية لحوزة الإسلام(١)، ولهذا نجده لا يحاكم أعمال الخلفاء من جهة شرعية بل من جهة القوة السياسية بالدرجة الأولى، وهذا ما يبرر طعنه السابق في عمر بن عبد العزيز، وأعظم منها أنه طعن في علي بن أبي طالب بأن سياسته لم تنجح(٢).

ومما يدل على إفراط الملاح في تقديس التاريخ أنه يعتبر التاريخ الأموي صفحة ناصعة يجب أن لا يمسّ بشيء من التجريح، بل ذكر أن الذي أثاره على الخالصي هو أن الخالصي بدأ يدعو إلى الوحدة ثم أخذ يطعن في الأمويين، وهو أمر ينافي الوحدة في نظر الملاح(٣).

ويصل تقديس الملاح للتاريخ الأموي إلى درجة يعتذر فيها حتى عن الأخطاء الواضحة ، مثل اعتذاره عن قتل معاوية لحجر بن عدي (٤)، حيث قال:والظاهر أن حجراً جاء بما لا تحتمله السياسة ولا تغفره(٥).

ويجتهد في الدفاع عن يزيد بن معاوية، ويصف طَعْن إلكيا الهراسي(٦) في يزيد بأنه "عربدة"(٧)، كما وصف جواب أبي حامد الغزالي عن سؤال وجّه إليه عن حكم

---

(١) الوحدة الاسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة٢/٣٩٢)

(٢) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٥٧)

(٣)الاراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٣٣٠، ٣٨٤).

(٤) انظر ما سبق ص ٤٩٢

(٥) الرزية(ضمن مجموع السنة١/١٣٨).

(٦) إلكيا الهراسي: هو شمس الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الجويني، فقيه شافعي، مفسر، من أجل تلاميذ ابي المعالي الجويني، اهّم بالباطنية لتوافق اسمه مع ابن الصباح الإسماعيلي وكادوا أن يقتلوه حتى شهد جماعة ببراءته. توفي سنة٥٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٥٠-٣٥١. المنتظم ٩/١٦٧. طبقات الشافعية للسبكي٧/٢٣١-٢٣٤. شذرات الذهب٤/٨-١٠

(٧) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٤٤).

لعن يزيد بأنه "لم يخلو من عربدة" والسبب هو أن الغزالي أشار إلى بعض أقوال أهل السنة الذين يرون الطعن في يزيد، هذا مع أن الغزالي انتهى في الجواب إلى القول بأن لعن يزيد من الفسق وأن الترحم عليه مستحب(١).

ومما يؤكد هذه الترعة المفرطة لدى الملاح؛ أنه في مقابل دفاعه عن الأمويين يطعن في علي بن أبي طالب بأن بيعة أبي بكر رضي الله عنه جعلته يحقد على أبي بكر، وأن تولية عمر رضي الله عنه زادته وغرا(٢).

كل هذا مما يؤكد أن الملاّح يميل إلى نظرة عنصرية للتاريخ(٣)، وهي رؤية خاطئة بلا شك، لأن التاريخ الإسلامي محكوم وليس بحاكم، فما كان فيه من معالم عزة افتخرنا به ودافعنا عنه، وما كان فيه من أخطاء أقررنا بها، وحدّثنا بها للعبرة، وليس في التاريخ من هو أكرم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا سطّر الله في عتابه آيات تتلى إلى قيام الساعة.

٤. الإكثار من الألفاظ اللاذعة الاستفزازية.

يكثر الملاح غفر الله له من الألفاظ الّلاذعة عندما يخاطب من يخالفه، كما يستعمل الأسلوب الاستفزازي بصورة كبيرة جدّا،ولعل كونه كاتباً صحفياً قد أثر عليه كثيراً.

---

(١)الرزية (ضمن مجموع السنة١/ص١٤٥).

(٢) انظر مجموع السنة ١/ص١٧٥، ١٧٧

(٣)اتهم الشيخ محمد بن فؤاد الألوسي والشيخ توفيق البدري -وهما من المعاصرين للملاح- اتهما محمودَ الملاح بأنه له ميول قومية، وهذه التهمة إن كانت صحيحة فإن لها حضاً كبيراً في أفكاره (المرجع: لقاء خاص -يوم الثلاثاء- ١٤٢٤/١١/٢٨). إلا أن الذي بدا لي من خلال قراءة ما كتبه الملاح أن له ميول دينية لا موضوعية ومعها ميول قومية عربية، ويؤكد ذلك أنه انتقد الدعوة القومية والتعصب المقيت للقومية في مواضع من مقالاته. كما أنه صرّح بمنهجه في هذه الناحية حين قال: " نعم! أنا تعصبت للقومية الإسلامية الصحيحة وتاريخها وفي ضمنها القومية العربية الصحيحة وتاريخها السالم، وإنما قيدت بالسلامة والصحة لعلمي بأن الاستغلال والتظاهر أساءا إلى تينك القوميتين.."، انظر: مجموع السنة٢/١٠، ٢٤٤، ٢٧٠

ومن الأمثلة على ذلك تسميته للمخالف له بـ"الحلزوني"(١)، وتارة أو"المدموغ"(٢)، أو "سماحة الخفيف الحركة"(٣)، ونحوها من الألفاظ التي يظن بعض المتحمسين للرد بأنها مما يسوغ في مجال الرد على المخالف، وليس هذا بصواب لأن العلماء ذمّوا الإساءة إلى الخصم أياً كان لاسيما في مقام الرد والمناظرة(٤).

٥. يرى الملاح أن الحوار مع الخالصي أو غيره من الشيعة لا يجدي، بل يقول بأن الوصول معهم إلى نتيجة"من رابع المستحيلات"(٥).

ومع أن الملاح يذكر بأنه يسعى إلى الوحدة، إلا أنه يسمى نقاط الالتقاء بـ"الموائع المشتركة"(٦)، وهو أمر يزيد المتأمل عجبا من أسلوب الملاح.

هذي هي أبرز ملامح نقد الملاح، وهي باختصار تعبر عن شخصية متحمسة للدفاع عن الحق الذي يراه بكل شجاعة، ***ولكن*** بنوع من الإجحاف تارة، وبشطط وتصورات خاطئة تارة أخرى، وبشيء من الأساليب التي لا تليق في مواضع كثيرة، و لم أقصد إسقاط كل جهود الملاح، بل قصدتُ الإطالة والتفصيل في توضيح منهج الملاح النقدي من أجل أن بعض أهل السنة اعتمدوا على مجرد نقده وتقييمه للخالصي، وزاد من قبوله أنه يدافع باسم السنة، وأن المطعون فيه إمامي.

غير أن ضوابط الجرح والتعديل عند أئمة أهل السنة تقتضي عدم قبول طعن المتعنت وكذلك عكسه المتساهل في الجرح مباشرة، خلافا لمن عرف عنه الاعتدال في ذلك فإنهم أولى بهذا الشأن(٧).

---

١) الاراء الصريحة ٢/١١٦

٢) الاراء الصريحة ٢/١٢٢

٣) الرزية ١٣١

(٤) انظر: كتاب منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد٢/٧٦٩-٧٧١

(٥) تاريخنا القومي (ضمن مجموع السنة١/٣٣٣).

(٦) مجموع السنة ٢/٩٨

(٧)انظر: ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي٢/٧٩٧-٧٣٥

رأي الملاح في الخالصي.

نظرة الملاح للخالصي هي نظرة سوداء بكل ما تعني الكلمة، فهو في نظره نموذج الكذب[1]، ويسميه "دجال مدينة الجهل"[2]، و "إمام الغلاة حقيقة"[3]، ويصفه بأنه يغيّر اجتهاده كلما عبر من رصيف إلى رصيف[4]، وأنه الممثل للشيعة الإمامية في العراق[5]، ويذكر بأن غرض الخالصي من إقامة الجمعة هو التشدق والشتم[6]والتفريق بين المسلمين[7].

ومن أعجب التهم التي وجهها الملاح إلى الخالصي: أنه يفتري على الشيخية[8]، وأعجب من ذلك أنه اتهم الخالصي بأنه جاء إلى العراق ليحارب الشيوعية، فأصبح يحارب الإسلام، وأعجب من هذا كله أن الملاح يعد من نقائص الخالصي كونه سبّباً لانقسام الشيعة في العراق!![9]، والعجيب أن بعض أهل السنة ينقلون هذا على أنه مما يطعن به في الخالصي[10]، مع أن الانقسام كان بسبب تصحيح بعض الأخطاء، وهو مما يمدح به ولا يذم أبداً.

---

(١)الاراء الصريحة ٢/١٣١

(٢) مجموع السنة٢/٢٨٢

(٣) المرجع السابق ١/٣٨٦

(٤) المرجع السابق٢/١٣٢

(٥) انظر: مجموع السنة ١/٢٦٧

(٦) المرجع السابق٢/٢٤٨

(٧) المرجع السابق١/١٢٦

٨) المرجع السابق٢/٢٣٤

(٩) الرزية ١/١٢٦، وحجة الخالصي ٥

(١٠) انظر: مسألة التقريب بين السنة والشيعة٢/٢٠٩

هكذا قيّم الملاحُ الخالصيَ بتقييم يبين أن الخالصي لم يصنع إلا الحرب على الإسلام، والكذب.. ويبقى السؤال: لو سلمنا بكل ما يقول الملاح، فعلى أي أساس جاهد الخالصي الانجليز؟ ولماذا نُفي هو ولم ينف الملاّح من العراق؟ ولماذا عاش حياة النفي في إيران وهو إمام الغلاة؟ ولماذا حاربَه كثير من الإمامية، وسعوا في إسقاطه وهو الممثل للمذهب؟.

وأرى قبل الإجابة على هذه الأسئلة أن نعرض نموذجاً آخر في التعامل مع شخصية الخالصي، وهي طريقة الشيخ العلامة عبد العزيز البدري رحمه الله تعالى.

ثانيا: طريقة البدري في تقييم الخالصي.

يُعد الشيخ عبد العزيز البدري من أبرز أعلام أهل السنة والجماعة في العراق في القرن الماضي، وهو من أبرز علماء أهل السنة المناضلين في وجه الخطر اللاديني الشيوعي، ولم يقتصر البدري على مشاركته هو فقط، بل ساهم في دفع كثير من شيوخه إلى ساحة العمل مثل الزهاوي وفؤاد الألوسي وغيرهما.

وقد كان البدري يحظى باحترام بالغ من قبل كثير من أهل السنة، بل وكثير من الشيعة، بسبب تضحياته ودفاعه الواضح عن الإسلام.

واتصف البدري بالصراحة والوضوح، فقد كان كثيراً ما يدعى إلى مناسبات الشيعة، فيذهب ويتحدث لهم عن نظرة أهل السنة للصحابة رضوان الله عليهم، ويبيّن لهم ما يعتقد بكل وضوح وأدب(١).

كما أن مما يميز البدري أنه كان صادقاً-فيما نحسبه والله حسيبه- و متجرداً لنصرة الدين، وأكبر شاهد على هذا أنه لما اختلف مع حزب التحرير وقرّر تركهم، لم يهاجمهم أو يتكلم عليهم، ومع أنه صدر من بعضهم الإساءة في حقه إلا أنه تركهم من غير أن

---

(١) وقد أخبرني أخوه الشيخ توفيق البدري ومحمد الآلوسي أنهما حضرا معه كثير من هذه المجالس.(المرجع: لقاء خاص).

يشعر أحداً إلا بعض خاصته، بل اعتُقل مراراً على أنه منهم ومع ذلك لم يذكرهم في تحقيق السلطات معه عنهم إلا خيراً حتى لا يستغل كلامه في إيقاع الأذية بهم[1].

وقبل أن نتحدث عن تجربة البدري يجب أن نستحضر أن الفترة التي عاش فيها البدري "عمره الإنتاجي" هي من الخمسينيات الميلادية حتى سنة مقتله ١٩٦٩م، وقد شهدت هذه ثم زيادة التضييق على الحريات في عهد نوري السعيد مما أدى إلى سقوط الدولة الملكية، كما أن من سمات نشاط الحركة الشيوعية، واضمحلال الروح الإسلامية لدى الناس وصعود القومية العربية[2].

أهداف البدري.

يمكن إجمال أهداف البدري الكبرى رحمه الله بما يلي:

١. إعادة الروح الإسلامية التي زهد الناس فيها، واستبدلوها بالشعارات الأخرى.
٢. التنظير للدولة الإسلامية الحديثة، وإقناع الناس بصلاحية الإسلام للحكم.
٣. صدّ الخطر الأكبر: وهو الفكر الشيوعي والإلحاد واللادينية، الذي بدأ ينتشر بقوة في العراق وغيرها.
٤. إقامة تكتل إسلامي بين أهل السنة والتيارات المعتدلة في الفرق الأخرى وبالذات الشيعة، من أجل الوقوف أمام الأخطار الكبرى التي تهدد الإسلام[3].

التحالف بين البدري والخالصي.

دخل الشيخ البدري في تحالف سياسي مع آية الله الخالصي، قصد منه تنسيق الجهود من أجل تحقيق أهداف مشتركة، وأبرزها مقاومة المد الشيوعي الإلحادي.

ولعل السؤال الذي يرد إلى الذهن: **لماذا اختار البدري الخالصي بالذات؟**

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ١/١٩٢، ٢٠١-٢٠٢

(٣) المرجع السابق.

سألت الشيخ محمد الآلوسي-وهو من أخص أصحاب عبد العزيز البدري والخالصي أيضا- عن هذا فقال: اختار البدري الخالصي لعدّة أسباب:

أولاً: أنّ البدري كان يعتقد أن الخالصي هو من أقرب الشيعة الإمامية إلى أهل السنة، لأنه كان بعيداً عن الغلو، وعن تكفير الصحابة، وأمهات المؤمنين.

ثانياً: أنّ الخالصي هو المرجع الوحيد الذي قبل التعاون معه في عمل سياسي، فقد جرّب البدري أن يدفع المراجع إلى أعمال مهمة، ولكنه كان يلقى تثاقلا منهم، وعلى سبيل المثال جرب البدري أن يدفع المرجع الأعلى للشيعة محسن الحكيم إلى إصدار فتوى في الشيوعيين فتعذر، فقام البدري والخالصي بإصدار فتوى مشتركة كانت السبب في قيام الناس على الشيوعية، ولما رأى الحكيم ذلك قام بإصدار فتواه بعد ذلك، كما أن البدري-بعد موت الخالصي- حاول أن يضفر من المرجع الأعلى برسالة إلى جمال عبد الناصر ليثنيه عن قتل سيد قطب فلم يظفر من ذلك بشيء، مع أن هذا العمل أمر هيّن في مقابل أعمال الخالصي مع البدري التي بلغت تنسيق سري للمقاومة المسلحة ضد الشيوعيين.

ثالثاً: أن البدري وجد من الخالصي صراحة، وقبولاً للحوار والأفكار، فقد كنت [والحديث للآلوسي] أحضر مع البدري اجتماعاً مختصراً يوم الاثنين، وكان البدري في بعض الأحيان يناقش الخالصي في بعض جوانب الاعتقاد، وفي مقابل ذلك لا يتردد الخالصي في الكشف عن اعتقاده، وقد كان لتلك النقاشات الواضحة أثر كبير في تخفيف دوائر الخلاف.

متى بدأ التحالف بين البدري والخالصي؟

بدأ تحالف الخالصي بالبدري بعد حادثة عرفت بـ"مقتل الطويل" وهو رجل من شيعة الكاظمية، قتله الشيوعيون في الكاظمية وأخذوا يجرّونه أمام الناس حتى عبروا الجسر إلى الأعظمية، فثار أهل السنة عليهم وقتلوا كثيرا من الشيوعيين وأخذوا جثة الرجل وغسلوه وصلو عليه، ثم ذهبوا إلى الكاظمية وسلموا الجثة للخالصي، وقد قام الخالصي في الجمعة التي بعدها بجمع الناس والقيام بمسيرة إلى الأعظمية وصلّوا معهم

الجمعة، وبعدها تكلم الخالصي وشكر أهلَ الأعظمية على موقفهم الحميد، فكانت هـذه الحادثة بمثابة الشرارة التي قدحت فتل الحلف "البدري الخالصي"(١).

وخلاصة رأي البدري هو أن الخالصي صادق في التخلي عن بعض الشركيات والخرافات والغلو، وأن الخالصي مع أنه يخطّيء الصحابة في موقفهم من إمامة علي رضي الله عنه، ويتأول كثيراً من الآيات الواردة في مدحهم لتتسق مع كونهم أخطؤوا خطأ فادحا إلا أنه لا يكفرهم مثل غيره(٢)، كما يرى البدري بأن إقامة هذا الحلف القائم على تحقيق الهدف الواجب شرعا على الجميع -سنة وشيعة-وأعني به مجاهدة الشيوعيين ودعوة الناس إلى العودة إلى الإسلام الذي تخلو عنه إلى الشعارات القومية وغيرها، علاوة على أنه من التواصي على الحق، من شأنه أيضاً أن يدعم موقف الخالصي ويشجعه على الثبات على تصحيحاته على أقل تقدير، إن لم يتقدم إلى خطوات أكبر نحو مواقف محمودة أخرى قد يحجم عنها بدون مساندة، وقد أكد لي محمد الآلوسي أن خطوة البدري حققت شيئا من هذا، ففي الوقت الذي كان مراجع التيار التقليدي يريدون خنق المرجعية الخالصية ويسعون في القضاء عليها، بسائر أنواع الإشاعات والتهم، جاءت مبادرة البدري لتساند الخالصي ولتدفعه إلى مواقف إيجابية أكثر، فقد أحيا الخالصي في قسم من الشيعة روح التفاهم مع أهل السنة، كما أحيا فيهم فكرة العمل المشترك من اجل الإسلام، ويكفي البدري أنه كان من أسباب صمود المرجعية العراقية الوحيدة آنذاك التي كانت تفتح باب التصحيح بجدّية، وهو اتجاه تأثر به السيد محمد حسين فضل الله وبشكل واضح(٣).

---

(١) المرجع السابق.

٢) وهو ما صرح به في المراسلات التي جرت بينه وبين البيطار. انظر كتاب الصحابة الكرام(ضمن مجموع السنة ج ١).

٣) عن لقاء خاص

هكذا كان ينظرُ البدري للخالصي، وهي رؤية بعيدة عن رؤية الملاح القائمة على أهمية إسقاط الخالصي في سبيل الدفاع عن الهوية الإسلامية، دون النظر إلى ما هي الفرص العملية المتاحة لتحقيق أكبر مصالح للهوية الإسلامية.

أسباب اختلاف الملاّح والبدري في تقييم الخالصي.

لعل البعض يميل بشكل لا إرادي مع الطاعن في الخالصي، ولكن التحقيق والموضوعية التي يمليها علينا قوله ((اعدلوا هو أقرب للتقوى)) تلزمنا أن نذكر ما يلي:

أولا: البدري عالم عامل مجاهد، والملاح أديب ناقد فقط.

وهذا فرق جوهري إذ أن نظرة العالم في التقييم أولى من نظرة غيره، كما أن البدري عالم يجاهد في أرض الواقع في نصرة الدين أمام الإلحاد والضلال، وهو ما يتيح له فقه أوسع في معرفة خير الخيرين وشر الشرين، بخلاف الملاح رحمه الله الذي لا يمثل إلا الرؤية النقدية، ولا شك بأن العالم المجاهد في نصرة الدين عنده من الفقه والدراية أكثر، بل له وعد من الله بالتوفيق للسداد، قال تعالى((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين))[العنكبوت٦٩] وقد اختار أبو سليمان الداراني وغيره أن الآية عامة في نصرة الدين، وجاء عن بن المبارك رحمه الله تعالى: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ((لنهدينهم))(١)وروي مثله عن الإمام أحمد(٢)، وقال ابن القيم رحمه الله: أكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً(٣). ولا شك بأن البدري كان أعظم جهادا من الملاح رحمهما الله جميعاً.

---

(١) تفسير القرطبي١٣/٢٤٢

(٢)انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٤٤٢

(٣)بدائع التفسير٣/٣٨١

كما أن الملاح والخالصي ثار منهما من السباب الصحفي ما يجعل المنصف يتحرّج من قبول ذلك النقد، وقد مرّ معنا قول الداوودي رحمه الله بأن شهادة الرجل على من بينه وبينه عداوة لا تقبل(١).

ثانيا: أن الملاح ينتقد الخالصي عن بُعد، والبدري يعرفه عن قرب.

حيث إن الملاح من أهل الموصل، والبدري من أهل الأعظمية ببغداد، ويجتمع مع الخالصي في كل أسبوع مرّة على الأقل.

ثالثا: أن الملاح وإن كان كاتبا جيدا وأديبا ينظّر لفكر جيّد، إلا أنه محدود الأفق، وضيق الصدر، ولا يتحمل النقاش حسب إفادة بعض معاصريه(٢).

المبحث الرابع: تحقيق الموقف المتعيَن تجاه المتحولين:

أظن بأن أسلوب الملاح والبدري يمثل اتجاهين في مذهب أهل السنة في طريقة تحليل ودراسة ما للمخالفين وما عليهم، ومن ثم طريقة التعامل معهم؛ وكلا المدرستين تتفقان على كلية من كليات الشريعة؛ هي أهمية تطهير الإسلام مما علق به من البدع والانحرافات، لكن "المدرسة التي ينتمي إليها الملاح" ترى الحل في البت والبتر وعدم التعامل مع المخالف إلا من خلال"انحرافاته"، و"المدرسة التي ينتمي إليها البدري" ترى بأن تطهير ساحة الإسلام يجب أن لا يتعارض مع أمر آخر هو أن الشريعة جاءت لإقامة المصالح ودفع المفاسد ما أمكن، وأن المخالف يجب أن ينظر له نظرة تشمل سلبياته وإيجابياته، بحيث لا يعطى المخالفين درجة واحدة، كما أن المجتهد منهم في نصرة الدين

---

(١) نقله ابن حجر في الفتح ٢٧٣/٣

(٢) هكذا أفاد الشيخ محمد الألوسي(لقاء خاص).

ورد الباطل البين–المتفق عليه– يجب أن لا يسوى بالمتخاذل الذي لا هم له إلا نشر ما عنده من خرافة وغلو، ومحاربة أهل السنة.

وفي التاريخ الإسلامي نجد أن الحافظ عبد الغني الجماعيلي المقدسي الحنبلي(١) رحمه الله تعالى كان شديداً على أهل البدع، لا يرى بأن يلتقي معهم في عمل، ولا يرى اللين معهم، بينما نجد قرينه وابن خالته الفقيه الموفق ابن قدامة المقدسي الحنبلي(٢) رحمه الله على طريقة أخرى، فقد كان يقبل الحوار مع المخالفين له، ويجلس بعد كل صلاة ظهر للمناظرة، ولا يناظر إلا وهو يتبسم، وكان مقرّبا من صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وانضوى تحت لوائه في جهاد الصليبيين–مع أن صلاح الدين يميل إلى الأشاعرة – وهو ذاته الذي لاحق الحافظ عبد الغني لأجل إظهاره الإنكار على الأشاعرة في مسائل عقائدية، وهكذا فإننا نجد منهجين الأول لا يتعاطى إلا من زاوية الرد والإبطال لما عند المخالف من الباطل وهو "مسلك البت والبتر" ويرى بأن الحفاظ على الإسلام يجب أن يكون بهذا الطريق(٣)، والثاني يتعامل مع المخالف من خلال نظرة شاملة لما عنده من حق وباطل، ولما هو أصلح في للمسلمين عموماً، من جهة الالتقاء على عمل مشترك.

---

(١) هو أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي، كان من حفاظ السنة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، شديد على أهل البدع، وله أخبار في الإنكار عليهم، توفي سنة ٦٠٠هـ. انظر سير اعلام النبلاء ٢١/٤٤٣-٤٧١

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، كان من أعظم فقهاء عصره، كان شديد الاحتمال، بارع في المناظرة، توفي سنة ٦٢٠هـ .انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥-١٧٣، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/١٣٣-١٤٩

(٣) ولا أقصد بأن جميع هؤلاء مثل الملاح في عدم الموضوعية وبقية سماته النقدية، ولكن يشتركون معه النظرة الإجمالية في رؤيتهم للحل الأمثل من أجل إقامة الدين.

وفي الوقت الذي نجد بعض أهل السنة والجماعة لم يقيّموا أبا عبد الرحمن السُلَمي[1]إلا من خلال شطحاته فقط، فقد نعته أحد المعاصرين له وهو محمد بن يوسف القطان بالكذب[2]، ومع أن الذهبي وصف القطان بأنه حافظ بارع إلا أنه دافع عن السُلَمي بأنه لا يتعمد الكذب[3]، وذهب ابن تيمية إلى إنصاف أكثر من هذا حين أقرّ بأن السُلَمي يروي الموضوعات ولكنه اعتذر له بأنه دخلت عليه لعدم إتقانه وحفظه، كما لم يغفل عن التنويه بأنه في كتبه "فوائد كثيرة ومنافع جليلة"، ونبّه على أن بعض أخطائه عن اجتهاد سائغ، ثم أشار إلى أن السُلمي ممن له في الأمة لسان صدق عام وأثنى عليه .. إلى آخر ما قال[4].

والمقصود أن الاتجاهين الذين ظهرا في مسلك الملاح والبدري لم يزالا موجودين منذ أن توسعت دائرة البدع وكثرت المخالفات في الأمة، فصارت أنظار المجتهدين في نصرة الدين تختلف في التعامل مع انحرافات الأمة.

ولتحقيق الموقف المتعين يجب أن ينظر إلى كليات الشريعة التي جاء الإسلام بها ويفرق بينها وبين الوسائل، ثم يجب أن لا تكون الوسائل عائقاً أمام تحقيق المصالح، ومن أعظم المقاصد نصرة الحق بكل وجه، والسعي في جلب المصالح ودفع المفاسد **عن الإسلام**- وليس عن طائفة أهل السنة فقط- ما أمكن.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بم محمد الأزدي ، المعروف بالسلمي-نسبة لأهل أمه الذين تربى عندهم. ولد ٣٢٥هـ في نيسابور في بيت عرف بالتصوف، وطلب العلم صغيراً،ونظّر للتصوف المعتدل، وكتب فيه كتاب كثيرة مثل: آداب الصوفية، الإخوة والأخوات الصوفية، تاريخ أهل الصفة، رسالة في غلطات الصوفية وغيرها. توفي سنة ٤١٢هـ. انظر:سير أعلام النبلاء١٧/٢٤٧، حلية الأولياء٢/٢٥، ميزان الاعتدال٣/٥٢٣، تذكرة الحفاظ٣/١٠٤٦،شذرات الذهب٣/١٩٦.

(٢) معاصر للسلمي، وصفه الذهبي بقوله الحافظ البارع، توفي ٤٢٢هـ.انظر سير أعلام النبلاء١٧/٤١٣. شذرات الذهب٣/٢٢٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٥٥

(٤) مجموع الفتاوى١١/٣٩

كما أن نقد الانحرافات مطلوب شرعاً، ولكن يجب أن يكـون بعـدل وإنـصاف، لا بالتّجني و الإجحاف.

وعلى سبيل المثال: لو سلمنا للملاح بأن الخالصي يمارس التقية ويدعو للبدع، فإن مـن الخطأ البيّن أن يقال بأنه لم يكن يجاهد الشيوعيين، أو أنه كان إماماً للغلاة، أو أنه كـان يمثّل الشيعة في زمنه، والواقع يثبت أنه كان محارباً من قبل المرجعية العليا في العراق، ومن أعظم الأخطاء أيضاً إنكار جهاده في وجه الانجليز والاستعمار، وغيرها مـن الأوصـاف المجحفة، أو حتى السباب التي لا تليق من المسلم فضلا عن المدافع بلسان الحق.

ولعل ما يحمل البعض على الإجحاف هو أنهم يظنون بأن الإقرار بأي مزية أو فضيلة لمـن يخالف أهل السنة، يعني الإقرار بكل ما عنده والتسويق لمخالفاته، وهذا من القـصور في التصور من جهة الشرع والعقل، فالله تعالى مدح بعض الكفار ببعض ما عندهم في كتابه فقال ((ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك))، والعاقل يدرك تفاضل النـاس وتفاوتهم، ووجود نسبة متفاوته من الخير لدى جميع البشر، ويكفي أن الرسول صـلى الله عليه وسلم قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم [وفي رواية: صالح]الأخـلاق)(١) ، ولم يقـل صلى الله عليه وآله وسلم:لأنشيء أخلاقاً من الصفر، وهو ما يشعر باعتراف النبي صـلى الله عليه وسلم بمكتسبات الناس الأصلية، فلا حاجة لأن نصور بأن الناس سـيذهبون إلى التزكية المطلقة لو أقررنا لمخالفين ببعض جوانب التفوق أو الخير، وللأسف فـإن هـذا الموقف يفسد أكثر مما يصلح، لأن جميع البشر ينفرون بطبعهم ممن يغضي عن فضائلهم.

ورحم الله الذهبي حين ترجم لأبي الحسن ثابت بن أسـلم الحلـبي فقيـه الـشيعة في زمنه(٤٦٠هـ) فقال: "له مصنّف في كشف عوار الإسماعيلية وبدء دعوتهم، وأنها علـى

---

(١) رواه احمد (٢/٣١٨) والبخاري في الأدب المفرد رقم ٢٧٣، ومالك في الموطأ -بلاغـاً- وقال ابن عبد البر: حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريـرة وغـيره. وصـححه الألباني في السلسلة الصحيحة١/٧٥ رقم ٤٥

المخاريق، فأخذه داعي القوم(١)،وحُمل إلى مصر، فصلبه المستنصر(٢)، فلا رضـي الله عمن قتله..فرحم الله هذا المبتدع الذي ذب عن الملّة، والأمر لله"(٣).

كما أن من المطلوب شرعاً بأن يُشجّع كل من سلك سبيلاً إلى رد الغلـو والمحـدثات، وفتح باباً للمراجعة في كل الفرق الإسلامية من أجل أن تجتمع الأمة على الحق، بعـد أن زاد تفرقها بانزواء كل طائفة على نفسها وفَرَحِ كل فرقة بما عندها، حتى تحقق فينا قولـه تعالى: ((كل حزب بما لديهم فرحون)) [المؤمنون ٥٣].

ومما يدفع البعض إلى التمسك بتربية أهل ملته على ثلب الآخرين فقط، وعدم الاعتـراف لهم بأي مزية؛ هو ظن بعضهم بأن هذه الطريقة أحسن لثبات الناس على الحق، ولعـدم تشككهم فيما نشؤوا عليه، والحقيقة هي أن الداعي لهذا هو الخطأ الأساسي، وهو الـذي نسأل عنه فنقول: لماذا رُبّي الناس على أن غيرهم أصحاب ضـلال مطلـق، ولمـاذا لم يعلمون -**علميا**- بأن الكفر يتفاوت ، وأن البدع تتفاوت، وأن أهل الحـق يتفـاوتون، والمجتهدين في سبيل نصرة الملة يتفاوتون، والله تعالى قد أخبرنا أنّ مـن كفـر وزاد مـع كفره منعَ العبادة في مساجد الله أظلم ممن كفر و لم يقف أمام عبادة الله، كما بـين لنـا سبحانه أن اليهود أشد بُعداً من النصارى، وهكذا في الذنوب حيث بيّن النبي صـلى الله عليه وسلم أن الزنا بحليلة الجار(٤) أشد من الزنا بالمرأة البعيدة-أعاذنا الله من كل شـر- كما في حديث ابن مسعود عن النبي ﷺأنه سئل: أي الذنب أعظم؟ قـال: (أن تجعـل لله

---

١) الداعي من الألفاظ الشريفة لدى الإسماعيلية، ولهذا يتلقبون به، كما أن للدعاة نظاما معينا ودرجات تبدأ بالإمام ثم الباب ثم داعي الدعاة ثم داعي البلاغ ثم الداعي المطلق ثم الداعي المحـدود أو المحصور .. إلى آخر تلك الدرجات. انظر:اصول الاسماعيلية للسلومي١/٣٣٠-٣٤٩.

(٢) هو أبو تميم معد بن الطاهر علي بن الحاكم العبيدي لقبه المستنصر بالله، ولي الأمر بعـد أبيه سنة ٤٢٧هـ، حتى وفاته٤٨٧هـ. انظرسير أعلام النبلاء ١٥/١٨٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/١٧٦. وانظر: الوافي بالوفيات١٠/٤٧٠، أعيان الشيعة ١٥/١٢

(٤) حليلة الجار: هي امرأته. انظر النهاية في غريب الحديث ١/٤٣١

ندا وهو خلقك))، قيل: ثم أي؟، قـال: أن تـزاني حليلـة جـارك) رواه البخـاري ومسلم[1].

ويجب أن يعلم القارئ الكريم أن هذا الكلام لا يقصد به إطلاقا الإطراء بالكـافر أو المبتدع وعقد مجالس المديح له، ولكن المراد إنصافه في التقييم عند الحديث عنه.

---

(١)البخاري (رقم ٤٤٧٧) ، مسلم (رقم ٨٦) ، الترمذي (رقم ٣٢٣٢) ، أبـو داود (رقـم ٢٢٩٣) ، النسائي (٧/٨٩) .

الفصل الرابع:
فوائد حركة التحول.

المبحث الأول: دلالات حركة المتحولين.

إن حركة التحولات المحمودة في صفوف الإمامية أوسع من الدائرة التي تم نقاشها في هذا البحث، لأنني لم أقصد إلا إلقاء الضوء على شخصيات بارزة، ساهمت في كتابة وجهت نظرها، وسبب قصر هذا البحث على هذه الشريحة هو أن نخرج بدراسة عما كتب بعضهم، وليس القصد الأساسي هو الانتصار لمذهب أهل السنة من خلال هذه التحولات، لأن تربية الناس على هذا النمط من الاستدلال يعد خطأ منهجيا، إذ الحالة العامة المستمرة تثبت وجود تحولات في كل اتجاه، كما أن القاعدة الأصيلة تقول: "الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق"(١).

ولهذا كان الأهم في هذا البحث أن نعرف ماذا قال أهل المواقف المحمودة من الآراء والأقوال، وما هي الفوائد والعبر التي نخرج بها من تجارهم.

ولعل أهم الدلالات التي نخرج بها من هذا البحث ما يلي:

الدلالة الأولى: أثر الحوار بين طوائف الأمة.

فقد ثبت من خلال البحث أن الحوار الناجح المنضبط، القائم على الاحترام له أثر فاعل في التحولات المحمودة. وقد سبق الحديث عن هذا في أسباب التحولات(٢).

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة٢/٦٩٢-٦٩٤

(٢) انظر ص ٥٧٥

الدلالة الثانية: ضرورة تجديد الاستقراء الثقافي للشيعة.

لعل هذه التحولات تكشف عن شيء من البُعد الذي يعيشه أطراف علمية من أهل السنة عن واقع كثير من المخالفين لهم، حيث اكتفى كثير من المعاصرين بكلام المتقدمين في وصف المذاهب، وتركوا دراسة التحولات والتطورات المحمودة والمذمومة لتلك المذاهب، ولا أقصد بهذا أن يُهمل كلام المتقدمين فيهم، بل أن يستفادة من كلام المتقدمين في دراسة واقع المتأخرين، والحكم على أعلامهم المعاصرين من خلال الاستقراء الواقعي.

وكثيرٌ مِنْ أهل السنة مَنْ يفخر بأمثال ابن تيمية رحمه الله، ولكنهم ينسون أن من أكبر ما يُعرف به ابن تيمية بين محبّيه؛ أنه قرأ كتبَ كثيرٍ من الملل والنحل، وبرز كمحقق يفرق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، ويفرق بين متكلمي الإمامية الأوائل ومتأخريهم في باب القدر والأسماء والصفات وغيرها، ومع أن الفلاسفة هم من أشد خصومه إلا أنه يقول بأن كلامهم في الطبيعيات غالبه جيّد(١)، ويفرق بينهم؛ فيذكر أن ابن سينا أفضل متأخري الفلاسفة(٢)، ويرى بأن ابن عربي أقرب الاتحادية إلى الإسلام(٣)، وقِسْ على هذا كثيراً من أعلام أهل السنة الذين كانوا بحق شهداء على الناس، كالأشعري في كتابه المقالات والشاطبي وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

وهكذا فإن تجديد الدراسة للفرق بل والأديان، ورصد التطورات للأقوال الحديثة فيها ومعرفة التيارات المنقسمة عنها، تكشف جوانب تجعل الحكم أكثر إنصافاً من الحكم العام.

---

(١) انظر الرد على المنطقيين ٤٣

(٢) انظر النبوات ٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١٠/٤٤

(٣) مجموع الفتاوى ٢/١٤٣

الدلالة الثالثة: خطأ القاعدة التي تقول بأن جميع علماء الشيعة زنادقة لا خير فيهم.

جرى خطاب بعض أهل السنة المعاصرين مع علماء الشيعة على أسلوب عنيف غليظ بناء على أنهم من المعاندين، الذين يعرفون الحق ويتخلون عنه لأطماع ومنافع دنيوية.

وقد عزز هذه النظرة حكم بعض المتقدمين من أهل السنة على علماء الشيعة بأنهم زنادقة وأنهم لا يرجعون عن الباطل مهما بان لهم[1].

والحق بأن هذه التحولات التي وردت في هذا البحث تدل على خطأ تعميم هذه القاعدة، لأننا رأينا علماء كبار رجعوا رجوعاً كاملاً عن المذهب، وآخرين تراجعوا عن بعض أقوالهم، فالبرقعي غير قناعاته بعد بلوغه مرتبة المرجعية (آية الله العظمى)، والخوئيني كذلك، ورأينا كيف سعى آية الله العظمى محمد الخالصي إلى تصحيح بعض الجوانب، وأكثر منه آية الله العظمى محمد حسين فضل الله.

إن هذه التحولات تدل على أن القاعدة التي تصف جميعَ علماء الإمامية بأنهم من المنتفعين الزنادقة، إما أن تكون استقراء ناقص، أو تجربة تكشف عن قصور في أساليب الحوار، أو غيرها من المبررات التي ستنتهي بنا أخيراً إلى اطّراح هذه القاعدة.

الدلالة الرابعة: أثر دائرة الضوء في اضمحلال الخرافات.

أعني بذلك خروج المذهب الإمامي من السراديب وحالة الانكفاء الذي عاشه لظروف سياسية من العهد الأموي وحتى ظهور الدولة الصفويّة ثم الظهور الأوضح في العهد الأخير، ومع أن الدولة الصفويّة ساهمت في ترسيخ المذهب وإظهاره إلى العلن إلا أنه لا يقارن بالظهور الأخير الذي جاء في وقت الإعلام المفتوح، وهو ما أقصده بدائرة الضوء.

---

(1) انظر العواصم من القواصم **١٨٣**

إن من طبيعة الخرافات أنها لا تنمو إلا في الأجواء المغلقة، ولا تسري إلا في السراديب التي يغلب عليها الأجواء الثقافية المتردية، وهو ما عاشه المذهب الإمامي فترةً طويلةً في ظل دولٍ ليست إمامية، فقد كانوا يتعاطون الثقافة الإمامية تحت قاعدة التقية والخلاص المنتظر بقرار إلهي، وهي قاعدة تعطل مكامن الإنتاج والتفكير الإبداعي.

وبما أن الأفكار والعقائد التي نشأت في الظلام لا تتحمل أشعة الشمس ؛ فإن من حسنات الثورة الإسلامية التي ظهرت في إيران؛ إظهار المذهب في هذه الفترة الزمنية التي توصف بالثورة المعلوماتية، وعصر الإعلام، وهي تجربة ستكون مرّة على أصحاب الخرافات الذين لن يصمدوا في ظل الإعلام المكشوف، والثقافة التي تنتشر، كما أنها ستكون فرصة سانحة للتيارات الرافضة للخرافة والغلو.

وقد رأيت كما رأى غيري كيف أصبح بعض مثقفي الإمامية يسخرون من شيخ يركّز على أن في الكواكب الأخرى مخلوقات ونحوها من الخرافات التي بدأت تتناقص في الخطاب الديني الإمامي.

إن الثورة المعلوماتية يجب أن تُستغل من قبل المخلصين من أبناء الأمة جمعاء من أجل تعرية الخرافة والغلو والتخلف الاعتقادي حتى تتقلص دائرة الابتعاد عن الحق.

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من حركة التحولات.

ومن أجل الاستفادة من هذه التحولات، ينبغي أن نتنبه إلى ما يلي:

أولا: ضرورة تجديد الخطاب الدعوي.

إن هذه التحولات تدل على أهمية تجديد الخطاب الدعوي مع الشيعة بالذات، ومع بقية الفرق الأخرى عموماً، حيث يجب استخدام لغة الحوار الموضوعية بدلاً من لغة التضليل المنطوية على سوء ظن بكل شيعي اعتقاداً منه بأنه لا ينفع معه حوار، أو نقاش.

فالأصل في فيمن يرو أنهم أهل الحق أن يكونوا دعاة يهدون الناس إلى الصواب، ويحببون الناس إلى الخير ما أمكن، ولن يكون الشيعة أشد من فرعون الذي أتى بأعظم أنواع الكفر-وهو الكفر في الربوبية والألوهية- ومع هذا أمر نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام بأن يحسنا الخطاب معه ما أمكن فقال تعالى: ((فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى))[طه:٤٤].

وقد بينّا أن سوء الظن بكل شيعي واليأس من جدوى الحوار معه خطأ، يدل عليه مثل هذه التحولات المحمودة التي سبق عرضاها، والله أعلم.

فالواجب استبدال كثير من الأساليب التي تستعدي ولا تستهدي، بأساليبَ أخرى يكون عنوانها ((قَوْلاً لَّيِّنًا)) وتكون منطلقةً من قلب ملؤه((لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ))، ليكون الصدود –إن حصل- أخيراً لم يعزه أسلوب الداعي الفض، بل سوء القصد إن كانت موجودة عند أحد ما –سنياً كان أو شيعياً، مسلماً أو كافراً.

ثانيا: تجريد الحوار الموضوعي.

من الإشكالات التي تدور في فلك الحوار السني الشيعي، طغيان روح الانتصار، ومحاولة عدم الاعتراف بأي خطأ ينسب إلى الطائفة، وإذا كان الحديث هنا مع أهل السنة، فإن

من الواجب أن يكون المحاور موضوعياً، بحيث يستبعد العواطف، وينظر بعين النقد المتجردة.

فمن أهل السنة من يحمله الدفاع عن السنة إلى الدفاع عن أخطاء تاريخية ارتكبها يزيد مثلاً، أو غيره من الولاة الأمويين أو العباسيين، كما أن البعض يضيق صدره لدى ذكر إيجابيات الطرف الآخر، أو يحاول أن ينفي احتمال دليل لأحد الأدلة.

وعلى سبيل المثال: فإن في أهل السنة من يرد استدلال الشيعة على نظرهم الاثني عشرية بحديث: ((لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة))(١) فيقابل هذا بتزكية بعض خلفاء بين أمية بناء على هذا الحديث، والحديث إنما يتحدث عن الساحة الإسلام بجملتها، وليس وصفاً الخلفاء، تماماً كما هو الحال مع حديث تفضيل القرون الثلاثة، حيث لا يمكن استخدام الحديث في تزكية أي خليفة بهذا الحديث.

كما أن كثيراً ممن يردون على استدلال الشيعة بما جاء عن تصدق علي بخاتم وهو يصلي، لا يلتفت إلى أن بعض أهل السنة قال بصحة سبب الترول هذا، لكنهم لم يستدلوا بذلك على الإمامة بل على المزية والفضيلة المذكورة في الآية وهي أن علي من أول المؤمنين الذين تجب محبتهم ونصرهم كما قال حفيده الباقر وقد سئل عن قوله: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)) فقيل له: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا! قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب. قال: علي بن أبي طالب من الذين آمنوا.(٢).

وينبغي أن لا يظن المسلم بأن الموضوعية –خاصة في موضوع الحوار أو المناظرة-تعني نصرة الباطل، بل الأمر على عكس ذلك، لأن الحق ليس ملكَ أحدٍ حتى يسعى في طمس الحقائق، وقد كان فخر العدول قديماً : "أن أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يذكرون إلا ما لهم " كما جاء عن أكثر من علم من أعلام أهل السنة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (رقم:١٨٢١)،والترمذي (رقم: ٢٢٢٣) وأحمد ٥/٩٠ و ٩٢و ٩٤.

(٢) تفسير الطبري٤/٦٢٨ح:١٢٢١٦-١٢٢١٧

(٣) منهم: وكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي و أحمد بن حنبل رحمهم الله. انظر:

ثالثا: الحذر من تنمية حالة الفُرقة والطائفية باسم الدفاع عن السنة.

من الأصول التي تعد من كليات الشريعة أمران:

الأصل الأول: جمع كلمة المسلمين على الحق، ونبذ كل سبيل إلى الفرقة.

يقول الإمام الطحاوي الحنفي([1]) رحمه الله: "ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً"([2]).

ويقول الإمام النووي رحمه الله:"وأما قوله(ولا تفرقوا) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، **وهذه إحدى قواعد الاسلام**"([3]).

وقد عد العلامة السعدي رحمه الله السعي في جمع كلمة المسلمين من الجهاد، وعقد باباً سماه: "الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة" ثم قال فيه: "فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، في جميع أفرادهم وشعوبهم، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة"([4]).

أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقري ١٨٨/٢ (دار أطلس/ ١٤١٧/ط١)، مجموع الفتاوى ٧٢/٥، الجواب الصحيح ٣٤٣/٦.

(١) هو أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي الحنفي، ولد سنة ٢٣٩هـ، بدأ تعلمه على المذهب الشافعي ثم تحول عنه إلى المذهب الحنفي، كان إماما لا يخاف في الله لومة لائم، عارف بأقوال العلماء. ألف: رسالة العقيدة الطحاوي، وشرح معاني الآثار، واختلاف الفقهاء وغيرها. توفي عام ٣٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء١٥/٢٧-٣٣. وتذكرة الحفاظ٣/٨٠٨. الوافي بالوفيات ٨/٩-١٠.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ٥

(٣) شرح صحيح مسلم١٢/١١

(٤) رسالة وجوب التعاون بين المسلمين (ضمن المجموع الكاملة لمؤلفات السعدي٥/١٨٧

الأصل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه رد الانحرافات والبدع، وتقليص دائرتيها ما أمكن.

وهو ما يدل عليه قوله تعالى ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان))، والآيات والأحاديث الدالة عليه كثيرة.

إعمال الأصلين هو المتعين شرعاً.

من المؤسف أن نرى البعض يُعمل أحد الأصلين تاركاً الآخر، فمنهم من يحرص على رد البدع ولا يهمه أي طريقة سلك ولو أدت إلى التنافر والفرقة بين المسلمين، كما أنّ من الناس من يرى أهمية الألفة ولا يفكر أبدا في إصلاح الخلل والانحراف.

وقد ذكر الشاطبي رحمه الله تعالى أن التحذير من البدعة أمر لا بد منه وأن الألفة إذا تعارضت مع الإنكار على البدع فيجب أن يسلك إلى التوفيق بين ذلك بحيث لا يحدث عداوة وبغضاء، فقال : فإذا وجد الأمران[يعني التحذير من البدعة والعداوة]؛ فلا ينبغي أن يُذكروا [أي أسماء زعمائها]ولا يعينوا وإن وجدوا، لأن ذلك أول مثير للشر وإلقاء العداوة والبغضاء، ومتى حصل باليد منهم أحد، ذاكره برفق، ولم يبين له أنه خارج السنة، بل يريه أنه مخالف للدليل الشرعي، وأن الصواب الموافق للسنة كذا وكذا، فإن فعل ذلك من غير تعصب ولا إظهار غلبة، فهو أنجح وأنفع، وبهذه الطريقة دُعِيَ الخلق أولاً إلى الله تعالى، حتى إذا عاندوا وأشاعوا الخلاف وأظهروا الفرقة، قوبلوا بحسب ذلك".

ثم نقل الشاطبي عن الغزالي رحمهما الله قوله: "أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والإزدراء فثارت في بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها

مع ظهور فسادها.."(١) وقد أيّد الشاطبي رحمه الله ذلك بقوله: "وهو الحق الذي تشهد له العوائد الجارية، فالواجب أن تسكّن الثائرةَ ما قُدِر على ذلك، والله أعلم"(٢).

وبهذا يتبين أن المواقف التي رويت عن السلف في هجر المبتدع والغلظة على أهلها ليست كلية شرعية، بل كانت طريقةً يُراد منها تنفيذ الكلية وهي تضييق دائرة الإحداث في الدين، وصيانة الناس منها، فإذا تعارض هذا الأسلوب مع كلية أخرى وهي عدم إحداث الفُرقة والعداوة بين المسلمين فإن الواجب ترك الهجر والتغليظ لأنهما ليست طريقة تعبدية، بل يسلك إلى الأمرين، وإذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما، وبعض الشر أهون من بعض.

رابعاً: دعم موقف المتحولين كلياً أو جزئياً.

حتى يستفيد المسلمون من كل تراجع محمود، يجب أن يشجع أي رجوع إلى الحق، ويُدعم أي رجل يفتح باب النقد البناء، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بالتعاون على طرق الخير، فقال: ((وتعاونوا على البر والتقوى)).

وقد يكون بعض هؤلاء المتحولين لم ينتقل عن مذهبه، ولكنه يدعو الناس إلى ما علم من الحق وما بان له من الصواب، فيواجه من الغلاة والمنتفعين من البدع الأذى، فلا يعقل أن يراه إخوانه المسلمون ولا يساندوه ويآزروه، فإن الرجل قد يضعف أو يجد نفسه غريباً إذا سكت أهل الحق عن مناصرته ومؤازرته، فيكون السكوت في هذا المعرض من باب إعانة الشيطان عليه.

---

(١) نقله الشاطبي في الاعتصام٢/٧٣٢ قال: قال الغزالي في بعض كتبه. -وقد بحثت عنه فلم أجده-.والله أعلم

(٢) الاعتصام للشاطبي٢/٧٣٢

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

لعل أبرز النتائج التي نستخلصها من هذا البحث ما يلي:

١. أن الإمامي مصطلح يراد به من اعتقد بوجود أئمة اثني عشر منصوص عليهم من الله وأنهم معصومون واعتقد بأن محمد بن الحسن هو المهدي وأنه قد ولد ثم غاب، وقد يختلفون في تفاصيل القول هذه القائد الأساسية مثل اختلافهم في تفاصيل العصمة، ويلحق بهؤلاء من سيقول بأن ثمة أئمة اثني عشر منصوص عليهم ولكنهم أئمة علم وديانة وليس سياسة وهو قول الموسوي بالإمامة الروحية-وإن كان أخف من غيره بكثير-.

وأما بقية العقائد فإن الإمامية فإنها لا تشكل المعنى الأساسي للإمامية ، وهم قد يختلفون في إثباتها مثل اختلافهم في إثبات الرجعة، والقول بتحريف القرآن ونحوها.

٢. أن الإمامية المعاصرين منهم غلاة، وهؤلاء درجات في الغلو، ومنهم طائفة تسعى إلى مدافعة الغلو في أبواب التوحيد مثل نسبة العلم بالغيب لغير الله والقول بتصرف الأئمة بالكون"الولاية التكوينية" وصرف العبادة لغير من دعاء أو استغاثة، وهؤلاء يختلفون في درجات ما ينكرون كل بحسب ما ظهر له.

٣. التحولات المحمودة التي سبق الحديث عنها تشمل من تحول إلى خارج مذهب الإمامية وذلك بأن ترك القول بالإمامة والعصمة، وقد يكون جمع مع ذلك ترك انحرافات أخرى في أبواب التوحيد والقرآن والصحابة وغيرها بحسب ما ظهر لكل متحوّل، وأما التحول الآخر: هو التحول المحمود داخل المذهب بمعنى أنه لم يترك القول بالإمامة ، ولكنه يسعى إلى تصحيح بعض العقائد الأخرى التي تعد أخطر من القول بالإمامة مثل الشركيات في باب الربوبية وفي باب العبادة، ومثل القول بتحريف القرآن وتكفير الصحابة ونحوها.

٤. أن المذهب الإمامي لم يظهر من أول وهلة بصورته الحالية، بل تكامل شيئاً فشيئاً، وكان تسلسل تطوره-بحسب ما ظهر لي- على النحو التالي:

- ❖ المرحلة الأولى: مرحلة تفضيل علي على سائر الصحابة،وآخر هذه المرحلة شهدت انتشار فكرة الطعن في الشيخين-من غير براءة- وهذه المرحلة كانت إلى نهاية القرن الأول.
- ❖ المرحلة الثانية: وهي مرحلة البراءة من الشيخين، بحيث أصبح هو قول عامة شيعة الكوفة، وهو ما تجلى بشكل واضح سنة ١٢٢هـ في حادثة خروج زيد بن علي رحمه الله.
- ❖ المرحلة الثالثة: وهي مرحلة النص والعصمة، ومع أن هذه الفكرة كانت قد ظهرت قبيل نهاية القرن الأول إلا أنها لم يكتب لها إلا في زمن الإمام الصادق ما بين ١٢٢هـ وسنة وفاته ١٤٨هـ.
- ❖ المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي شهدت تحديد الأئمة بعدد اثني عشر، وهذه المرحلة بدأت مع موت الإمام الحادي عشر "الحسن بن علي العسكري" رحمه الله بلا ولد سنة ٢٦٠هـ مما اضطر المنظرون للقول بالإمامة لختم النظرية وادعاء الغيبة.

٥. أبرز من وقفت عليهم من الذين تحولوا عن المذهب الإمامي-في القرن الأخير-:

أ- آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي.

ب- الناقد المثقف أحمد الكسروي.

ت- السيد محمد الياسري.

ث- آية الله العظمى إسماعيل آل إسحاق (علامة خوئيني).

ج- الأستاذ أحمد الكاتب.

٦. وأبرز من وقفت عليه من الذين كانت لهم تحولات محمودة داخل مذهب الإمامية-في القرن الأخير-:

أ- آية الله العظمى المجاهد محمد الخالصي.

ب- الدكتور السيد موسى الموسوي.

ت- آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله.

وهؤلاء جميعاً يختلفون في مستوى التحول والتصحيح الذي طرحوه، بحسب ما بان لكل واحد منهم، كما أن لبعضهم حسنات كبيرة مثل الجهاد ضد الكفار والأفكار الإلحادية، وجميعهم يشتركون في مقدار ليس بالهين في مجاهدة بعض البدع والخرافات.

وأهم ما اجتمعوا على دفعه عن الدين الإسلامي الصحيح:

أ. القول بأن الأئمة يتصرفون بالكون، حيث عدّوه من الانحراف عن التوحيد.

ب. نسبة العلم بالغيب لغير الله سواء للأئمة أو غيرهم.

ت. النهي عن توجيه العبادة لغير الله تعالى، كالسجود والاستغاثة وطلب الحاجات، واتخاذ الوسطاء من أجل طلب الغفران وغيره.

ث. إنكار القول بتحريف القرآن، والرد على من قال بذلك من غلاة الإمامية.

ج. إنكار القول بتكفير الصحابة.

ح. ذم الخرافات والأساطير.

٧. إن أبرز الأسباب التي قادت هؤلاء إلى تغيير قناعاتهم:

أ- الإقبال على القرآن الكريم تدبراً وتفكراً.

ب- الصدق مع الله تعالى.

ت- حمل هم الأمة.

ث- الحوار الناجح.

ج- القدوة والناقد السابق.

ح- تسلّط أهل المذهب.

خ- البحث المتجرد.

٨. أن النقد الداخلي في كل مذهب قد يكون حركة تكاملية، بحيث يكمل الناقد الثاني طريق الأول، فيجب أن تعزز عملية النقد الموضوعي ولو كانت جزئية،

لأن هذا يصب في صالح الوحدة على المنهج الواحد الصحيح في النهاية، وهذا يمثل عملية تقريب صحيحة وجدّية على مدى بعيد، وهذا ما يجب أن يدركه بعض الأطراف من أهل السنة الذين لا يرتضون أن يعزوا أي مصحح ما لم ينتقل إلى الحق المطلق وبدون أي شائبة.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. أن دراسة التحولات المحمودة والمذمومة **بموضوعية** أمر مهم للغاية، والقرآن مليء بكثير من الإشارات لمثل هذه الدراسة. ومن هذه الموضوعية أن لا تدرس هذه التحولات على سبيل التكثّر والانتصار بهم على الخصم لأن هذا مما يعزز روح الطائفية حتى عند أهل الحق فضلا عن المخالف لهم، بل الصحيح أن تدرس كلماتهم وآراؤهم بموضوعية تامة، بحيث يستفاد من نقدهم من أجل الوصول إلى وحدة إسلامية على منهج واحد موافق للقرآن والسنة الصحيحة.

٢. يعدّ الاستقراء الواقعي لتطورات المذاهب والفرق ومنها فرقة الإمامية من الأمور المهمة جدّاً، من أجل بناء تعامل وأحكام عادلة ومنصفة على أفرادها، بدلاً من الأحكام العامة.

واقترح في هذا الصدد إقامة مركز للدراسة واقع الفرق الإسلامية وغير الإسلامية الحالي، من أجل أن نكون أكثر إنصافاً في التعامل مع الجميع.

٣. دعم المتحولين يجب أن يكون عملية متوازنة، بحيث لا يترك جانب التنبه على الأخطاء لديه، ولا يهمل جانب التصحيح الذي يعد من الجهاد الذي يجب دعمه بكل الوسائل، وهذا ما يدفعنا إلى السؤال: كيف يحصل هذا التوازن في ظل عدم؟

للإجابة على هذا ينبغي أن نسلك عدّة خطوات:

أولاً :إشاعة روح الإنصاف في الأحكام لدى العلماء، أو ما نسميه بنفس المحدثين في مراتب الخرج والتعديل.

الثانية: أن يُعَلّم الناس تفاوت الناس في الخير والشر، حتى يستطيع العلماء تجاوز مرحلة "عدم القدرة على إبداء أي تعزيز للمتحول جزئياً" خوفاً من أن يفهم الناس التزكية المطلقة، ولا مناص من هذه الخطوة لا سيما وأن كثير من الناس باتوا يسمعون ويرون كل شيء في ظل الإعلام المفتوح وقد ألف الناس السماع مع أصناف متعددة، فإما أن يتواكب علماء الفرق الإسلامية ودعاهما مع المرحلة التي يعيشها الناس-وليس مع طلابهم ومريديهم الذين لا يسمعون إلا منهم- أو أنهم سيجدون أنفسهم معزولين فكرياً.

ثالثاً: ضرورة فتح الصِلات بين أعلام أهل السنة وبين أمثال هؤلاء المصحّحين، عن طريق المراسلة والمناصحة ونحوها من الأساليب التي تقرب القلوب قبل كل شيء من فتح مناخ غير متشنج للحوار، من أجل دعم حركة التصحيح في كل الفرق الإسلامية.

رابعاً: أن السكوت عن هذه التحولات هو أبعد المواقف المطلوبة شرعاً، لأن التحولات إن كانت خيراً للأمة فالساكتون لم ينصروه ويعززوه، وإن كانت باطلاً فهم لم يبطلوه ويردّوه، وإن كان فيها خير وشرّ فهم لم يصنعوا شيئا تجاه خيرها أو شرّها.
كما أن النقد المجحف وغير المنصف يخالف قوله تعالى ((اعدلوا هو أقرب للتقوى))[المائدة٨].

خامساً ضرورة تجديد الخطاب الدعوي، وطرح الأسلوب التعميمي بحيث ينتهج المسلك الذي "يستهدي ولا يستعدي"، لاسيما وأن الشدّة والغلظة لن تجدي مع كون المخالفين ملايين المسلمين، بل الغلظة والحالة هذه لا تُوجد إلا صورةً إعلاميةً

قبيحةً في الذهنية العالمية تجاه أهل السنة، ولا يستفيد منها إلا الحانقون على أهل السنة في صد الناس عنهم.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم القدوة حيث ترك قتل بعض من ثبت لديه نفاقه مع أنّ أصل قتل من ثبت نفاقه مشروع، إلا أنه ترك ذلك من أجل ألا يكون قتْلُهم رسالةً إعلاميةً تصدّ الناسَ عن الدخول في الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لمن أشار عليه بقتل بعض المنافقين: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) متفق عليه([1]).

قال الإمام الشاطبي: "**النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة.. وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه صعب المذاق، محمود الغِبّ [يعني:العاقبة والمآل]، جارٍ على مقاصد الشريعة**"([2]).

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث، فما أصبت فيه فمن الله، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله تعالى أن يرحمنا وأن يغفر لنا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري، رقم : ٤٥٢٥، ومسلم رقم : ٤٦٨٢

(٢) الموافقات ٤/ ١٩٤

ملحق رقم (١)

رسالة أحمد الكاتب إلى مرتضى القزويني

في إحدى سفراتكم العابرة والخاطفة الى لندن وانتم في طريقكم من الشرق الى الغرب أعطيتكم ملزمة تحتوي على مناقشة في سند بضع عشرة رواية يذكرها الكليني في (الكافي) وهي تدور حول عدد الأئمة الاثني عشر وأسمائهم ، وقد تفضلتم مشكورين بمراجعتها والتعليق عليها. وبالرغم من اني قدمتها الى عدد كبير من الأساتذة والعلماء والمختصين بعلم الرجال فاني لم استلم أي جواب او مناقشة منهم لما توصلت اليه في بحثي من ضعف تلك الروايات التي ذكرها الكليني والتي تعتبر من أوثق الروايات وأقدمها في هذا المجال ، وقد أضفت اليها فيما بعد مناقشة في سند بضع وثلاثين رواية اخرى يذكرها الصدوق في عدد من كتبه ، وسند روايات اخرى يذكرها الخزاز في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) وكنت أتمنى ان أحظى منكم بلقاءات مطولة لمناقشة تلك الروايات بعمق أكبر ، ولكني لم أحظ برؤيتكم منذ ذلك الحين ، وهذا ما دفعني للكتابة إليكم حول ردكم على البحث الرجالي الذي قمت به حول تلك الروايات. وقد راعني في البداية التقاطكم لصورة غير صحيحة عني من خلال ذلك البحث ، واتهامي بالضلال بعد الهدى وكيل التهم الباطلة والمغرضة الى بعض الرواة والافتراء والجحود والزلل وسوء العاقبة ، في حين اني كنت وما أزال افتخر بحبي لأهل البيت عليهم السلام وانتمائي للمذهب الجعفري ودفاعي عن التشيع ، وقد تعلمت حب أهل البيت من والدتي التي غذتنيه باللبن ، وفتحت عيني على الحياة ووجدتها تترنم بالأبيات المعروفة: لو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب ، العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب. ثم تتلمذت على مدرستكم الحسينية ومدارس الخطباء العظام الآخرين ، ودرست تراث أهل البيت ودعوت اليه ، ولكنني عندما تعمقت فيه أكثر وجدت ان تراث أهل البيت الذي هو تراث الاسلام الأصيل لا يصل إلينا نقيا صافيا ، وانما يختلط او تختلط به جداول دخيلة تحمل أفكار الفلاسفة والمتكلمين والمبدعين والغلاة والوضاعين ، ووجدت ان بعض الأفكار التي نؤمن بها حاليا وبعض التصورات التي نحملها عن أهل البيت هي ليست من أقوالهم ولا صادرة عنهم وانما هي مكذوبة عليهم ومنسوبة إليهم ، وقد كان أهل البيت (ع) يئنون في حياتهم من عمليات الدس والافتراء عليهم ، كما كان رسول الله (ص) يشكو من ذلك في حياته . وقد اعتمدت في دراستي تلك على مصادرنا الرئيسية في علم الرجال وهي كتب الكشي والنجاشي وابن الغضائري والطوسي والعلامة الحلي فوجدتهم يجمعون على تضعيف بعض الرواة ، أو يتفق بعضهم على ذلك على الأقل ، كما قمت بدراسة بعض الرجال الذين يهملونهم او يمدحه بعضهم ، كعلي بن إبراهيم القمي وأبي هاشم الجعفري ، وذلك من خلال رواياتهم

وآرائهم وعلاقاتهم ، فاستنتجت ضعفهم ، وقدمت أدلتي على ، وكان منها قولهم بتحريف القـــرآن بكل صراحة وقوة ، أو روايتهم لأحاديث الغلاة المنكرة . وكانت مناقشتي لتلك الروايـــات الـــتي بلغت حوالي المائتين ، جزءا من دراسة واسعة تعتمد على روايات أهل البيـــت الأخـــرى المتـــواترة والمذكورة في أمهات مصادرنا الحديثية ، وعلى كتب التاريخ الشيعية ككتـــاب (فـــرق الـــشيعة) للنوبختي وكتاب (المقالات والفرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي ، وكتب الـــشيخ الـــصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي وغيرهم من أعلام القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة. والخلاصـــة التي استنتجتها من خلال معارضة تلك الروايات بالقرآن الكريم وبالروايـــات الأخـــرى المتـــواترة ومقارنتها بالأحداث التاريخية الثابتة ودراسة سندها والتأمل في متنها هي:

١ – قيام المتكلمين الشيعة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي ومـــؤمن الطـــاق في منتصف القرن الثاني الهجري وما بعده باختراع نظرية العصمة وكونها شرطا من شـــروط الحـــاكم (الامام) الذي يأمر الله بطاعته ، وذلك خلافا لمدرسة أهل البيت التي لا تشترط العـــصمة و لم يـــرد فيها أي نص صحيح عنهم بذلك.

٢-اختراع المتكلمين بعد ذلك لنظرية النص وتسلسل الامامة وراثيا وبصورة عمودية في أبناء علي والحسين الى يوم القيامة ، وإمامة الأكبر وعدم جـــواز انتقالهـــا الى أخ أو ابـــن أخ ، وقيـــام المتكلمين باختلاق كثير من النصوص وتأويل نصوص اخرى حول الموضوع

٣ -اضطرار المتكلمين الى اعتماد الوصايا العادية من الرسول الأعظم للامـــام علـــي بـــن ابي طالب ، وبعض الأئمة لأولادهم ، كمؤشر خفي وبديل عن النص لدى افتقاده.

٤ -اختراعهم لنظرية المعجزة ، واختلاق المعاجز للأئمة كبديل عن وجود الوصية العادية في بعض الحالات ، كعدم الوصية من الامام الحسين لابنه زين العابدين ، من أجل إثبات الامامة له.

٥-اضطرارهم لاختراع شخصية وهمية لا وجود لها مطلقا وهي شخصية (محمد بن الحـــسن العسكري) لإنقاذ نظرية الامامة الالهية التي وصلت الى طريق مسدود بعد وفاة الامـــام العـــسكري دون ان يتحدث عن مصير الامامة ولا عن وجود ولد له ، مما سبب في حدوث الحـــيرة والتفـــرق ومبادرة بعض أصحاب العسكري الى ادعاء وجود ولد مخفي له ووجود علاقة خاصة بينهم وبينه ، ومطالبة الشيعة بتسليم الأموال إليهم بدعوى إيصالها اليه.

٦ -قيام مجموعة من الغلاة والكذابين والوضاعين والضعفاء في فترة (الحيرة والغيبة (باختراع مجموعة أحاديث لم يكن لها وجود من قبل ، وقد ذكر الكليني بضعة عشر حديثا بعد حوالي نصف قرن من وفاة الامام العسكري ، وجاء الصدوق بعده ليضاعف عددها الى بضعة وثلاثين ، ثم جـــاء الخزاز من بعده لينهيها الى مائتين.

٧- وهذه الأحاديث والروايات تتحدث عن عدد الأئمة الاثني عشر من آل البيت وتعد (محمد بن الحسن العسكري) الثاني عشر منهم ، وتدعي ان الرسول الأعظم (ص) قد أعلن أسماءهم يوم غدير خم وان قائمة أسمائهم كانت معروفة ومحددة من قبل. سيدي الكريم.. انني لا أشك في حديث الغدير ، بغض النظر عن الإضافات والتأويلات المختلفة ، وكذلك لا اشك في حديث الثقلين او الطائر المشوي او المباهلة او التصدق بالخاتم او غيرها من الأحاديث التي تتحدث عن فضل أهل البيت، ولكني لا أجد فيها حديثا عن الامامة الالهية او القائمة المسبقة او المهدي محمد بن الحسن العسكري ، وانما أجد فيها أحاديث عامة وغير محددة ، وبعيدة عن أفكار الفلاسفة والمتكلمين والغلاة. وان حبي لأهل البيت واعترافي بفضلهم وقبولي لتلك الروايات لا يلزمني بقبول أية رواية أخرى ، حتى لو كانت ضعيفة السند ، وهو ما حاولتم في ردكم على دراستي ان تقوموا به ، حيث قلتم في تعليقكم على عدد من الروايات التي أثبت ضعف سندها ما يلي: (هذا حديث مقبول لا إشكال فيه حتى لو كان سنده ضعيفا . الرواية صحيحة في المعنى وان ضعف سندها . ضعفها منجبر ومؤيد بالصحاح المتواترة في نفس المعنى . يكفي في قوتها آلاف الأدلة والبراهين القطعية . مضمون الرواية صحيح قطعا وضعف السند ادعاء يجب إثباته. بغض النظر عن المناقشة في السند فقد اتضح متن الحديث) وقد فهمت من خلال تعليقاتكم تلك : ان قبولكم بتلك الروايات بغض النظر عن مناقشة سندها مبني على أدلة وبراهين خارجية وعلى روايات اخرى. ولكن اذا كانت تلك الروايات التي ناقشتها وأثبت ضعف سندها جميعا هي أقوى الروايات الواردة بهذا الشأن وأقدمها ، وكذلك روايات الصدوق والخزاز ، فما هي تلك الروايات الأخرى الصحاح المتواترة؟ وما هي وأين تلك الأدلة والبراهين القطعية التي ثبتت صحتها وتجبر ضعفها؟ لقد قلتم في نهاية تعليقكم:" الحق ان النصوص على الأئمة بلغت من الكثرة والتواتر في عهد الأئمة حدا كان يعرفها المخالفون ورواها المعاندون بطرقهم لا من طرق الشيعة كابن حجر في الصواعق وأبي نعيم ووفيات الأعيان والخطيب البغدادي ومروج الذهب والعقد الفريد وأعاظم المحدثين والمؤرخين من العامة وكذلك سلاطين الجور والغاصبون) وضربتم أمثلة على أشهر المتواترات بحديث الثقلين وحديث سفينة نوح، وحديث الغدير وحديث الطائر المشوي والمباهلة والتصدق بالخاتم ويوم الدار ونزول آية التطهير. ولكنكم ألقيتم بالحديث على عواهنه وانتقلتم من الحديث عن الاثني عشر الى الحديث عن فضل أهل البيت ، في حين ان متكلمي الامامية ومشايخ الطائفة يعترفون بعدم وجود النص او الوصية على كل واحد واحد من الأئمة الاثني عشر ويثبتون إمامة بعضهم بدعاوى المعاجز وعلم الغيب فقط. ومن هنا .. اعتقد ان المشكلة في تصحيحكم لجميع الروايات بغض النظر عن مناقشة السند تكمن في الخلط بين عدد من المفاهيم العامة والمبادئ الأولية ، وبين عدد من التفصيلات الجزئية موضع المناقشة ، ولا بد من التفريق بين ذلك. كما اعتقد ان من الضروري

وضعكم بنظر الاعتبار مسألة الزمن والتطور التاريخي الذي حدث في بعض النظريات الشيعية التي انتقلت من حب أهل البيت الى القول بعصمتهم الى القول بالنص عليهم او الوصية المتسلسلة الى يوم القيامة فيهم ثم الوقوف على سبعة منهم والوقوف بعد ذلك على اثني عشر منهم. كذلك تطور النظرية المهدوية من فكرة عامة بخروج مصلح (مهدي) في آخر الزمان الى تحديد هويته انه من قريش او من أمة الرسول او من أهل بيته او من أبناء علي او من أبناء فاطمة أو من أبناء الحسين او من أبناء الباقر والصادق وانه أخيرا (محمد بن الحسن العسكري) بالتحديد الدقيق ، وانه ولد في منتصف القرن الثالث الهجري وانه باق على قيد الحياة الى ان يأذن له الله في الظهور.
سيدي الكريم.. ان النظرية (الاثني عشرية) ولدت في القرن الرابع الهجري ، وكانت تطورا حدث في صفوف (الامامية) الفرقة التي نشأت في القرن الثاني الهجري في صفوف الشيعة الذين كانوا يوالون عليا وأهل البيت ويحبونهم ببساطة في القرن الأول الهجري ، ولذلك لم يكن هنالك ذكر للأثني عشرية او الامامية في بداية التاريخ الاسلامي. ولكن المؤسف هو ان كثيرا من علمائنا لا يأخذون البعد الزمني في تطور الأفكار بنظر الاعتبار ، ويحسبون الطبعة الأخيرة التي وصلتهم بعد قرون هي الطبعة الاولى للأفكار ، وهذا ما يدفعنا الى التحقيق والتأكد من مختلف الأفكار والنظريات ، والتمييز بين الأصيل منها والدخيل ، والصحيح والسقيم. ولا يمكننا القيام بذلك والوصول الى جوهر الدين وحقيقة مذهب أهل البيت (ع) الا بمراجعة علم الرجال ، والاجتهاد فيه ، وعدم التقليد او توثيق كل من روى عنه مشايخ الطائفة كالشيخ الكليني كما قلتم في ردكم على دراستنا ، فانهم كانوا يروون عن الضعاف والغلاة والوضاعين والكذابين ، وأفضل مثل على ذلك روايتهم أحاديث تحريف القرآن ، ولذلك وضع المتقدمون علم الرجال للتحقق من الرواة والتأكد من الروايات .ولا بد بعد ذلك من دراسة المتن والمعنى وملاحظة مدى انسجامه مع العقل والقرآن والأحاديث الصحيحة المتواترة. وقد استغربت من ردكم على مناقشتي لرواية عودة النبي الى الحياة بعد وفاته والتقائه بأبي بكر في أحد المساجد وأمره بتسليم الخلافة الى الامام علي ، ورفضكم لتعليقي عليها بأنها من أساطير الغلاة ، وقولكم بأنها معجزة وكرامة للامام علي! وأريد ان أسألكم عن مقياسكم في التمييز بين المعاجز والأساطير؟ وعن طبيعة المعجزة والهدف منها وطريق إثباتها والحاجة اليها ، كما أريد ان أسألكم فيما اذا كنتم تعتقدون بصحة تلك الرواية: ١- متى حدثت القصة بالضبط٢- هل كان هناك شهود؟ أم لا ؟ ٣- لماذا جرت القصة خفية بين علي وأبي بكر؟ ولماذا لم يخرج الرسول أمام جميع الأصحاب ليكون أبلغ في الإنذار؟٤- اذا كان ممكنا ان يعود الرسول الى الحياة فلماذا لا يعود دائما وفي كل زمان ومكان ليبلغ الرسالة من جديد ٥- اذا كان جائزا ان يخرق الرسول القانون الطبيعي للموت والحياة فلماذا توفاه الله؟ ولماذا لم يظل على قيد الحياة حتى ينشر الدين الاسلامي في العالم كله؟ وكنت اعتقد اني في غنى عن مناقشة

هكذا رواية تنضح بالخرافة والأسطورية ، ولكن بعد تشبثك بها وإصرارك على اعتبارهـا معجـزة وكرامة فاعتقد اننا بحاجة ماسة للاتفاق أولا على أسس التفكير المنطقي وتوضيح الفوارق الأساسية بين المعاجز والأساطير. واعتقد ان أسلوبكم في تقبل الروايات بهذه الصورة ينطوي علـى منهجيـة أخبارية بدائية خطيرة ،وهي تعني تقبل التراث بكل ما فيه من غث وسمين وصحيح وسقيم ، وهنـا تكمن مصيبتنا العظمى وأزمتنا الكبرى ،وهي الثغرة التي تسللت من خلالهـا الأفكـار المنحرفـة والروايات الكاذبة والبدع والخرافات الى ثقافتنا الاسلامية باسم أهل البيت ، ولذلك أدعوك حقـا لمراجعة التراث الهائل الذي تحفظه ، والتحقق من كل مفرداته ، والقيام بعملية تصفية وتنقية له مـن كل غريب ودخيل ، خاصة وانك تحتل موقعا إرشاديا عاليا وتقوم بإمامة المسلمين في بقعة خطـيرة من بقاع العالم تواجه الحضارة الغربية المسلحة بآخر فنون العلم. كما أدعوك سيدي الكـريم بنـاء على ذلك الى القبول باحتمال ان تكون على ضلال ومتأثرا بأفكار الفرق الضالة المغاليـة الملعونـة على لسان أهل البيت عليهم السلام والبعيدة عنهم كل البعد. وأدعوك بكل تواضع واخـلاص الى ان تبحث بدقة عن مذهب أهل البيت الحقيقي من بين ذلك الركام الهائل من الروايـات المـزورة والكاذبة والتي تعتقد انها من الروايات الصحيحة والمتواترة. ودعني اضرب لك مثلا بسيطا اقتبسـه من تلك المجموعة من الروايات التي أوردها الكليني في الكافي عن (الاثني عشرية) والتي كان بعـضها مرويا عن رجال متهمين بالغلو والضعف والوقف كمحمد بن الحسن بن شمعون وعبد الكريم بـن عمرو بن صالح الخثعمي (كرام) وقد استبعدت انا صحة الرواية عن هؤلاء الواقفية الذين لم يكونوا يعترفون بإمامة علي بن موسى الرضا ولا الأئمة من بعده ، واحتملت وضع الرواية على لسانهم من قبل بعض الرواة الضعفاء كسهل بن زياد الآدمي ومحمد بن الحسين الصائغ ، وذلـك مـن أجـل الإيحاء بأن روايات (الاثني عشرية) واردة على لسان الخصوم ، ولكنك أكـدت صـحة الروايـة واحتملت الوجه الآخر وقلت: " ان أصحابنا يروون عن الواقفة الأحاديث التي رووها قبل قـولهم بالوقف" وفي الحقيقة ان هذا احتمال وارد . ولكن أنى لك ان تثبت صحة روايـة الـضعفاء عـن الواقفية؟ وكيف تثبت ان روايتهم كانت قبل قولهم بالوقف؟ واذا كان الواقفية أنفسهم لا يلتزمـون بروايات (الاثني عشرية) على فرض صحة قولهم بها في البداية فكيف نطمئن نحن بالرواية عنهم؟وقد قمت أنا برفض رواياتهم لأنها مروية عن ضعفاء جدا ، وقد قبلتها أنت وأولتها من دون النظـر الى سندها ، فكيف يجوز هذا؟ لقد اتهمتني بالجحود والتعصب والاتهام بالباطل ، وتسرعت في الحكـم علي والرد علي من دون تحقيق ومن دون السؤال والاطلاع على أدلتي ، وحكمت أحيانا قبـل ان تقرأ الأسطر التالية ، ومن ذلك مثال تضعيفي لـ : (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الـذي أوردت أقوال بعض مشايخ الطائفة الأقدمين (كالمفيد) حول ضـعفه واختلاقـه وقـولهم :" ان الكتـاب موضوع لا ريب فيه" فحسبت ان هذا قولي ورددت علي بعجالة قائلا:" بل الكتـاب صـحيح لا

مرية فيه وكل من شككك فيه فهو ضعيف ، وان وجود بعض الأخبار الضعيفة كخبر (ان الأئمة ثلاثة عشر) فيه لا يطعن في أصل الكتاب" ولما انتقلت الى الصفحة الثانية حيث أوردت المصادر والنصوص والأسماء ونقلت قول ابن الغضائري والشيخ المفيد في الكتاب وتحريم الأخير للعمل على أكثر الكتاب ، وسلب الثقة منه ووصفه بالوضع والتدليس والتخليط وضرورة تجنب العلم بكل ما فيه وعدم التعويل على جملته والتقليد لروايته ، تراجعت عن حكمك المتسرع وقلت:" نعم هذا دليل على ان الكتاب يتضمن الضعيف والصحيح"! ان هذا دليل على السرعة والعجلة والانفعال في عملية نقد الروايات التي ذكرتها ، ومن هنا فاني لا اعتبر ردكم كافيا ولا شافيا لأنه لم يقم على دراسة علمية و لم تستطيعوا ان تثبتوا صحة رواية واحدة من روايات الكليني حول (الاثني عشرية) او تؤكدوا عكس ما قلت ، ولذا فاني أرجو منكم ان تبذلوا وقتا أطول في البحث والمراجعة والتدقيق ، وان تتجنبوا المناقشة بصورة خطابية انفعالية مختصرة وعمومية ، وأرجو ان توضحوا في البداية نظرياتكم الرجالية والأصولية ثم تقوموا بدراسة موضوع (الامامة الالهية لأهل البيت) و (وجود الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) من جديد ، وانا على استعداد ان أواصل معكم الحوار على أمل التعرف على مذهب أهل البيت السياسي الحقيقي ، والتأكد فيما اذا كان: (الامامة بالنص والتعيين من قبل الله والوراثة العمودية الى يوم القيامة) أم (الشورى وانتخاب الامة للامام)؟ وشكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد الكاتب لندن ٢ رمضان ١٤١٤/١٩٩٤

رسالة العلامة الخوئيني للخميني

حضرت الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية في إيران

بعد السلام يرى "مركز حماة القدس للتحقيقات الإسلامية" من مسؤوليته الشرعية أن يذكركم و بقية العلماء و مراجع المسلمين ببعض النقاط فيما يتعلق برسالتكم الموجهة إلي قائد الحزب الشيوعي السوفيتي السابق السيد كورباتشوف .

١-كتابكم مصباح الهداية في بيان عقيدتكم و بيان الإسلام الذي تريدون عرضه على العالم (لأنه طبع بعد الثورة) هذا الكتاب كله فلسفة و عرفان و الذي قدم على أساس أنه هو الإسلام و هو نفسه وحدة الوجود الذي طبق عليه العقول العشرة و العقل الفعال مع النور المحمدي و العلوي! برأينا هذا ليس له أي صلة بالإسلام و حقائق الدين، و الإسلام مخالف مع هذه المسائل.

٢- أنتم لم تذكروا في هذه الرسالة أيا من حقائق القرآن و أدلته بل أحلت الرجل على كتب بوعلي سينا (المعروف بابن سينا الفليسوف المشاء و مبين فلسفة اليونان الذي كفره محمد الغزالى و ذكر عشرين دليلا على انحرافاته في كتابه تهافت الفلاسفة) و كتب سهروردي (الذي اعدمه المسلمون بسبب أفكاره الانحرافية) و كتب محي الدين ابن عربي الإشراقي (الذي هو من معتقدي وحدة الوجود و رئيس كل العرفاء) و كتب ملا صدرا (الذي كفره علماء إصفهان بسبب اعتقاده بوحدة الوجود و انحرافاته الفكرية و نفوه إلى قرية كهك في محافظة قم و قد تبرأ من الفلسفة و العرفان و استغفر في مقدمة الأسفار).

٣-إذا كنتم ما نسيتم فإن درسكم في الفلسفة قد أوقف قبل أربعين سنة في المدرسة الفيضية في قم لهذا السبب، و أنتم رغم كل هذه المسائل لا نعرف لماذا تدلّون الرجل لمعرفة الإسلام إلي الفلاسفة و العرفاء و المنحرفين، أليس القرآن يملك أدلة كافية لإثبات ذات الإله سبحانه و بيان أصول الدين و فروعه؟ ألا يستطيع قادة الإسلام أن يبينوا حقائق القرآن من غير اللجوء إلي الفلسفة و العرفان؟ هل يجوز أن ندل قادة العالم إلى الفلسفة و العرفان لمعرفة الإسلام؟

٤-فضيلتكم تعلمون أن فلسفة اليونان و العرفان الهندي كانا موجودين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل قبل ظهور عيسى و موسى عليهما السلام في الشرق، لو كانا صحيحين و فيهما كفاية لهداية البشر ما هي الضرورة أن يمن الله تعالى على البشرية و يرسل إلينا رسولاً(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (آل عمران:١٦٤)

القرآن الكريم يبين أنه قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام كانت البشرية في ضلال مبين بسبب هؤلاء الفلاسفة، و فضيلتكم تريد أن يصير "كرٌّ على ما فرّ" و أن يكون إتباع الأنبياء عليهم السلام في "شبك" الفلاسفة و العرفان ويتأخر باسم الإسلام عدة قرون أخرى.

٥-وكان السيد الطباطبائى قد منع آية الله البروجردى رحمه الله من تدريس فلسفة الأسفار في قم [٢] و لكن فضيلتكم تريد مخالفة العلماء و الفقهاء لكي تشتهر علوم الفلسفة.

٦-تقولون "اسلام المحمدي الخالص" هذه المسميات ليس لها أي ثمرة غير ايجاد التفرقة و الاختلاف.

---

[٢] يقصد المؤلف المدعو آية الله سيد محمد حسين الطباطبائى التبريزي مؤلف تفسير الميزان الذي كان من مشاهير مؤسسي الفلسفة في قم.

٧-نحن نرى أن تفسحوا المجال للمحققين و العارفين بالإسلام أن يقوموا ببيان حقائق الإسلام في وسائل الإعلام بدلا من الفلسفة و العرفان حتى يعرف الناس في كل العالم حقيقة الإسلام، نرجوا أن لا تذمروا من عملنا هذا الذي نعتبره جزءا من مسؤولياتنا، والسلام على من اتبع الهدى.

مسئول مركز حماة القدس للتحقيقات الإسلامية

كاتب ألف مقال في المسائل الإسلامية

الأحقر إسماعيل آل إسحاق الخوئيني.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ)		
((وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾))	١٥٨	٢٨٨
((فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾))	١٥٩	٢٥٥، ٢٨٣
((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾))	١٧٥	٢٥٧

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا	٤٨	٣٠٨
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ...))	٥١	١٢٧
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ))	٥٧	١٢٨
((وكان الله سميعا بصيرا))	٥٨	٢٠٦
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾)).	٥٩	١٨٢، ١٢٠، ٢٢٠، ٢٨٢، ٢٦١
((مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ))	٨٠	٥١٦
((وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٨١﴾))	٨١	٢٥٥
((أفلا يتدبرون القرآن)) [النساء: ٨٢]	٨٢	١٧٥
((وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾	١٥٥	٢٧٢
((رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا	١٦٥	١٨٣، ٤٣٤

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾))	٨	٣، ٦٣٧، ٦٣٩

سورة الأنعام

«إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ	١٩٤	٤٥٦
سورة الأنفال		
«إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ»	٢	٢٥٦
«وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ»	٤٦	٢٩٥
«إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ»	٧٢	٢٩٠
«وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾	٧٤	١٨٧
سورة التوبة		
«ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾» [التوبة: ٢١].	٢١	١٨٧
«ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ»	٣١	١٢٣، ٢٦١
«وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡ(١٠١)» [سورة ١٠١]	١٠١	١٠٣، ٢٨٤
«عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾	٤٣	١٠٩
«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم»	١١١	٣٠١
«لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ	١١٧	٢٩٠

سورة الأنبياء

الآية	رقمها	الصفحة
((وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِىٓ إِلَيْهِمْ))	٧	١٥٨
((لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ))	٢٢	٣٥٨
((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ	٢٨	٥٢٦
((قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ))	٦٩	٥١٢
((وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ))	٧٣	١٦٦

سورة الحج

الآية	رقمها	الصفحة
((إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ))	٤١	٢٩٢

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	الصفحة
((ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ	١٥-١٦	١٦٣، ٢٨٨
((كل حزب بما لديهم فرحون))	٥٣	٦٢٢
((حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ	٩٩-١٠٠	١٦٢

سورة النور

الآية	رقمها	الصفحة
((إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ	١١	٢٩١
((وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ	٥٥	٢٩٢

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة ص

سورة الزمر

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ	٣٨	٢٥٩، ٣٦٠
((قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ))	٥٣	٥٢٧

سورة غافر

((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ	٦٠	٢٥٩، ٤٥٤، ٥٢٧

سورة فصلت

((كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون))	٣	٤٢٠
((لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ))	٤٢	٥٣٣

سورة الشورى

((وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	١٠	١٨١، ١٨٢
((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))	١١	٢٠٨
((لَكُمشَرَعَ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ))	١٣	٢٩٥
((وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..))	٣٨	٢٨٣، ٤٦٥
((مَا كُنتَ تَدْرِى))	٥٢	٢١٧

سورة الزخرف

((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ))	٩	٣٦٠، ٤٠٥

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة النجم

سورة القمر

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة التغابن

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ))

سورة القلم

((فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ))	٤٨	٢٨٨

سورة الجن

((فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ))	١-٢	٥٦٨
((فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا))	١٨	٢٥٩، ٤٠٧، ٥٣٨
((قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا	٢٠	١١٩، ٢٥٩
((عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ))	٢٦-٢٧	١١١، ٤٠٠

سورة المدثر

((فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ))	٤٨	٣٠٩

سورة عبس

((عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ))	١-٣	١٠٢، ١١٠

سورة الانفطار

((يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ))[الانفطار ١٩]	١٩	٥٢٦

سورة الغاشية

((إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم))	٢٥	٢٦٨

سورة الشمس

((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا	٧-٨	٦٣٩

سورة البينة

((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ))	٥	٣٠٩

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الفرق

فهرس الأعلام

فهرس المراجع

أولا: الكتب والرسائل

١. إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة- أحمد بن أبي بكر البوصيري/ تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي/ دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٢. أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية- عبد الله الخرعان/ مكتبة الرشد بالرياض/الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

٣. إحكام الفصول لأبي الوليد الباجي/ تحقيق عبد المجيد زكي/ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٤. الإحكام في أصول الأحكام- سيف الدين الآمدي/ تعليق عبد الرزاق عفيفي/ المكتب الإسلامي ببيروت /الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ

٥. الأحكام لابن حزم٩٦/١ تحقيق احمد شاكر/ دار الآفاق الجديد/ ببيروت /ط١/ ١٤٠٠هـ.

٦. إحياء الشريعة – محمد الخالصي/ مصور عن مطبعة الازهر ببغداد / الطبعة الثانية/ ١٣٨٥هـ

٧. آخر رسالة- اسماعيل آل إسحاق الخوئيني- مخطوط

٨. الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة)

٩. أسد الغابة- لعز الدين علي بن محمد بن الأثير/ تحقيق: محمد البنا و محمد عاشور

١٠. الاسلام سبيل السعادة والسلام/ محمد الخالصي/ المؤسسةالاسلامية للنشر/ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ

١١. أشراط الساعة/ يوسف الوابل/ دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الثالثة عشر ١٤٢٢٠هـ

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة –للحافظ أحمد بن علي بن حجر/ تحقيق طه الزيني/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ ١٤١١هـ بدون رقم طبعة

١٣. أصل الشيعة وأصولها/ محمد حسين آل كاشف الغطا / مؤسسة الأعلمي ببيروت/ بدون رقم طبعة ولا تاريخ

١٤. أصول الإسماعيلية- لسليمان السلومي/ دار الفضيلة بالرياض/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ.

١٥. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية- الدكتور ناصر القفاري/ دار الرضا/بالجيزة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

١٦. الاعتصام-ابراهيم الشاطبي/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي/ دار ابن عفان – الخبر/ الأولى ١٤١٢هـ

١٧. أعلام السنة المنشورة/ حافظ الحكمي/ تحقيق حازم القاضي/ طبع وزارة الشؤن الاسلامية بالمملكة العربية السعودية/ ١٤٢٠هـ

١٨. أعلام الموقعين عن رب العالمين- أبو بكر بن قيم الجوزية/ تحقيق عبد الحمن الوكيل/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

١٩. الإعلام بقواطع الاسلام "ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر"/جمع د.محمد الخميس/ دار إيلاف الدولية بالكويت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٢٠. الأعلام- خير الدين زركلي/ دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة العاشرة/١٩٩٢م

٢١. أعيان الشيعة- لمحسن الأمين العاملي- دار التعارف ببيروت.

٢٢. آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية- محمد حسين فضل الله/دار الملاك ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٢٣. الامام الخميني لعادل رؤوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ

٢٤. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة-لعبد الله الدميجي/ دار طيبة – الرياض/ الأولى/ ١٤٠٧هـ.

٢٥. أمة في رجل"محمد حسين فضل الله"- لمحمد الجزائري/ دار الكاتب العربي ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

٢٦. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لابن خياط ١٢٠. مراجعة: محمد حجازي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة

٢٧. الأنساب – عبدالكريم بن محمد السمعاني-تحقيق عبدالله عمر البارودي- دار الجنان-الأولى ١٤٠٨

٢٨. الإنصاف للمرداوي" مع كتاب الشرح الكبير والمقنع" / علي بن سليمان المرداوي بتحقيق عبد الله التركي/ توزيع وزارة الشؤن الاسلامية بالمملكة العربية السعودية/ ١٤١٩هـ

٢٩. الأنوار النعمانية – نعمة الله الجزائري -تعليق الطبطبائي/ مؤسسة

الأعلمي ببيروت- بدون تاريخ ولا رقم طبعة
٣٠. أوائل المقالات – محمد بن النعمان المفيد/ دار المفيد ببيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ
٣١. بحار الأنوار- محمد باقر المجلسي/ دار إحياء التراث العربي ببيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٣هـ
٣٢. البحر المحيط لمحمدبهادر بن عبد الله الزركشي/ تصحيح وتعليق مجموعة من الباحثين/نشر وزارة الأوقاف بالكويت/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
٣٣. بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية- جمع يسري السيد محمد/دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٣٤. البداية والنهاية/ لأبي الفداء بن كثير/ دار المعرفة
٣٥. البدر الطالع- للشوكاني/ دار المعرفة ببيروت- بدون رقم ولا تاريخ طبعة.
٣٦. البرهان لأبي المعالي الجويني/ تحقيق د.عبدالعظيم الديب،ط١،عام١٣٩٩،مطابع الدوحة بقطر
٣٧. بصائر الدرجات الكبرى- محمد بن الحسن الصفار /طباعة دار المرعشي ١٤٠٤هـ بقم.
٣٨. البهائية لإحسان إلهي ظهير/ إدارة ترجمان القرآن بلاهور بباكستان/ بدون رقم طبعة ولا تاريخ
٣٩. البيان في تفسير القرآن/ أبو القاسم الخوئي/ مؤسسة الأعلمي ببيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ
٤٠. بيان مذهب الباطنية وبطلانه -لمحمد بن الحسن الديلمي/ مطبعة الدولة باستنبول/ ١٩٣٨م.
٤١. تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة-دار الأندلس الخضراء بجدّة/الطبعة الأولى ١٤٢١هـ
٤٢. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ/دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الخامسة/١٩٨٥هـ
٤٣. التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر/ المكتب الإسلامي/ طبعة١٤١١هـ
٤٤. تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري/دار صادر ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

٤٥. تاريخ العالم الاسلامي المعاصر والحديث لمحمود شاكر و اسماعيل ياغي/ مكتبة العبيكان بالرياض/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

٤٦. تاريخ بغداد- للخطيب البغدادي/ المكتبة السلفية - المدينة المنورة. بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٤٧. تاريخ دمشق – لابن عساكر/ تحقيق علي شري/ دار الفكر الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٤٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الحافظ يوسف المزي/ تحقيق بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة/ الطبة الأولى ١٤١٣هـ

٤٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة-لأبي الحسن علي بن عيسى الأربلي/ دار الأضواء ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

٥٠. مشارق الشموس- حسين الخوانساري/ من منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بإيران.

٥١. شرح أصول الكافي –محمد صالح المازندراني/ تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني/ من دون ناشر ولا رقم طبعة ولا تاريخ.

٥٢. المهذب للقاضي البرجي/ طبع بإشراف جعفر السبحاني/ الناشر جامعة المدرسين بقم ١٤٠٦هـ.

٥٣. بستان المحدثين – عبد العزيز الدهلوي/ ترجمة محمد أشفاق السلفس أعده وراجعه محمد لقمان السلفي / دار الداعي للنشر بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

٥٤. تاريخنا القومي. (ضمن مجموع السنة)

٥٥. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن المباركفوري/ دار الكتب العلمية بيروت/الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٦. تذكرة الحفاظ- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٧. التشيع الصفوي والتشيع العلوي/علي شريعتي/ ترجمه حيدر مجيد/ دار الأمير ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

٥٨. التشيع والشيعة – أحمد الكسروي- تحقيق ناصر القفاري وسلمان العودة/ بدون ناشر / الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٥٩. تطهير الاعتقاد- محمد بن اسماعيل الصنعاني/ حققه شريف بن محمد فؤاد

بن حسن هزاع/ مكتبة الضياء بجدة/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٦٠. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه- أحمد الكاتب/ دار الجديد ببيروت/ الطبعة البيروتية الأولى ١٩٩٨م
٦١. تفسير ابن ابي حاتم- عبد الرحمن بن أبي حاتم/ تحقيق أسعد الطيب/ مكتبة نزار الباز/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
٦٢. تفسير ابن كثير- محمد بن إسماعيل بن كثير- دار المعرفة ببيروت/ دون تاريخ أو رقم طبعة.
٦٣. تفسير التبيان للطوسي ٨/٣٤٠(مكتبة الأمين- النجف- تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي /١٣٧٦-١٣٨٢هـ
٦٤. تفسير الصافي للكاشاني / مؤسسة الاعلمي ببيروت/ بدون رقم ولا تاريخ
٦٥. التفسير الصحيح أو موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور- حكمت بشير بن ياسين/ دار المآثر بالمدينة المنورة/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
٦٦. تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأيل- محمد جمال الدين القاسمي/ دار الكتب العلمية ببيروت/الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
٦٧. تفسير القمي- علي بن إبراهيم القمي- تحقيق طيب الموسوي- الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ (بيروت/ بدون اسم ناشر)
٦٨. تفسير الكريم المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي/ تحقيق عبد الرحمن اللويحق/ مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٢١هـ
٦٩. تفسير المنار- محمد رشيد رضا/ دار المعرفة ببيروت/ ١٤١٤هـ
٧٠. تفسير فرات الكوفي- لفرات الكوفي/ من غير ناشر/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ بطهران
٧١. تفسير من وحي القرآن- محمد حسين فضل الله (من على الموقع الرسمي على الأنترنت)/ أو نسخة دار الملاك ببيروت
٧٢. التمهيد- لأبي بكر الباقلاني/ ضبط وتعليق محمود الخضيري ومحمد أبو ريده/ دار الفكر العرابي/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة
٧٣. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- لأبي الحسين محمد الملطي/تعليق محمد زاهد الكوثري/ الطبعة الثانية.
٧٤. التنكل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل- عبد الرحمن المعلمي/ تحقيق

ناصر الدين الألباني/ مكتبة المعارف بالرياض/ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ
٧٥. تهذيب التهذيب/ لأحمد بن علي بن حجر/ دار صادر بيروت/ مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بحيدر آباد الدكن / الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ
٧٦. الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا/ على محمد الصّلاّبي/ مكتبة الصحابة بالشارقة/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
٧٧. الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي/ اصدار المنتدى الإسلامي/ لندن/الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٧٨. ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية للدكتور جعفر الباقر- دار الصفوة
٧٩. جامع البيان "تفسير الطبري"- محمد بن جيري الطبري/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
٨٠. جامع الرواة- محمد علي الأردبيلي/ مكتبة المحمدي بقم/ بدون رقم ولا تاريخ طبعة
٨١. جامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي-محمد بن عيسى الترمذي/ حققه وشرحه ورقمه أحمد شاكر/ دار الكتب العلمية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم
٨٢. جامع العلوم والحكم- لابن رجب الحنبلي/ تحقيق شعيب الأرنؤط و إبراهيم باجس/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٨٣. جامع بيان العلم لابن عبد البر/دار الفكر -بيروت-بدون رقم طبعة ولا تاريخ)
٨٤. الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد القرطبي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٨٥. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام -لابي بكر بن القيم/ تحقيق مشهور حسن آل سلمان/ دار ابن الجوزي بالدمام/الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
٨٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية/ تحقيق علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان/ دار العاصمة بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٨٧. حاشية الروض المربع / لعبد الرحمن بن قاسم/ الطبعة الثانية/ تاريخ ١٤٠٣

٨٨. حركة النبوة في مواجهة الانحراف- محمد حسين فضل الله / إعداد شفيق الموسوي/ دار الملاكالطبعة الأولى ١٤١٧

٨٩. حق اليقين- لعبد الله شبر١/ دار الأضواء ببيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

٩٠. حقبة من التاريخ-عثمان الخميس/ دار ابن الجوزي/ الطبعة الأولى / ١٤٢٤هـ

٩١. الحكومة الاسلامية للخميني – المكتبة الإسلامية الكبرى بطهران.

٩٢. حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني/ دار الكتاب العربي ببيروت

٩٣. حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ثلاث الآف سؤال وجواب- محمد حسين فضل الله/بدون ناشر/ الطبعة الثالثة ١٩٩٨م

٩٤. الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي/ بدون ناشر/ الطبعه الثانية ١٩٩٩م

٩٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/دار الكتب العلمية ببيروت/الطبعة الأولى ١٤١١هـ

٩٦. درء تعارض العقل والنقل/ ابن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ

٩٧. دراسات في الأهواء والفرق – ناصر العقل/ دار إشبيلية بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

٩٨. دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم الحسيني/ دار التعارف ببيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ

٩٩. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"/أحمد بن محمد جلي/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية/ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

١٠٠. الدرر النجفية العلامة المحدث يوسف البحراني /مؤسسة آل البيت لإحياء التراث

١٠١. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث لعبد الله النفيسي/ دار النهار / الطبعة الثانية ١٩٨٦هـ

١٠٢. الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث/ د اسماعيل ياغي/ مكتبة

العبيكان بالرياض/ الطبع الأولى ١٤١٦هـ

١٠٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة – أغابزرك الطهراني/ دار الأضواء ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٤٠٣.

١٠٤. ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقري دار أطلس/الطبعة الأولى ١٤١١هـ

١٠٥. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب- دار المعرفة ببيروت- بدون رقم ولا تاريخ ولا رقم طبعة.

١٠٦. رجال ابن داود- الحسن بن علي بن أبي داود الحلي/ طبعة طهران ١٣٨٣هـ

١٠٧. رجال الكشي أو اختيار معرفة الرجال- أبي جعفر محمد الطوسي/ تحقيق مهدي الرجائي / مؤسسة آل البيت ومطبعة بعثت بقم ١٤٠٤هـ

١٠٨. رد الدارمي على بشر المريسي /ط دار الكتب العلمية- تحقيق محمد حامد الفقي

١٠٩. الرد على المنطقيين- ابن تيمية- إدارة ترجمان السنة – باكستان- الطبعة الثانية/١٣٩٦هـ

١١٠. الرد على الوهابية – محمد جواد البلاغي- تحقيق السيد محمد علي الحكيم – مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث

١١١. الرد على شبهات المستعينين بغير الله -أحمد بن عيسى الحنبلي/ تصحيح عبد السلام بن برجس العبد الكريم/ ١٤٠٩هـ بدون رقم طبعة.

١١٢. الرزيّة في القصيدة الأزرية(ضمن مجموع السنة)

١١٣. رسالة الزيدية نشأتها ومعتقداتها- للقاضي إسماعيل الأكوع/ دار الفكر ببيروت/ الطبعة الثالثة١٤١٨هـ.

١١٤. رسالة المجاهد الأكبر الإمام محمد الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة رئيس الحكومة الإيرانية- محمد الخالصي- ترجمة هادي بن محمد الخالصي- الطبعة العربية الأولى ١٤١٨

١١٥. رسالة إلى الخميني- إسماعيل آل إسحاق الخوئيني- مخطوط

١١٦. رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب تحقيق ناصر الرشيد/ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة/ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

١١٧. رسالة وجوب التعاون بين المسلمين (ضمن المجموع الكاملة لمؤلفات السعدي) / مكتبة صال بن صالح ١٤١١هـ

١١٨. روضات الجنات في أحوال العلماء السادات/ محمد باقر الخوانساري/ تحقيق أسد الله إسماعليان/ المطبعة الحيدرية ١٩٥٠هـ

١١٩. روضة الناظر لابن قدامة الحنبلي/ تحقيق علي النملة/ مكتبة الرشد بالرياض/ الطبعة الأولى١٤١٣هـ

١٢٠. روضة الواعظين -لمحمد بن الحسن الفتال-دار الرضى-قم

١٢١. زاد المسير في علم التفسير- لابن الخوزي/ دار الفكر / الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

١٢٢. زاد المعاد في هدي خير العباد/ ابن قيم الجوزية/ تحقيق عبد القادر الأرنؤط وشعيب الأرنؤط /مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦هـ

١٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة- محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الأسلامي بيروت/ الطبعة الرابعة ١٤٠٥

١٢٤. السنة لابن أبي عاصم/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ

١٢٥. السنة -لعبد الله بن أحمد/ تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني/ دار ابن القيم – الدمام/ الطبعة الأولى١٤٠٧هـ

١٢٦. سنن ابن ماجه /حققه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي/ بدون رقم ولا تاريخ.

١٢٧. سنن أبي داود- مراجعة وضبط محيي الدين عبد الحميد/ مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ ولا رقم

١٢٨. سنن النسائي- أحمد بن شعيب النسائي/ دار المعرفة ببيروت/ الطبعة الأولى١٤١١هـ

١٢٩. سير أعلام النبلاء- الحافظ محمد ن عثمان الذهبي/ تحقيق شعيب الأرنؤط وآخرون /مؤسسة الرسالة ببيروت/ الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ

١٣٠. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام الحميري/ تحقيق همام عبد الرحيم ومحمد عبد الله أبو صعليك/ مكتبة المنار / الأردن / الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٣١. سيرة وحياة الإمام الخوئي -لأحمد الواسطي/ دار الهادي ببيروت / الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

١٣٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - هبة الله بن الحسن اللالكائي/ تحقيق أحمد سعد حمدان/ دار طيبة – الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

١٣٣. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار/ تحقيق:عبد الكريم عثمان/ مكتبة وهبة بمصر الطبعة الأولى هـ١٣٨٤

١٣٤. شرح العقيدة الطحاوية-علي ابن أبي العز الحنفي/ تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤط/ مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

١٣٥. شرح الكوكب المنير-أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار/ تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد/من منشورات مركز البحوث وإحياء التراث بمكة (جامعة أم القرى)/الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

١٣٦. شرح صحيح مسلم- الإمام النووي/ مؤسسة مناهل العارفان ببيروت

١٣٧. الشهادة الثالثةفي الأذان والاقامة لجاسم آل كلكاوي/ منشورات مكتبة الزهراء بكربلاء/ الطبعة الأولى ١٩٥٥م

١٣٨. الشيخ عبد العزيز البدري لمحة من السيرة الذاتية الجهادية/تأليف: محمد الآلوسي).

١٣٩. الشيخية- محمد حسن الطالقاني/ الآمال للمطبوعات ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤٠. الشيعة في عقائدهم وأحكامهم- أمير محمد الكاظمي القزويني/ دار الزهراء ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ

١٤١. الشيعة والتشيع - محمد الحسيني الشيرازي/ دار صادق ببيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ

١٤٢. الشيعة والتصحيح- موسى الموسوي- بدون تاريخ ولا رقم طبعة

١٤٣. الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير/ إدار ترجمان القرآن بلاهور باكستان/ من دون رقم طباعة ولا تاريخ .

١٤٤. الصابئة الزرادشتية اليزيدية- لأسعد للسحمراني/ دار النفائس/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

١٤٥. صحيح ابن حبان برتيب ابن بلبان/ حققه شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ

١٤٦. صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري/عالم الكتب ببيروت (مصورة عن الطبعة المنيرية)./ الطبعة الرابعو ١٤٠٥هـ

١٤٧. صحيح سنن أبي داود/ محمد ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية بالرياض والمكتب الأسلامي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٤٨. صحيح سنن الترمذي/ لمحمد ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية بالرياض و المكتب الاسلامي بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

١٤٩. صحيح سنن النسائي- ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض والمكتب الإسلامي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

١٥٠. صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج النيسابوري/ حققه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية (للبابي الحلبي) بدون رقم ولا تاريخ طباعة

١٥١. الصحيح من أسباب النزول- عصام الحميدان/ دار الذخائر ومؤسسة الريان ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

١٥٢. الصحيفة السجادية/ الناشر: دار الهادي / بقم

١٥٣. الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وبعدهم- موسى الموسوي/ من مطبوعات المجلس الإسلمي الأعلى في أمريكا – لوس أنجلوس/ ١٤١١هـ

١٥٤. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة- أحمد بن حجر الهيتمي/ دار الكتب العمية ببيروت/ بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

١٥٥. ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي- محمد الثاني بن عمر بن موسى/ إصدار دار الحكمة ببريطانيا- ليدز/ الطبعة الأولى١٤٢١هـ

١٥٦. طبقات الشافعية لعبد الوهاب السبكي/ تحقيق محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو/ تاريخ الطبعة ١٣٨٣

١٥٧. الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الزهري/ دار صادر - بيروت

١٥٨. طبقات فحول الشعراء للجمحي/ تحقيق محمود شاكر/ طبعة مدني / القاهرة ١٣٩٤هـ

١٥٩. العدة في أصول الفقه- لأبي يعلى الحنبلي/ حققه أحمد سير مباركي/ مؤسسة الرسالة ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٦٠. عراق بلا قيادة -عادل رؤوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

١٦١. عقائد الإمامية- محمد رضا المظفر/ دار الغدير ببيروت ١٤٠٤هـ

١٦٢. عقائد الإمامية- محمد رضا المظفر/ دار الغدير/ بيروت/تاريخ : ١٣٩٩هـ

١٦٣. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ محمد بن عبد الهادي/ مكتبة المؤيد بالرياض/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

١٦٤. عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية-علي أحمد السالوس/دار الأعتصام بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

١٦٥. علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين- محمد الخالصي- ترجمة هادي بن محمد الخالصي- الطبعة العربية الأولى ١٤١٨.

١٦٦. العلاّمة البيات" تأليف أسرة البيات -الناشر مؤسسة الهداية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٦٧. العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية – عادل رؤوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٦٨. عنوان المجد في تاريخ نجد/ عثمان بن بشر النجدي/ مكتبة الرياض الحديثة/ بدون تاريخ ولا رقم طباعة

١٦٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود- أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/الطبعة الأولى١٤١٠هـ

١٧٠. الغلو في الدين- الصادق عبد الرحمن الغرياني/ دار السلام بالقاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

١٧١. فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر العسقلاني- دار الريان/ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وتحقيق محب الدين الخطيب/ الطبعة الثانية١٤٠٩هـ

١٧٢. الفتح الرباني- أحمد بن عبد الرحمن البنا/ دار إحياء التراث العرابي ببيروت. دون رقم أو تاريخ طبعة

١٧٣. فتح القدير – محمد بن علي الشوكاني/ المكتبة العصرية ببيروت/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

١٧٤. فرق الشيعة- للحسن بن موسى النوبختي/ طبعة كربلاء ١٣٩٩هـ.

١٧٥. الفرق بين الفرق- لأبي طاهر عبد القادر البغدادي/ تحقيق محيي الدين عبد الحميد/ دار المعرفة ببيروت بدون رقم ولا تاريخ

١٧٦. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها – غالب العواجي- مكتبة لينا ومكتبة أضواء المنار بالمدينة المنورة/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧٧. فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب- حسين بن محمد

تقي النوري الطبرسي/ طبعة إيران/ ١٣٩٨هـ

١٧٨. الفصل لابن حزم/ بهامش الملل والنحل. ط: مطبعة صبيح ١٣٨٤هـ

١٧٩. الفصول المهمة في أصول الأئمة- محمد بن الحسن العاملي/مكتبة بصيرتي بقم الطبعة الثالثة

١٨٠. فضائل الصحابة -أحمد بن حنبل/ تحقيق وصي الله بن محمد عباس/ دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

١٨١. فقه الحياة "حوار مع آية الله محمد حسين فضل الله"/ أجراه أحمد أحمد و عادل القاضي/ مؤسسة العارف للمطبوعات ببيروت/الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ

١٨٢. الفهرست- محمد بن إسحاق بن النديم/ دار المعرفة – بيروت/ بدون رقم ولا تاريخ

١٨٣. في رحاب دعاء كميل- محمد حسين فضل الله/ دار الملاك ببيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٢١هـ

١٨٤. القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية- محمد الياسري- مخطوط

١٨٥. القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود/ دار النشر الدولي – الرياض/ الأولى/ ١٤١٤

١٨٦. القضاء والقدر للسبحاني

١٨٧. قواطع الأدلة للسمعاني ٢/٢٦٤-٢٩٣ تحقيق د.عبد الله الحكمي/ الطبعة الأولى ١٤١٨،بدون ناشر

١٨٨. قواعد التفسير/ خالد بن عثمان السبت/ دار ابن عفان بالخبر/الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

١٨٩. القواعد الحسان للسعدي .(ضمن المجموعة الكاملةلمؤلفات السعدي-جزء٨)/ مكتبة صالح بن صالح بعنيزة ١٤١١هـ

١٩٠. القواعد النورانية الفقهية- أبو العباس ابن تيمية/ تحقيق محمد حامد الفقي/ مكتبة المعارف بالرياض/الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ

١٩١. القول السديد(ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي) مكتبة صالح بن صالح بعنيزة . القصيم/ ١٤١١هـ

١٩٢. الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني/ دار الكتب الإسلامية بطهران/ الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ

١٩٣. الكامل في التاريخ لابن الأثير تحقيق إحسان عباس / دار صادر ببيروت/ ١٣٨٥هـ

١٩٤. كتاب الاستقامة- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ مكتبة ابن تيمية / بدون تاريخ ولا رقم طباعة

١٩٥. كتاب الإمام الخميني -عادل رؤوف- المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ

١٩٦. كتاب الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير/إدارة ترجمان القرآن/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة

١٩٧. كتاب الشيعة وتحريف القرآن- محمد مال الله- بدون ناشر- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

١٩٨. كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة" للياسري-مخطوط

١٩٩. كتاب نظريات الحكم في الفقه الشيعي لمحسن كديفر

٢٠٠. كسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي- أبو الفضل البرقعي/ ترجمه عبد الرحيم البلوشي/ دار البيارق بعمّان/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

٢٠١. لسان العرب لابن منظور/ نشر مكتبة العبيكان "مصورة عن نسخة دار صادر" الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ

٢٠٢. لوامع الأنوار البهية- محمد السفاريني/ المكتب الإسلامي ودار الخاني/ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ

٢٠٣. المتآمرون في المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولا ية الفقيه- موسى الموسوي/ مكتبة مدبولي بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٩٩٦م

٢٠٤. مجمع البيان للطبرسي ١٥٢٠١٥٣/٦(دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٨٠هـ)

٢٠٥. مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيتمي/ مؤسسة المعارف ببيروت/ تاريخ ١٤٠٦هـ بدون رقم طبعة

٢٠٦. مجموع الفتاوى- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة

٢٠٧. المجموع شرح المهذب/محيي الدين النووي/ دار الفكر – من دون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٠٨. المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة)

٢٠٩. المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة).

٢١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- عبد الحق بن عطية الأندلسي/ تحقيق المجلس العلمي بفاس. ١٣٩٥هـ

٢١١. المحصول في علم أصول الفقه- الفخر الرازيمطابع الفردوس بالرياض / تحقيق طه جابر العلواني/ ط: ١٤١٠هـ

٢١٢. مختصر التحفة الاثني عشرية- شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي- ترجمة غلام محمد بن محيي الدين الأسلمي واختصره محمود الألوسي وحققه محب الدين الخطيب/ المطبعة السلفية بالقاهرة/ ١٣٧٣هـ

٢١٣. مختصر تاريخ دمشق لمحمد بن مكرم بن منظور/ تحقيق روحية النحاس/ دار الفكر/ الأولى/ ١٤٠٤

٢١٤. مدارج السالكين- لمحمد بن عبدالله بن القيم/ تحقيق: محمد حامد الفقي/

٢١٥. مدينة المعاجز- هاشم البحراني/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٢١٦. مذهبنا الامامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو – محمد الياسري -مخطوط

٢١٧. مرآة العقول- محمد باقر المجلسي/ بدون ناشر/ طبعة إيران/ ١٣٢٥هـ

٢١٨. مراجعات في عصمة الانبياء من منظور قرآني-عبد السلام زين العابدين/ بدون ناشر/ الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ

٢١٩. مرجعية المرحلة وغبار التغيير- جعفر الشاخوري البحراني/ دار الأمير ببيروت/ الطبعة الثانية/ ١٤١٩هـ

٢٢٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر- أبي الحسن علي المسعودي/ المكتبة العصرية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٢١. المسائل البيروتية –محمد الصدر-دار الملاك الأصيل-بيروت

٢٢٢. مسائل عقدية- محمد حسن فضل الله/ دار الملاك/ الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ

٢٢٣. مسألة التقريب بن أهل السنة والشيعة- ناصر القفاري/ دار طيبة – الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢

٢٢٤. مستدرك الوسائل- حسين النوري الطبرسي/ المكتبة الإسلامية بطهران

٢٢٥. مسند أبي يعلى الموصلي- حققه حسين سليم أسد/ دار الثقافة العربية/

دمشق الطبهة الأولى ١٤١٢هـ

٢٢٦. المسند –للإمام أحمد بن حنبل/ فهرسه ورقمه ناصر الدين الألباني/ مؤسسة قرطبة ودار الراية بالرياض

٢٢٧. المطالب العالية – شهاب الدين ابن حجر / تحقيق غنيم عباس وياسر إبراهيم / دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٢٨. مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح- علاء الدين القزويني/ دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت- مركز الغدير بقم /الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

٢٢٩. مع محب الدين الخطيب في خطوطه العريضة- لطف الله الصافي/ مكتبة الصدر بطهران/ ١٤٠٣هـ بدون رقم طبعة.

٢٣٠. معالم التنزيل-الحسين بن مسعود البغوي/ حققه محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الخراشي/ دار طيبة بالرياض/ ١٤٠٩هـ

٢٣١. المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن البصري/ تحقيق محمد حميد الله / تاريخ الطبعة ١٣٨٤هـ

٢٣٢. معجم البلدان- ياقوت الحموي/ تحقيق فريد الجندي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤١٠هـ

٢٣٣. المعجم الذهبي- تأليف محمد التونجي/دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الثانية ١٩٩٢م

٢٣٤. المعجم الكبير- سليمان بن أحمد الطبراني/ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – العراق

٢٣٥. المعجم الوسيط- تأليف إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار/ المكتبة الإسلامية باستانبول/ الطبعة الثانية١٣٩٢هـ

٢٣٦. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة- لأبي القاسم الخوئي/ الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ

٢٣٧. معجم لغة الفقهاء- لقلعجي وقيني-٢٨٤ دار النفائس-بيروت-الطبعة الثانية-١٤٠٨هـ

٢٣٨. معجم مقاييس اللغة-أحمد بن فارس/ دار إحياء التراث العربي- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٣٩. مقاتل الطالبيين- لأبي الفرج الأصبهاني/ تحقيق أحمد صقر/ منشورات

مؤسسة الأعلمي ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ

٢٤٠. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين- أبي الحسن علي الأشعري/ تحقيق محيي الدين عبد الحميد/ الطبعة الثانية/١٣٨٩هـ.

٢٤١. المكاسب للمحاسبي (ملحق بكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح) للحارث المحاسبي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

٢٤٢. الملل والنحل- لعبد الكريم الشهرستاني/ تحقيق عبد الأمير مهنا وعلي فاعور/ دار المعرفة ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٤٣. من الشك إلى الشك- السيد إدريس الحسيني/ دار الخليج العربي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

٢٤٤. من فقه الزهراء عليها السلام دار الصادق بيروت/ الطبعة الثانية

٢٤٥. من لا يحضره الفقيه/ ابن بابويه القمي/ دار صعب ببيروت/ ١٤٠١هـ.

٢٤٦. من لا يحضره الفيه/ لابن بابويه القمي/ تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ من منشورات جماعة المدرسين في الحوزة بقم / الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ

٢٤٧. المناقب للمازندراني (ط مؤسسة العلامة للنشر بقم ١٣٧٩هـ

٢٤٨. المنتظم في تاريخ الامم والملوك- لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي/ تحقيق: محمد عطا و مصطفى عطا/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢

٢٤٩. المنتقى من المنهاج – اختصره الحافظ محمد ن عثمان الذهبي -بتعليق محب الدين الخطيب/ بدون ناشر ولا تاريخ ولا رقم

٢٥٠. منتهى المقال- أبي علي محمد بن إسماعيل المازندراني /مؤسسة آل البيت ببيروت/ بدون رقم طبعة/ ١٤١٩هـ

٢٥١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/مؤسسة الوفاء ببيروت.

٢٥٢. منهاج السنة النبوية- لابن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ

٢٥٣. المنهاج أو المرجعية القرآنية–محمد الياسري- مخطوط

٢٥٤. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد- عثمان علي حسن/ مكتبة الرشد – الرياض/ الأولى/ ١٤١٢هـ.

٢٥٥. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- د.عثمان علي حسن-

دار أشبيلية بالرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ.
٢٥٦. المهدي المنتظر/ د.عبد العليم البستوي/ المكتبة المكية ودار ابن حزم/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
٢٥٧. الموافقات في أصول الشريعة- إبراهيم بن موسى الشاطبي/ تعليق الدراز/ دار المعرفة ببيروت.
٢٥٨. موسوعة الاجماع/ سعدي أبو جيب/ دار الفكر بدمشق / الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ
٢٥٩. موسوعة الأديان- مجموعة باحثين /دار التفائس ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
٢٦٠. الموسوعة القرآنية- إسماعيل آل إسحاق الخوئيني- مخطوط
٢٦١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ بإشراف مانع الجهني/ الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ
٢٦٢. موسوعة عالم القرآن للخوئيني -مخطوط
٢٦٣. موقف ابن تيمية من الأشاعرة- عبد الرحمن المحمود/ مكتبة الرشد بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ
٢٦٤. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة/لسليمان الغصن/ دار العاصمة بالرياض/ الطبعة الأولى١٤١٦هـ
٢٦٥. ميزان الاعتدال- الحافظ محمد ن عثمان الذهبي/ دار المعرفة بيروت/بدون رقم ولا تاريخ طباعة
٢٦٦. النبوات/ أبو العباس بن تيمية/ تحقيق محمد عبد الرحمن عوض/ دار الكتاب العرابي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
٢٦٧. الندوة "سلسلة ندوات واسئلة"- محمد حسن فضل الله/ دار الملاك.
٢٦٨. نظم المتناثر من الحديث المتواتر/ أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني/ دار الكتب السلفية بمصر/الطبعة الثانية/ بدون تاريخ
٢٦٩. نقض التأسيس- شيخ الاسلام أحمد بن تيمية/ تحقيق محمد بن قاسم/ مطبعة الحكومة بمكة/ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ
٢٧٠. نقض الوشيعة أو الشيعة بين الحقائق والأوهام- لمحسن الأمين العاملي/ دار الغدير ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

٢٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر/ لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير/تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي/المكتبة العلمية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم

٢٧٢. نهج البلاغة/ جمع الشريف المرتضى مع شرح محمد عبده/ مؤسسة المعارف ببيروت/ ١٩٩٦هـ

٢٧٣. نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف/ دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

٢٧٤. نيل الأوطار- محمد بن علي الشوكاني/ حققه طه عبد الرؤف ومصطفى الهواري/ مكتبة المعارف بالرياض من دون رقم أو تاريخ طبع

٢٧٥. هجر العلم ومعاقله في اليمن- القاضي إسماعيل الأكوع/ دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

٢٧٦. وانظر أساس التقديس / تحقيق أحمد حجازي،، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية،١٤٠٦هـ.

٢٧٧. الوحدة الاسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة)

٢٧٨. وسائل الشيعة إلى تحقيق مسائل الشريعة- محمد بن الحسن العاملي/ تحقيق عبد الرحيم الشيرازي/ دار إحياء التراث العربي ببيروت/ الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ

٢٧٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أحمد بن محمد بن خلكان- دار صادر ببيروت بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٨٠. الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة — هشام شري العاملي/دار الهادي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٨١. ياشيعة العلم استيقظوا- موسى الموسوي / بدون ناشر ولا رقم أو تاريخ

ثانياً: الدوريات والصحف.

٢٨٢. جريدة الحياة ١٩٩٩/١/٢٥م مقال:(فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكوى الإرهاب الفكري) .

٢٨٣. جريدة الحياة العدد١٤٥٥٢: مقال(الصراع على المرجعية الشيعية يخـــرج إلى العلن)

٢٨٤. جريدة الرأي العام تاريخ ١/١٢/٢٠٠٣م

٢٨٥. جريدة النهار الصادرة في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٣م مقال:"شريط مؤلف يستهدف فضل الله يوزع في قم ولبنان ويشغل الشيعة" لرضوان عقيل.

٢٨٦. صحيفة الحياة ١٨/١٢/٢٠٠٣م . مقال محمد نون بعنوان: (خامنئي: ولاية الفقيه لا تعني اطلاق يده بلا حسيب أو رقيب).

٢٨٧. صحيفة السفير١/شباط ٢٠٠٣م. مقال: المرجعية الشيعية من الجاذبية إلى التجاذب السياسي

٢٨٨. صحيفة الشرق الأوسط. يوم ٢٦يونيو ٢٠٠٣م. مقال هدى الحسيني، بعنوان: (يرفضون خدعة الانقسام بين المتشددين والإصلاحيين).

٢٨٩. صحيفة النهار اللبنانية/الاربعاء ٢٣/١٠/٢٠٠٢/ مقال سالم مشكور عن وثيقة بعنوان (شيعة العراق يؤمنون بـ"سيادة الشعب" لا بـ"ولاية الفقيه")

٢٩٠. مجلة الشراع ١٩٩٨م/ مقال: "فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه".

٢٩١. مجلة الشهيد- العدد الخامس ١٩٨٤/ مقال: صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الاسلامي

٢٩٢. مجلة النبأ العدد٦١. ضمن مقال: ذكرياتي عن أخي

٢٩٣. مجلة الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام لفؤاد ابراهيم

٢٩٤. مجلة رسالة الاسلام -جمادى الأول١٣٧٣هـ/١٩٥٤م/ مقال الطوائف الاسلامية في العراق- لمحمد الخالصي

ثالثاً: مواقع على الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

٢٩٥. http://www.١٤masom.com/aalem-balad/١٨/١٨.htm

٢٩٦. www.al-shia.com/html/ara/ola/rezvan/t-brojerdi.htm - ٧k

٢٩٧. http://www.١٤masom.com/١٤masom/٠٦/mktba٦/bo

ok٠٨/٠٤.htm

٢٩٨. http://www.lankarani.org/Arabic/neda/p٠٠٥.html.

٢٩٩. http://www.١٤masom.com/١٤masom/٠٩/mktba٩/book٠٣/٠٠٩.htm#_Toc٤١٢٠٣٧٦.

٣٠٠. http://www.almodarresi.com/books/٦٧٥/sq٠wgdhk.htm

٣٠١. www.alhakeem.com/arabic/mrg/mrg١/٠٠٢.htm - ٤٣k

٣٠٢. http://www.aljazeera.net/news/arabic/٢٠٠١/٦/٦-٢٤-٣.htm

٣٠٣. http://iraqcenter.com/esdarat/bayanat/archive_٢/٣.html

٣٠٤. http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber

٣٠٥. http://iraqcenter.com/esdarat/bayanat/archive٠٣١/khaber٣١.htm٢/٣.html

٣٠٦. http://www.hadith.net/persian/products/magazine/mirath/٠١/٠٠٢-٠٢.htm

٣٠٧. www.alwaha.com/issuel/is٠١sb١٣.htm.

٣٠٨. http:attajdid.tm.ma/archives/٢٠٠١/k٢٣-Avril/١٦٣/alaislami٣.html

٣٠٩. http://www.isl.org.uk/modules.php?name=News&file=article&sid=١٩٢

٣١٠. http://www.al-rasool.net/١٠/pages/٦.htm

٣١١. http://www.annabaa.org/nba٦١/thuqreaty.htm

٣١٢. http://www.iraqcenter.net/vb/forumdisplay.php?s=٠٩١٥٦c١٣ddb٢d٨٠٨e٠٨٤١b٥d٥٥e٢٤٢٧c&forumid=٣

٣١٣. www.alkatib.co.uk/last.htm

٣١٤. http://www.alkatib.co.uk/amilyhajr.html

٣١٥. http://www.islamonline.net/Arabic/news/٢٠٠٣-١٢/٠٤/article١١.shtml

٣١٦. http://www.alkatib.co.uk/w٣.htm

٣١٧. http://www.ejlasmahdi.com/html/arabic/library_a/jannat٠٥.htm

٣١٨. http://www.tabrizi.org/html/bo/anwar/٦.htm
٣١٩. http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=٣١١٠
٣٢٠. http://www.iraqgate.net/tribe/N-albarzanchi.htm
٣٢١. www.al-shia.com/html/ara/books/farzanegan/mosavi.htm.
٣٢٢. www.geocities.com/al_thaqalayn/mazarsasa.htm - ١٦k
٣٢٣. http://www.bayynat.org
٣٢٤. http://www.rafed.net/books/turathona/alrad/waha.html
٣٢٥. http://www.mabarrat.org.lb/arabic/index.shtml
٣٢٦. http://www.fadlullah.org
٣٢٧. http://www.aljazeera.net/programs/no_limits/articles/٢٠٠٣/٦/٦-٢٩-١.htm#L٤
٣٢٨. http://www.al-shia.com/html/ara/ser/ola-behj_h.htm.
٣٢٩. http://www.geocities.com/alshia_d/alshia١.htm
٣٣٠. http://www.zalaal.net

رابعاً: اللقاءات والمراسلات الخاصة.

٣٣١. لقاء مع محمد حسين فضل الله يوم الخميس ٥/٦/ ٢٠٠٣م ببيروت.

٣٣٢. لقاء مع محمد حسين فضل الله يوم الأربعاء ٢٦/١/ ١٤٢٥هـ ببيروت.

٣٣٣. لقاء مع الشيخ حسين الخشن (من أبرز طلاب محمد حسين فضل الله) يوم الخميس ٥/٦/٢٠٠٣م ببيروت.

٣٣٤. زيارة لأرشيف موقع (بينات)-الموقع الرسمي لمحمد حسين فضل الله على الأنترنت- يوم الأربعاء ٤/ ٦/ ٢٠٠٣م ببيروت.

٣٣٥. مجموعة مراسلات مع الأستاذ أحمد الكاتب.

٣٣٦. لقاء مع الشيخين: محمد الآلوسي وتوفيق البدري يوم الثلاثاء ٢٨/١١/١٤٢٤هـ بالرياض.

فهرس المحتويات